٩٨

# آداب المحبين لله

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان للنشر والتوزيع

(٩٨)

# آدابُ المُحِبِّينَ للّه

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة

| | |
|---|---|
| الكتاب | آداب المحبين لله |
| المؤلف | الشيخ فوزي محمد أبوزيد |
| الطبعة | ١٥ رمضان ١٤٣٦ هـ، ٢٠ |
| كتاب رقم | الثامن والتسعون من المطبوع |
| سلسلة | دراسات صوفيه معاصرة<br>الكتاب السادس عشر |
| الداخلى | ٢٢٤ ص*٨٠جم/١٧*٢٤، ١ |
| الغلاف | كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، |
| إشراف | دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥<br>، المعادى، القاهرة، ت:<br>٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠، |
| إيداع | فى ٢٠١٦/١٤٣٨٤ ٢٥٢٦١٦١٨ ٢ ٠٠٢٠ |
| ترقيم | 978-977-90-4059-2 |
| طباعة | مطابع النوبار بالعبور |

# مقدمة

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحب عباده المقربين من قبل القبل ورزقهم حبه وذكر ذلك في كتابه وقال في شأنهم:

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [٥٤المائدة]

ونسأله عز شأنه أن نكون من أهل هذه الآية ..... وممن سبقت لهم الحسنى فيها بالعناية آمين .. آمين .. يارب العالمين ...

والصلاة والسلام على سر البداية وسبب العناية ومفتاح الجنة وصاحب الشفاعة العظمى لأهل الولاية سيدنا مُحَمَّد وآله الذين أحبوه وأصحابه الذين أعانوه وفدوه بأنفسهم وأموالهم وأتباعه الذين اشتاق لرؤيتهم وبادر بمودتهم واجعلنا منهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين.

وبعد، ..... فإن لله قوماً ملأ قلوبهم بمحبته وهيئ أبدانهم لخدمته وأعانهم بعونه وأمدهم بحوله وطوله وقوته، وهم يحنون إليه حنين الأرواح إلى أجسامها والطيور إلى أوكارها والحقائق الراقية إلى نعيمها في الجنان، وتطالبهم قلوبهم بمواصلة محبوبهم والسعي في العمل الموصل إلى حبه ورضاه، ويعوقهم عن الوصول إلى ذلك إبليس وجنوده، والنفس وحشودها، والهوى وأتباعه، ويساعد على ذلك مجالسة الغافلين ومخالطة البطالين.

فأردنا أن نستعين بالله ونعين إخواننا المحبين الصادقين الطالبين لرضاه جل في علاه على تبيان السبيل الموصل إلى فضل الله والذي ينال به العبد إكرام مولاه وتفتح له به خزائن عطاياه.

فبينا العوائق التي ينبغي أن يتخلى عنها العبد المراد لأنها آفات تقطعه عن طريق الله ﷻ وتحرمه من قربه سبحانه وتعالى ورضاه وتمنع عنه جوده ونفحاته وعطاياه.

وذكرناهم بما ينبغي أن يتجملوا به من الأحوال العلية والصفات المرضية التى بها يصيرون من الأتقياء الأنقياء الذين يسخر الله ﷻ لهم ما في الأرض وما في السماء:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾ [١٣الجاثية]

وكذلك يصيرون من الوجهاء يوم العرض واللقاء.

وأسال الله ﷻ ان ينفع بهذه الآداب كل من تاب إلى الله وأناب واتبع هدي الحبيب المصطفى وعمل بما في السنة والكتاب وأن يجعله نبراساً للمجدين وميزاناً للمخلصين ونافعا لكل من قرأه أو عمل به من الصادقين.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [٨آل عمران]

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله نجوم الهدى وأصحابه ومن بهم اقتدى

فوزى محمد أبوزيد

الجميزة يوم ٨ من رجب ١٤٣٧هـ، الموافق ١٥ من أبريل ٢٠١٦م

البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية
تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩
موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com
البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com,
fwzyabuzeid48@gmail.com,
fawzyabuzeid@yahoo.com

# الوصل التمهيدى

- تجديد أحوال أهل المدينة المنورة
- نجوم الاقتداء والاهتداء
- شروط الوصول لمقامات الصالحين
- طهارة القلوب
- تأسيس مجتمع المدينة المنورة
- الإخلاص
- مراعاة الأحكام الشرعية
- المودة والمحبة
- دواء المحبوبين
- السالك المهيب

# الوصل التمهيدى[1]

## تجديد أحوال أهل المدينة المنورة

إن من أهم غايات الصالحين السابقين والمعاصرين تجديد حال أهل المدينة المنورة لمن التف حولهم من المحبين .....

بحيث يكون كل من انتمى إليهم .....

أو وصل بفضل الله ﷻ إليهم في أي مكان وفي أي زمان .....

صورة مطابقة سلوكاً وعملاً وحالاً واعتقاداً لأهل مدينة النبي العدنان ﷺ.

وهذه منية كل الواصلين، وأمل كل العارفين، وبغية كل الأفراد الوارثين:

أن يجدد في مجتمعه الذي يعيش فيه أحوال سيد الأولين والآخرين ومن حوله من الأنصار والمهاجرين والصحابة السابقين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

ولذلك ينبغي لكل من توجه إليهم أو جلس بين أيديهم .....

أن تكون هذه بغيته .....

وأن يكون هذا أمله .....

أن يجدد في نفسه، وفي بيته، وفي الإخوان الذين يلتف بهم في المكان الذي يقيم فيه حال أهل المدينة المنورة.

فإذا أكرمنا الله ﷻ وأعاننا بعونه، وأمدنا بحوله وطوله وقوته وصنعنا على قدرنا ذلك – ولو كنا أفراداً قليلين – كنا لأهل الأرض .....

كالنجوم التي يستضيئون بها في ظلام الليل في السماء.

---

١ المعادي – ٢٣من جماد الأول ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٣/٣م

## نجوم الاقتداء والاهتداء

ما النجوم التي يستضيء بها أهل الأرض في هديهم وفي سيرهم وفي سلوكهم وفي أخلاقهم؟ أهي النجوم التي في السماء؟ لا، ولكن النجوم التي في الأرض، والتي يقول فيها إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

**وي عجيب صارت الأرض سما والسما قد سُخِّرت بالمجمل**
**أيها الأرض بمن نلت العُلا؟ بالحبيب محمد وبآله بالأمثل**

نالت العلا بالحبيب مُحَمَّد ﷺ، وبآله الطيبين، وبمن مشوا على مثليته وهديه وسيرته من التابعين والصادقين إلى يوم الدين، وفيهم يقول ﷺ:

**{ إِنَّمَا أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، فَبِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ }** [٢]

وهل بعد انقضاء العصر الأول خفتت النجوم وانتثرت النجوم؟ حاشا لله ﷻ، لا يموت نجم إلا ويقوم مقامه نجم آخر، يُظهره الله يضيء لعباد الله، ويتبعه من اهتدى بهداه، ويسيرون معه حتى يوصلهم إلى أرقى الأحوال التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ، ونسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.ﷺ

ولذلك قُصَّاد العارفين والصالحين غير بقية الخلق أجمعين، لا بد لهم من أوصاف ظاهرة وباطنة تختلف عما نراه من أهل الدنيا، وأهل الأهواء، وأهل الحظوظ، وأهل الشهوات أجمعين.

## شروط الوصول لمقامات الصالحين

أصحاب الصالحين يقول لهم رب العالمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ خاطبهم بخطاب الإيمان، ثم قال لهم: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة)..

أي أن الإنسان إذا أراد النفع والانتفاع بما جعله الله ﷻ في قلوب الصادقين من

٢ الإبانة الكبرى لابن بطة عن ابن عباس رضي الله عنهما

معارفهم الإلهية، وأنوارهم الربانية، وأحوالهم النبوية، وأخلاقهم القرآنية، لا بد أن يصحح الإيمان أولاً، ثم يرتقي بعد ذلك إلى درجة تقوى الله ﷻ ثانياً، ثم بعد ذلك يصحب العارفين والصالحين والصادقين، هذا لمن أراد الانتفاع بما جمَّلهم الله ﷻ به من بضاعة إلهية.

أما من أراد الانتفاع بما حولهم من منافع دنيوية فهذا لا يراعي هذه الحيثية، ولا يطبق هذه الشروط القرآنية.

من أراد أن يبلغ مبلغ الرجال، يريد أن يجمل نفسه بالأحوال التي صار بها الرجال رجال، وأن يجمل أعضاءه وجوارحه بالأعمال التي وصل بها الرجال إلى مقام الرجال.

ومن أراد أن ينتفع بما حول الرجال يأخذ ما حولهم وما في أيديهم، ولكنه محرم عليه أن يأخذ ذرة واحدة مما في قلوبهم، لكل قوم مطلبهم، ولكل قوم مشربهم.

والطالبون للبضاعة الإلهية والتنزلات الربانية، والإفاضات المحمدية لا بد أولاً أن يُطهروا طور التجليات الإلهية فيهم من الأدران الدنيوية، والشهوات النفسانية، والأهواء الإبليسية، وجبل الطور فيَّ وفيك هو القلب، لأنه موضع تجلي الله.

فإن الله ﷻ عندما يتنزل لعبد من عبيده بعطاياه أين يُنزلها؟: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤الفتح) ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد).

فالعطايا الإلهية المخصوصة للمخصوصين للقلوب، أما عطايا الجيوب قد يأخذ المعيوب منها أكثر من الصالح المحبوب لأنها فتن تجري على الناس في الدنيا اختباراً من حضرة علام الغيوب، قال سيدنا سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما أتاه الله ﷻ ما لم يؤت أحداً قبله من الملك والسلطان الظاهر:

﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٤٠النمل).

أما عطاء القلوب لا يكون إلا لمحبوب لأنه دليل على الحب له من حضرة علام الغيوب ﷻ، ليس فيه اختبار ولا فتنة ولا امتحان، عطاء مخصوص لمخصوصين.

# طهارة القلوب

فأول ما ينبغي أن يفعله مريد الالتحاق بالصالحين والصادقين أن يُطهر ماعون قلبه من الدنيا الدنية، والشهوات النفسية، والأهواء المردية، حتى لا يجعل فيه موضعاً لغير مولاه، فإن الله ﷻ لا يتنازل عن ذلك، ولا يقبل إلا بذلك، قال الله تعالى في حديثه القدسي:

**{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }** [٣]

على سبيل المثال: إذا كان الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٤النمل) هؤلاء الملوك العاديين، فما بالكم بملك الملوك ﷻ؟!! فملك الملوك ﷻ إذا دخل مدينة القلب جعل أعزة أهلها من النفس وجنودها، ومن الشيطان وجنوده، والهوى وما يتبعه أذلة، وأعز القلب والروح والسر والخفا والأخفى .. وكل ما يريد الله، ولا يريد غير وجه مولاه جل في علاه.

فيُطهر قلبه لمولاه، حتى يصل في هذا التطهير أن لا يكون فيه محلاً، ولا موضعاً، ولا ذرة لسواه ﷻ، يقول سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ وأرضاه: ((ذرة من محبة الله ترفع أهل الجهالة إلى أعلى مقامات القربى)) ويوضح ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ فيقول: ((وإلا فمن كان هو بلال الحبشي؟ ومن كان هو صهيب الرومي؟ ومن كان هو سلمان الفارسي؟ حتى صاروا نجوماً يُهتدى بهم)) ما الذي رفعهم؟

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (٥٤المائدة) فامتلأت به قلوبهم من محبة محبوبهم وهو الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (١٦٥البقرة).

والحب لله ﷻ لا يرضاه الله إلا إذا كان خالصاً، لا يرضي بالشريك أو الشركة معه، فإذا أشرك في حبه أو معه الأولاد أو المال أو الوظيفة أو الشهرة أو غير ذلك فلا يقبل الله ﷻ هذا الحب لأنه قال في كتابه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

---

٣ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ (١١٠الكهف) ....

لا بد أن يكون العمل خالصاً مخلصاً لوجه الله الكريم ﷻ.

## تأسيس مجتمع المدينة المنورة

فأسس حضرة النبي ﷺ مجتمع المدينة المنورة الذي جعله الله ﷻ نموذجاً يُحتذى للمجتمعات الإلهية الدنيوية الطيبة إلى يوم القيامة على عدة أمور:

### الإخلاص

الأمر الأول:

أن يكون كل أفراد هذا المجتمع حريصون كل الحرص قبل كل عمل، وأثناء كل عمل، وبعد كل عمل على الإخلاص في هذا العمل لوجه الله ﷻ.

فالإخلاص هو الأساس الذي يُبنى عليه صالح الأعمال لكي يقبله الواحد المتعال ﷻ .... والإخلاص أن يبتغي بهذا العمل وجه الله، كالصفوة المباركة الذين قال الله فيهم في سورة الكهف، وأمر النبي ﷺ أن يُصبِّر نفسه معهم:

﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف)

لا يريدون إلا رضاه، وإلا النظر إلى وجهه يوم لقياه، حتى أنهم لا يرجون من الكونين ولا من الدنيا والآخرة ولا حتى من الجنة سواه.

وإذا طلبوا الجنة طلبوها لأنها الموضع الذي يحظون فيه بالنظر إلى وجه الله، ويقال لهم: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ (القيامة).

وهذا الإخلاص هو أساس قبول الأعمال في جميع الأحوال، ولذلك ورد أن الإمام الغزالي ﷺ وأرضاه وهو يعالج سكرات الموت التف حوله تلاميذه وطلبوا منه الوصية وهو في هذه اللحظة، فأخذ يردد الإخلاص الإخلاص الإخلاص حتى خرج نَفَسه الأخير.

الإخلاص ألا يبتغي بعمله شهرة ولا سمعة ولا ظهوراً بين الناس، ولا أن يعرفه الخلق، بل مراده أن يعرفه الحق ﷻ، ولا يلتفت إلى الخلق طرفة عين ولا أقل.

وعلامته أن الإنسان لا يزيد عمله في السر بينه وبين ربه عن عمله الذي يعمله أمام الخلق، ولا يزيد إتقانه للعمل في خلوته عن إتقانه للعمل في جلوته، فإذا أتقن الإنسان العمل في جلوة أمام الخلق، وأسرع فيه في الخلوة كان في إخلاصه نقص يحتاج إلى تقويم، لأنه راقب الخلق ولم يراقب الحق ﷻ.

أما من يعمل أمام الخلق ويترك العمل أمام الحق فهذا – والعياذ بالله – دخل في ثلة المنافقين، لأنه لا يعمل إلا للخلق، قال فيه ﷺ:

**{ مَنْ صَلَّى وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ وَهُوَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ }** [٤]

لأنه لا يصلي إلا إذا رآه الناس، ويترك الصلاة عند غيبتهم، ولا يصوم إلا إذا عرف الناس، ويترك الصيام في خلوته عند غيبتهم، ومثل هذه الدقائق لا بد أن يتدبرها المريد جلياً، ويحاسب نفسه عليها حساباً عسيراً.

لن يحاسبك عليها أحد، ولكن العطاء ينزل من الواحد الأحد على حسب إخلاصك لله ﷻ، أنت وحدك الذي تُقدِّر عطاءك، وأنت وحدك الذي تستدعي من الله ﷻ فضله وكرمه وجوده بإخلاصك الذي تراعيه وتتوجه به إلى الله ﷻ في كل أعمالك وأحوالك.

إذاً لا بد أولاً من الإخلاص، وقد قالوا: ((من لم يتمرن على الإخلاص في بدايته لا يصل إلى كمال التوحيد لله ﷻ في نهايته)) فأنت محتاج دائماً التدريب على الإخلاص لأنه يوقظ القلب، ويُحرك النفس، ويصحح الضمير، حتى تصل إلى مقام: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٤الحديد).

إذا تدرب الإنسان على الإخلاص فليعلم علم اليقين قول القوم: ((الخلاص

---

٤ الحاكم في المستدرك عن شداد بن أوس ﷺ

بالإخلاص)) الخلاص من الحجب التي تمنعك عن فضل الله وكرم الله بالإخلاص، والخلاص من هموم الدنيا ومشاغلها ومتاعبها بالإخلاص، والخلاص من أوحال يوم القيامة وأزارها بالإخلاص ... الخلاص من كل أمورك الظاهرة والباطنة بالإخلاص، فلا مناص من الإخلاص إن أردت أن تكون من الخواص؛ خواص عباد الله ﷻ.

## مراعاة الأحكام الشرعية

الأمر الثاني:

درَّبهم حضرة النبي ﷺ بعد ذلك على مراعاة الأحكام الشرعية عند أي عمل يعملونه لله أو لخلق الله، ولذا لا يوجد في هذا الدين نصيب للجهلاء، ولا يعفيهم الجهل من الحساب يوم الدين، فإن طلب العلم فريضة وليس نافلة أو سُنة.

أول فريضة يطالب المرء بطلبها بعد معرفة الله ﷻ أن يعلم أحكام شرع الله في الأعمال التي يريد أن يتقرب بها لمولاه، أو يعملها مع خلق الله ﷻ في هذه الحياة.

ولذلك قال ساداتنا الصالحون في تعريف التصوف أنه علم وعمل، علم بالشريعة وعمل بها على أحكام الحقيقة، وهي الإخلاص والصدق والخشوع والحب والود لله ﷻ، فإذا عمل بما علم ورَّثه الله ﷻ علم ما لم يكن يعلم.

لذلك ينبغي على كل مريد سعيد أن يزن كل عمل يعمله، ولو كان عملاً لا يبالي به، أو لا يهتم به، أو لا يعبأ به، يزنه بميزان الشريعة المطهرة.

لأن الله ﷻ ربما ينظر إليك وأنت تعمل عملاً قد لا تبالي به، فينظر إليك ﷻ نظر غضب أو سخط فتسقط من عين الله ﷻ.

وقد يعمل الإنسان معصية ويرى نفسه عبد سوء ويندم ويرجع إلى الله ﷻ فيكون كما قال ابن عطاء الله السكندري ﷺ: ((رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً)).

إذاً لا بد من ميزان الشريعة؛ لا يسقط من يدك طرفة عين، إياك أن تُقبل على

أي عمل لا تعلم حكم الشرع فيه، فليس عندك حجة تقدمها لله ﷻ لأنه قال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (النحل)

ما عذرك بعد ذلك؟!.

أي عمل يعمله الإنسان له توجيهه في شريعة الرحمن، وله كيفيته العملية فيما ورد عن النبي العدنان ﷺ، فليس لك حجة، أصول العمل في كتاب الله، وكيفية تنفيذ هذا العمل تجدها في أحوال سيدنا رسول الله ﷺ.

فإذا قلت أعلم هذا العمل وأصوله، لكن لا أعلم تطبيقه، فحجتك مردودة: .. ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب)

ارجع إلى أحوال حضرة النبي تجد هذا العمل واضحاً جلياً وضوحاً لا يحتاج إلى دليل ولا برهان، لأنه ﷺ مع صغر الفترة الزمنية التي قضاها في حياته الدنيا، إلا أن الله ﷻ بجلاله وكبرياءه أجرى عليه فيها كل ما سيحدث في أمته إلى يوم القيامة، وآتوني بأي شيء سيحدث في الدنيا إلى يوم القيامة تجد له شاهداً من حياة حضرة النبي، شاهد ودليل من أفعال حضرة النبي ﷺ.

الأمر الثالث:

المقصد الهام الذي كان يحرص عليه الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام في تحقيق مجتمع المدينة المنورة المودة والمحبة والأُخُوة والعطف والشفقة والحنان بين جموع أهل هذا المجتمع، حتى وصفهم بأنهم كرجل واحد.

ميولهم واحدة، وعقائدهم واحدة، وشمائلهم واحدة، وكل قصودهم واحدة، ولا يرجون من الكونين سوى وجه الله ﷻ.

حقيقة الإنسان لا تظهر عند عمله وطاعته وعبادته للرحمن، لكن يظهر خفي حقيقته وخفي طبعه عند معاملته لبني الإنسان، وهذا الذي ركَّز عليه النبي ﷺ في أُخُوته لإخوانه المؤمنين.

ما نعانيه في مجتمعنا الآن، وما كانوا فيه من هناء وسرور في عصر الحبيب المصطفى يرجع لأسباب كثيرة أبرزها:

كل واحد منهم كان يسعى لنفع الجميع، ويُحب لأخيه ما يحب لنفسه، أما الآن فكل مريد يسعى لمنفعة نفسه، ولا يعبأ بمصلحة غيره، يسعى لنفسه ولو على حساب غيره، وهذه هي المهمة العظمى التي حققها النبي ﷺ لصحبه الكرام، فقد ركَّز في أحاديث لا تعد على هذا الأمر، منها:

**{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }** [٥]

والذي أعلى من ذلك الذين يؤثرون على أنفسهم، فيؤثر أخاه على نفسه.

وكان ﷺ يحرص على توطيد الترابط فيما بينهم، بأن يعرفون بعضهم، وتتوثق الروابط والألفة فيما بينهم، فيقول ﷺ:

**{ إِذَا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ، فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ }** [٦]

التعارف الذي افتقدناه الآن، نتعارف إذا كانت هناك مصلحة، وإذا لم توجد المصلحة لا يبحث أحد عن التعارف!!، وهذا لم يكن حال أصحاب رسول الله ﷺ.

أكبر مصلحة للإنسان أن يكون له إخوة ينفعونه يوم لقاء الديان، لكن مصالح الدنيا تافهة وفانية، وفي الآخرة كما ذكر القرآن ستكون الأُخوة هي العنوان: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (مريم) ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (الزمر ٧٣) هؤلاء وفد، وهؤلاء جماعات مع بعضهم، كما كان يقول سلفنا الصالح (الناجي يأخذ بيد أخيه).

الشيخ ابن الجوزي ﷺ وكان من كبار الواعظين المؤثرين في غيره، قال في مجلس وعظ: يا أحبة استكثروا من الإخوان فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

---

٥ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٦ جامع الترمذي والطبراني

**{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الإِخْوَانِ فَإِنّ لِكُل مُؤْمِنٍ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }** [٧]

وورد عن سعيد بن جبير ﷺ قوله:

**{ يدخل الرجل الجنة فيقول : أين أمي؟ أين والدي؟ أين زوجي؟ فيقال : لم يعملوا مثل عملك. فيقول : كنت أعمل لي ولهم ثم قرأ {جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم} الآية }** [٨]، وفى الأثر **{ إن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له : ادخل الجنة فيسأل عن منزل أخيه فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله فإن قيل له : لم يكن يعمل مثل عملك فيقول : إني كنت أعمل لي وله فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ويرفع أخوه إلى درجته }** [٩]

قال الشيخ ابن الجوزي وبكى للحاضرين: فإذا دعيتم إلى الجنة ولم تجدوني معكم فقولوا: يا رب أين فلان إنه كان يعظنا؟ فإذا قال: إنه لم يعمل مثل عملكم، فقولوا: إنا كنا نعمل لنا وله.

فلا بد من التعارف والتآلف والترابط بين المؤمنين، وأن يكون شعارنا في العمل فيما بيننا كله لله، إذا زرت أخاك في الله زره لله، لا تبغي رداً للزيارة ولا تطالبه بذلك حتى يكون لك أجرك الباقي عند الباقي ﷻ، وإذا قدمت له معروفاً لا تنتظر الأجر إلا من الذي بيده مقاليد السماوات والأرض.

هل هناك في الكون كله، بل لو اجتمع أهل الكون جميعاً على هيئة رجل واحد هل يستطيعوا أن يثيبوا إنساناً على معروف قدمه لإنسان؟ كلا والله.

إذاً لا تكن تاجراً خائباً تتاجر مع الخلق، بل تاجر مع الحق، اجعل عملك كله لله، فإذا عدت مريضاً فاجعل العيادة لله، وصلة الرحم اجعلها لله، ومساعدة الضعيف والفقير والمسكين اجعلها لله، ولا تنتظر الأجر إلا من الله.

---

٧ ابن النَّجَّارِ في تاريخِهِ عن أنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

٨ صفة الجنة أبي نعيم الأصبهاني، أخرجه ابن أبى حاتم وأبى الشيخ عن سعيد بن جبير

٩ تعريف الأحياء بفضائل الإحياء

وقد كان سلفنا الصالح، بل والسابقون من الأمم يدربون أممهم علي ذلك، حتى حكا لهم النبي ﷺ ذلك، عندما:

{ أَتَى النَّبِيُّ ﷺ أَعْرَابِيًّا فَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: ائْتِنَا، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَلْ حَاجَتَكَ، قَالَ: نَاقَةٌ نَرْكَبُهَا، وَأَعْنُزٌ يَحْلُبُهَا أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا، قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ؟ قَالَ: عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ، فَقَالَ: دُلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ، قَالَتْ: حَتَّى تُعْطِينِي حُكْمِي، قَالَ: وَمَا حُكْمُكِ؟ قَالَتْ: أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةِ مَوْضِعِ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ، فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ، فَأَنْضَبُوهُ، فَقَالَتْ: احْتَفِرُوا، فَاحْتَفَرُوا، فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَقَلُّوهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ} [١٠].

وقد كان يوسف قد أوصى بني اسرائيل إذا خرجوا من مصر أن يحملوا جثمانه ويدفنونه بجوار آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب في الخليل، وعندما مات يوسف وضعوه في صندوق وحفروا في قاع بحر يوسف في الفيوم، وأجروا الماء عليه، فغيرت مكانه، فلم يجد إلا عجوزاً كبيرة في السن دلتهم على الموضع، وطلبت من موسى أن يكون أجرها مرافقته في الجنة.

الذي عنده علو همة يطلب الأجر العظيم من عند العظيم ﷻ، فالمؤمن الذي يرجوا الدرجات العالية مع الصالحين والمقربين يحرص أن يكون عمله كله لله، لا يبغي به غير الله ولا يطلب عليه أجراً إلا من الله جل في علاه، وهو يذكر في كتاب الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾

١٠ صحيح ابن حبان والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن قيس ﷺ

(٣٠الكهف) لم يقل الله (ومن عمل) لكن الذي أحسن العمل أي جعل روحه الإخلاص، وظاهره اتباع الشرع االشريف، إذا كان ظاهرة اتباع الشرع الشريف وباطنه الإخلاص فهذا عمل أحسن صاحبه في أداءه، فيتقبله الله ﷻ منه بقبول حسن.

## المودة والمحبة

أحرص ما يحرص عليه الصالحون تبعاً لحضرة النبي ﷺ دوام المحبة والمودة والأُخُوة بين الأحباب السالكين، فنحن نحتاج في هذا الزمن الذي نحن فيه الآن –كما تفعل الدولة في الحملات القومية لشلل الأطفال – عمل حملة قومية للقضاء على البغض والحقد والحسد والكره .. وهذه الأخلاق التي أفسدت مجتمعنا، وقطَّعت الأرحام والصلات بين أبناء البلد الواحد، والدين الواحد، والرسول الواحد ﷺ.

ونحن نحاول على قدرنا أن نجمع الأحبة على هذا المنهاج حتى يكونوا نموذجاً لغيرهم، لذلك أول أمر يحرص عليه المريد هو قول الله ﷻ: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا ﴾ (٤٧الحجر).

إياك ثم إياك أن يتسرب في قلبك شيء من شجرة الغل نحو أخيك في الله ﷻ، والشجرة منها الحقد والحسد والأثرة والأنانية والشح والبغض واللمز والعيب وما سوى ذلك، فهذه شجرة الشيطان.

لكننا نزرع في القلب شجرة الرحمن، شجرة الحب والمودة والشفقة والعطف والحنان والرأفة وستر العورات والتغاضي عن العثرات ... فهذه هي الأخلاق التي دعا إليها سيد السادات ﷺ.

وهذا ما كان يحرص عليه رسول الله ﷺ ....

وأنا أتمنى أن تتحقق بين أحبابي جميعاً، فأتمنى أن لا يوجد أخ في قلبه أي شيء لأخيه، مع أنني أعلم علم اليقين أن من كان في قلبه شيء كريه لأخيه لا يذوق شيئاً من مواهب خالقه وباريه، قال ﷺ:

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ } [11]

ومثله الحقد والحسد وغيره، فلا بد أن نمرن قلوبنا على الصفاء والنقاء حتى يكرمنا الله ﷻ ويتنزل لنا بعظيم النور والجمال والضياء والبهاء، ويكرمنا ويجمعنا يقظة أو مناماً على إمام الرسل والأنبياء ﷺ.

## دواء المحبوبين

ولذلك دائماً الدواء الذي يصفه الطبيب النطاسي الحكيم للأحبة المخلصين؛ أن الإنسان دائماً ينظر إلى حقيقة أصله الذي كوَّنه منه ربه ﷻ، وهذا هو الدواء الذي سيمنعه ويُكسبه المناعة ضد الكبر والزهو والفخر والخيلاء والإعجاب بالنفس وما شابه ذلك، هذا الدواء ذكره الله في القرآن: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ ﴾ (الطارق) ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ﴾ (المرسلات) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ﴾ (المؤمنون).

أنا أَصْلي إما ماء مهين، أو سلالة من طين، وكل ما زاد عن ذلك فهو جمال رب العالمين ﷻ، وهذه الحقيقة لا تفارق العارفين والصادقين والصالحين طرفة عين ولا أقل، لأنها العاصم لهم من هذه الأمراض، أنه دائماً يرى حقيقته التي يقول فيها الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

علمت نفسي أني كنت لا شيء فصرت لا شيء في نفسي وفي كلي
به تنزه صرت الآن موجوداً به وجودي وإمدادي به حولي
ومن أنا؟ عدم الله جملني فصرت صورته العليا بلا نيل

وقال فيها الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه: الدواء المر الذي يحفظ الإنسان من مرض الشرك الخفي والرياء والزهو والعُجب أن يقف الإنسان دوماً على حقيقة أصله.

وكان الصالحون دائماً يُذكِّرون بذلك الأكابر ويردونهم إلى مقام الأصاغر، أحد

[11] صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

أمراء البصرة كان في زينته ويركب فرسه في موكب له، فقابل رجلاً من الفقراء عند الله الصالحين، فلم يقف له الرجل ولم يهتم به، فأمر حرسه وجنده أن يأتوا به، وقال له: لماذا لم تقف لي؟! ألا تعرفني؟! قال له: أعرفك، أنت أولك بولة مزرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بينهما تحمل العذرة!!، فعرف الرجل حقيقة أصله، ونُزع الكبرياء الذي كان في نفسه، والذي أهَّله له مَن حوله ممن غروه وغرروه.

فأنا وأنت لو كنت سأغرر غيري لا يليق بي أن أغرر بنفسي، وكان الإمام علي ﷺ إذا مدحوه وأثنوا عليه يرى أن هذا الثناء على ما فيه من جمالات الله لا على نفسه هو، فيقول: ((اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، اللهم إني أعلم بنفسي منهم)) لن يغره هذا الكلام لأنه عرف حقيقة نفسه.

## عرفـــوا نفوســـهم ذلاً ومســـكنة وقربتهم إلى جمال الحق خشيتهم

إذا ترك المريد هذا الدواء سنرى السفاهات والتفاهات والسفالات التي تحدث في الشوارع، والتي لا ينبغي أن تكون بين الأحبة، فكيف لأحد من الأحباب أن يرى نفسه فوق إخوانه؟!! كيف يرى أنه أحسن منهم أو أكمل منهم، أو أجمل منهم في مقام أو قالٍ أو حال أو سواه؟!! كلمة (أنا) قالوا فيها: (من قال أنا فقد نأى) فأول من قال (أنا) هو إبليس.

ولذلك المؤمن لا يقولها على لسانه إلا في حالة اعترافه بذنبه وجهله وغفلته وحاجته لمولاه، أنا الظلوم، أنا الجهول، أنا المذنب، أنا الخطاء، لكن الفضل: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ (٧٣آل عمران).

ولذلك الصوفية والصالحون قالوا: لا يكون الرجل من الصادقين حتى يتحرر من ياء النسب، فلا يقول مني ولا لي ولا عليَّ، ولكن يقول: من الله، ومن فضل الله، ومن كرم الله، ومن تسهيل الله، وليس لي شيء في الدنيا إلا الذنوب والمعاصي: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ (٧٩النساء) والفضل من الله.

فتبرأوا من نسبة ذلك فلا يباهون بذلك، فإذا رأى أنه خير من سواه في واحدة

من ذلك فاعلم علم اليقين أن الله إن لم يتداركه بحلمه فهو هالك، وسيضيع بذلك.

والقرآن يحكي لنا عن الأولين، وفي حياة الحبيب وما بعده عظة للآخرين، وفي حياة أصحاب النبي الأكابر أسوة للصادقين، سيدنا عمر أمر بجمع الناس وصعد المنبر، وقال: كنت أُسمى عميراً وأرعى لنفر من أهلي غنماً في مكة على قراريط – ملاليم من الأجر– واليوم أُدعى عمر وأُسمى أمير المؤمنين، ثم نزل، فقالوا له: ألهذا جمعتنا يا أمير المؤمنين؟! قال: إن نفسي حدثتني أني صرت شيئاً فأحببت أن أُعرِّفها مكانتها!!.

هؤلاء رجال رباهم سيدنا رسول الله ﷺ، وكلهم كانوا على هذه الشاكلة، عرفوا نفوسهم، والإنسان إذا عرف نفسه فقد عرف ربه.

وعرف نفسه أي عرف أن أصله من طين أو ماء مهين، هل الطين يسمع أو يبصر أو يتحرك؟! لا، إذاً أنا أسمع بسر السميع، وأبصر بسر البصير، وأنطق بسر المتكلم، وأحيا بسر الحي، وأعلم بسر العليم، وأريد بسر المريد ﷻ .. إذاً أنا حياتي كلها بالله ومن الله جل في علاه، وليس لي شيء من جملة هذه الحياة.

فأنسب الخير كله والفضل كله لله، وما دام هذا لله فهل ينبغي أن أباهي به وأنسبه لنفسي، وأتباهى به على خلق الله؟! ولذلك كان أول حكمة يعلمها الصالحين لأحبابهم: كل جمال رأيته فيك فاعلم أنه من خالقك وباريك، فإياك أن تأكل منه كما أكل آدم من الشجرة وانسبه لربك ﷻ.

كل هذا من عطاء الله وخير الله وفضل الله جل في علاه، فلو الإنسان حافظ على هذا الأمر هل نسمع إنساناً يقول لآخر: هل أنت لا تعرفني؟! فالذي يقول ذلك إنسان غارق في الجهالة لأذنيه، هل سنسمع من يبين لغيره أنه أفضل منه في كذا وكذا؟! هل نجد مؤمناً ينظر إلى مؤمن بعين احتقار؟! هل نجد مؤمناً ينظر إلى سالك معه بعين ازدراء؟! ولذلك قالوا: ((كفى بالمرء إثماً أن يرى الخير في نفسه والشر في إخوانه)).

## أسألك المعية

أكبر إثم يقع فيه السالك أن يرى نفسه فقط الذي معه الخير والباقي شرور، وهذا ينظر بعين المساويء، فلا يرى إلا العيوب والمساويء، ولكن يجب أن تسلط عين العيوب والمساويء على نفسك، وعين المزايا والمحاسن على غيرك، فلا ترى من أخيك إلا محاسن أفعاله، وأحامد صفاته، وتغض البصر عما سوى ذلك، وهذه نظرة الأحبة بعين المحبة.

**وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تُبدي المساويا**

ولذلك إذا رأيت أخاً معنا ولسانه لا يكف عن القول في معايب إخوانه فاعلم أنه يلبسه شيطان، لأنه يثير الفتن بين الأحبة، فبدلاً من أن ينظروا لبعضهم بعين الجمال يلفت نظرهم إلى شر الخصال الموجودة في الآخرين، وربما تكون زوراً وبهتاناً، وأقول لنفسي كما قال القائل:

**من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط**

كل بني آدم خطاء، ولا يوجد أحد خالي من الأخطاء، والواجب عليَّ أن أستر لا أن أفضح وأُشنع، وأسمع لقول الحبيب:

**{ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ }** [١٢]

فيجب عليَّ الستر، حتى عندما اعترف ماعز بجريمته وهي الزنا، وأرادوا أن يقيموا عليه الحد فأخذ يجري، لكنهم جاءوا به وأقاموا عليه الحد، فقال لهم ﷺ:

**{ هَلا تَرَكْتُمُوهُ }** [١٣] ، **{ ولما جاءه رجل وذكر شيئًا من أمر ماعز للنَّبيِّ ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "لو كنت سترته بثوبك، كان خيرًا لك" }** [١٤]

---

١٢ سنن ابن ماجة وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

١٣ جامع الترمذي عن جابر ﷺ

١٤ مسند أحمد والحاكم عن هَزَّال بن زيد ﷺ والحديث بتمامه للفائدة: عَنْ يَزِيدَ بْنِ نُعَيْمِ بْنِ هَزَّالٍ ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "كَانَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ فِي حِجْرِ أَبِي ( أى أن أبى كان يربيه يتيماً)، فَأَصَابَ جَارِيَةً مِنَ الْحَيِّ (أى زنى بها وكان متزوجاً قد أحصن)، فَقَالَ لَهُ أَبِي: ائْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبِرْهُ بِمَا صَنَعْتَ، لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ لَكَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَخْرَجًا، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّ زَنَيْتُ، فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَعَادَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّ زَنَيْتُ، فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّ زَنَيْتُ، فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللهِ، ثُمَّ أَتَاهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّ زَنَيْتُ، فَأَقِمْ

**وستراً لعورات الأحبة كلهم وعفواً عن الزلات فالعفو أرفق**

ولذلك يجب أن نأخذ على أنفسنا العهد أن لا نذكر عورات الأحبة ولا غيرهم، قال ﷺ:

**{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ }** [١٥]

نحن لم ننته من عيوبنا حتى ننظر في عيوب غيرنا، ولكن ننظر إلى محاسن الآخرين حتى نتأسى بها، ونقتدي بفعالها حتى نكون من الصالحين إن شاء الله رب العالمين، سألوا سيدنا أبو ذر ﷺ: لو وقع أخاك في الإثم ماذا كنت صانعاً؟ قال: أرأيتم لو وقع أخاكم في بئر فماذا كنتم فاعلون؟ قالوا: نأخذ بيده لننقذه، قال: كذلك أخاكم إذا وقع في الذنب.

لا نشنع عليه ونفضحه، ولكن نأخذ بيده، لأني لو شنعت عليه وفضحته فقد جعلت بيني وبينه بُعد المشرقين، وربما أدخل في حديث الحبيب ﷺ:

**{ مَنْ أَشَاعَ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ كَلِمَةَ بَاطِلٍ لِيُشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذِيبَهُ بِهَا مِنَ النَّارِ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَاذِهَا }** [١٦]

لأني لست متأكد من الكلام الذي أقوله إن كان صحيح أو خاطيء، ولكن أقول الكلام الحسن الذي يسر الخاطر، والكلام الذي يثلج الصدر، والكلام الذي يريح القلوب، ولذلك أنا أعجب عندما أسمع من إنسان منتسب للصالحين كلام يغير القلوب ويغير الطباع والنفوس، ويجعل الناس تتحرج منه عند سماعه!! لكن الذي مع الصالحين

---

عَلَيَّ كِتَابَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّكَ قَدْ قُلْتَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَبِمَنْ؟ قَالَ: بِفُلاَنَةَ، قَالَ: هَلْ ضَاجَعْتَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ بَاشَرْتَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ جَامَعْتَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُرْجَمَ، قَالَ: فَأُخْرِجَ بِهِ إِلَى الْحَرَّةِ، فَلَمَّا رُجِمَ، فَوَجَدَ مَسَّ الْحِجَارَةِ جَزِعَ، فَخَرَجَ يَشْتَدُّ، فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ، وَقَدْ أَعْجَزَ أَصْحَابَهُ، فَنَزَعَ لَهُ بِوَظِيفِ بَعِيرٍ فَرَمَاهُ بِهِ، فَقَتَلَهُ، قَالَ: ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: هَلاَّ تَرَكْتُمُوهُ، لَعَلَّهُ يَتُوبُ فَيَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ". قَالَ هِشَامٌ: فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ نُعَيْمِ بْنِ هَزَّالٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لأَبِي حِينَ رَآهُ: وَاللهِ يَا هَزَّالُ، لَوْ كُنْتَ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ، كَانَ خَيْرًا مِمَّا صَنَعْتَ بِهِ. وفى رواية خير لك وله، وفى رواية قال هزال لرسول الله عندها :لم أكن أعلم يارسول الله ( أى لم أكن أعلم أنه بإقراره سيقام عليه الحد ). المسند الجامع.

١٥ مسند البزار والشهاب عن أنس ﷺ

١٦ الجامع في الحديث لابن وهب عن أبي الدرداء ﷺ

يجب أن يكون:

**فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح**

إما تقول الكلام الذي يسر البال، وإما تغلق العقال على اللسان، فلا تجعله يرجم الآخرين بما يخرج منه من كلام أشد من وقع السنان.

وما بالكم بمن يسعى للتفرقة بين الأحبة، فهذا شيطان، يرى اثنين متحابين مع بعضهما، فلا ترتاح نفسه الإبليسية حتى يوقع بذرة العداوة بينهم.

نحن أحببنا بعضنا في الله لنتعاون مع بعض، ونعمل بقول الله: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (٢المائدة).

لو كان الإنسان يستطيع أن يستغني عن الإخوان لاستغنى الأنبياء عن أنصارهم وأحبابهم، فما بالك إذا كان كليم الله موسى يدعوا ربه ويقول: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ﴾ (طه) يطلب من الله أن يؤازره ويشد أزره بأخيه، ويُسجل إسمه هارون، لماذا؟ ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ ﴾ (طه).

لم يطلب من الله أن يعينه بهارون على إبلاغ دعوة الله لأن الله ﷻ إذا أقامك أعانك، فعندما اختاره الله ﷻ لدعوته أعانه على إبلاغها، وإنما طلب من الله أن يؤازره بهارون ليعينه على ذكر الله.

فنحن نحتاج الأخ ليعيننا ونعينه على ذكر الله، وعلى عمل البر، وعلى عمل الخير، وعلى عمل المعروف، وعلى السعي للإصلاح بين المؤمنين، واسمع إلى الله ﷻ وهو يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ (١٠الحجرات) وصفهم بأنهم أخوة.

إذا كنا سنجلس مع بعض، فلِم نجلس؟ ولِم اخترنا بعضنا، قال ﷺ فيمن نصاحب ونجالس عندما قيل له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟: قال:

{ مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ ، وَزَادَ فِي عَمَلِكُمْ مَنْطِقُهُ ، وَذَكَّرَكُمُ الآخِرَةَ عَمَلُهُ } [١٧]

أصاحب من إذا رأيته أتذكر الله، وأتذكر رسول الله، وأتذكر كتاب الله، وأتذكر الصالحين، وأتذكر أعمال الخير .. ومن اختار من الأصحاب؟ قال ﷺ:

{ صَاحِبٌ مَن إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَانَكَ، وَإِذَا نَسِيتَهُ ذَكَّرَكَ } [١٨]

لكن الأخ الذي يكون كل حديثه عن فلان وعلان، وكلامه كله غيبة ونميمة وقيل وقال .. فهذا يقول فيه بعض الصالحين: شيطان الإنس أشد من ثمانين شيطاناً من شياطين الجن، قالوا: ولِمْ؟ قال: شيطان الجن يكفيك أن تستعيذ بالله منه وتقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فيكفيك الله شره، لكن شيطان الإنس يظل وراءك ممسك بأذنك حتى يحقق ما يريد!!.

فمَن الشيطان الذي يوغر صدر الإنسان بالحقد على هذا، والكره لهذا، والبغض لهذا، والقيل والقال، والغيبة والنميمة؟ ..... أخ السوء!!!

ولذلك ورد أن بني إسرائيل أصابهم قحطٌ فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا، فقال موسى: إلهي عبادك، فأوحى الله إليه: إني لا أستجيب لك ولا لمن معك لأن فيهم رجلا نماماً، قد أصر على النميمة، فقال موسى : يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا، فقال: يا موسى أنهاك عن النميمة وأكون نماما؟! قال: فتابوا بأجمعهم، فسُقوا[١٩] .

وهذا درس، فنحن ندعوا الله، ونريد أن يكون عملنا في مجالس الصالحين يصحح بقية ما تركناه في بقية العام أو الأسبوع أو الشهر أو غيره، ولو كان هناك نمام واحد حُجب عنا باب الدعاء، وغُلِّقت أمامنا أبواب السماء، ولذلك على كل من يدخل إلى مجالس الصالحين أن يُجمل نفسه أولاً قبل الدخول بتوبة صادقة لرب العالمين، واسمع إلى الله وهو يقول لأصحاب حضرة النبي ومن بعدهم ونحن منهم: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ

١٧ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
١٨ الإخوان لابن أبي الدنيا
١٩ ذكره القرطبي في تفسيره

أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ وقبل مجيئهم ماذا يفعلون؟ ﴿ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ وعند وصولهم: ﴿ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (١٦٤النساء).

فالذي يذهب إلى مجالس الصالحين والصادقين، أو زيارة الإخوة في الله ﷻ، أو عمل البر والخير، فمنذ خروجه من بيته يبدأ فيستحضر ذنوبه وهفواته ويتوب منها إلى الله، ويستغفر الله جل في علاه، حتى إذا حضر المجلس يكون كل من في المجلس تائبين، فينظر الله إليهم ويحبهم، فإذا دعوه أجابهم، وإذا سألوه اعطاهم، وإذا طلبوا منه ﷻ منحهم لأنهم تابوا وأنابوا إلى الله ﷻ.

والمؤمن يريد أن يكون على هذا الحال على الدوام، فعليه أن يوطن نفسه على صحبة الصادقين، ويفر من الآخرين على مدى الأيام، ويعمل بقول الله في قرآنه: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام) لا تجلس معهم طرفة عين ولا أقل.

لذلك يجب أن يكون فينا على قدرنا حديث حضرة النبي ﷺ:

**{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }** [٢٠]

الجسد فيه أعضاء كثيرة، فكيف ذلك؟

- فينا من يُبلِّغ رسالة العلم..
- وفينا الذي يُريح النفوس بالإنشاد ...
- وفينا مَن هم أعلى في المقام الذين يخدمون ويوصلون الطعام والشراب ..

فكل واحد له دور، فلا يظن أحدنا أنه خير من الآخرين للدور الذي قام به دون غيره، فلا يدري أيهم خير عند الله ﷻ، لكن لا بد أن يكون له دور.

ولا يستطيع أن يستغني عن هذه الادوار ويقوم بها كلها، فلا غِنى للإنسان عن

٢٠ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رض الله عنه

إخوانه، ويعتقد دائماً أن الله ﷻ ينفعه ببركة هؤلاء الجميع، ولذا كان ﷺ عندما يخرج إلى الغزوات يقول للمجاهدين والفرسان والمقاتلين:

{ إِنَّمَا تُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ } [٢١] وفي رواية أخرى:

{ هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ } [٢٢]

فلا يعتقد المحاربون أنهم نُصروا بأسيافهم، وإنما بدعاء الضعفاء الذين فيهم، وعرفهم ﷺ بمقام أهل الصفة عند الله فلا ينظرون إلى ظاهر فاقتهم ورقة حالهم فروى:

{ أَنّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَ صُهَيْبٍ وَ بِلاَلٍ ، فِي نَفَرٍ. فَقَالُوا : وَاللّه مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللّه مِنْ عُنُقِ عَدُوّ اللّه مَأْخَذَهَا. قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النّبِيَّ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ : «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبّكَ». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : يَا إِخْوَتَاه! أَغَضِبْتُكُمْ؟ قَالُوا : لاَ . يَغْفِرُ اللّه لَكَ. يَا أُخَيّ! } [٢٣]

واسمع لقول الفارق عمر ﷺ إذ يقول:

{ اسْتَأْذَنْتُ النّبِيّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ : لاَ تَنْسَنَا يَا أُخَيّ مِنْ دُعَائِكَ، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنّ لِي بِهَا الدّنْيَا، وفى رواية : . فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَحَبّ أَنّ لِي بِهَا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشّمْسُ، لِقَوْلِهِ : يَا أَخِي. } [٢٤]

فيعتقد كل واحد أن الخير في إخوانه، ويعتقد أن إخوانه أفضل منه عند الله ﷻ، ولا ينبغي أن يرى لنفسه أفضلية، ولا خيرية ولا أولية، وإنما يرى في نفسه أن الله أكرمه بهذه المزية؛ أن جمعه على فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى، ويكفيه هذا شرفاً وفخراً وتيهاً، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٢١ مسند البزار لابن حجر عن سعد بن أبي وقاص ﷺ
٢٢ صحيح البخاري ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ
٢٣ صحيح مسلم عن عائذ بن عمرو ﷺ
٢٤ المسند الجامع عن عمر ﷺ

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

# الوصل الأول

# طريق الصالحين

- تنبيه النفوس من غفوتها
- أهل الاصطفاء
- سر العناية
- علامات الأهلية لمقامات القرب
- اتهام العبد لنفسه
- عدم رؤية عيوب الغير
- محاسبة النفس
- مجالسة الصالحين

- القنابل النووانى والفيض الربانى
- مراحل الطريق
- صفات نهى عنها الله ﷻ
- الصفات الحميدة
- جهاد النفس وآثار تركه
- نتائج جهاد النفس
- إزالة الحجب
- أعداء الإنسان وجهادهم
- بين منهم ومعهم
- الأوراد

# الوصل الأول

# طريق الصالحين[1]

## تنبيه النفوس من غفوتها

في الحقيقة نحاول بين الحين والآخر وقفة لتنبيه النفوس إلى بغيتها عند المليك القدوس ﷻ، خاصة مع كثرة مشاغل الحياة، وتزاحم الشواغل الكونية في النفس البشرية، وهذا يؤدي إلى شغل البصيرة بالكلية ونسيانها على الأقل أو عماها عن المهمة الأصلية التي من أجلها خلقنا الله ﷻ في الدنيا، وهي المعرفة البصيرية للذات العلية.

ومما يزيد في الجفاء بل أهم عنصر يساعد على اقتلاع هذا الداء، وأن يكون الإنسان دائماً وأبداً مع الأولياء، ومصاحباً للأصفياء، أن يذكر أن الله ﷻ عندما ذكر سبب وقوع آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام في الخطيئة قال في شأنها: ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (١١٥طه).

إذاً حتى لا يقع الإنسان في خطيئة البعد عن الله، والتوَلّي عن طريق الصالحين من عباد الله، والانشغال بالأكوان والدنيا الدنية والشهوات عن النعم القلبية التي جهزها له الله؛ يحتاج إلى علاج هذين الأمرين.

فالنسيان يحتاج إلى المُذكر: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٢١الغاشية) والمذكر إما حبيب الله ومصطفاه ﷺ أو من ينوب عن حضرته بإذن صريح وليس بإشارة من حضرته.

والعزيمة تحتاج إلى من يقويها، وتقوية العزيمة لا تكون إلا بدوام المجالسة مع الأخيار، وتجنب مجالسة الأشرار، وتذكير النفس دوماً بما ورد عن السلف الصالح من السنن والآثار.

---

١ المعادي – الخميس ٢٠من ذو القعدة ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/٩/٣م

كلا الأمرين غاب عنه كثير من الأحبة، فالصالحين لم يجعلوا الاجتماعات في مجالس دورية مرة أو مرتين أو أكثر في الأسبوع إلا من أجل هذه النعم.

دوام التذكر، ودوام الاستحضار، ودوام العيش مع الأخيار والأبرار والأطهار، وفي هذه المجالس يحدث تذكر للسلف الصالح وما ورد عنهم من أخبار ومن آثار، فتُعَلِّي همة المرء، وتُعلق قلبه بحضرة النبي المختار ﷺ، والأمر كما قال الله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٥الجاثية) نحن نُذكِّر فقط، وكل إنسان مسئول عن نفسه: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ (١٤القيامة).

## أهل الاصطفاء

طريق الصالحين طريق انتقاء واجتباء واصطفاء، وهذا الانتقاء والاجتباء والاصطفاء كان في الأزل القديم أولاً، خلق الله ﷻ أولاً أرواحاً وأَهَّلها لشهود جمال حضرته، وخلق الله ﷻ أرواحاً وجعل كل نصيبها من فضله ﷻ هي دخول جنته، وخلق الله ﷻ نفوساً ولم يجعل فيها أرواحاً، فجعل كل واحد منهم مشغول في الدنيا بشهوته وحظه، ولذا تجده دائماً واقعاً في حيرته.

وقال هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، أما من اصطفاهم لنفسه ﷻ فلم يُشر إليهم في هذا المقام لأنهم أهل المقام العلي، المقربون الذين تحدث عنهم الله ﷻ في كتابه المكنون: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ (الواقعة) ليس الجنة فقط، وفي القراءة الأخرى: ﴿ فَرَاحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾.

إذا كان من المقربين فقد أُهِّل لشُرب الراح من يد الحبيب المصطفى بغير قداح، وأُهِّل لشم نسيم الأصفياء، ورحيق الأتقياء، ونسمات الحق ﷻ التي يتجلى بها على كُمَّل الأولياء في ساعات الصفاء، والنعيم لهم في هذا المقام هو التنعم بمشاهد حضرته، أو بأسماء عزته، أو بوجه حبيب حضرته ﷺ، وهذا نعيمهم الذي يبحثون عنه، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

هؤلاء القوم علّمهم الله من قبل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ ﴾ من هناك: ﴿ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ هنا في الحياة الدنيا ﴿ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴾ (١٠٧الإسراء) أي سلَّموا، فالسجود هنا هو التسليم، لأنهم سمعوه في الأزل القديم.

وجعلهم الله ﷻ من أهل الشهود لجمال حضرته، وأَهَّلهم لسماع خطاب عظمته ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ ليس كلهم، ولكن انتقى منهم، ﴿ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ أهل الظهور في حضرة الديهور ﷻ: ﴿ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآ ﴾ (١٧٢ الأعراف) ليس سمعنا ولكن شهدنا.

## سر العناية

ولو تدبرت في محكم الآية تجد سر العناية، فالله ﷻ يقول: ﴿ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ ولم يقل على ربهم، ولذلك يكون المدار كله على النفس، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ ﴾ والرب هنا مقام التربية، أي المُربي، ﴿ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف).

الصالحين منذ نزولهم إلى الدنيا وهم في شوق شديد إلى هذا الجمال الأزلي الأبدي الذي شاهدوه في هذا اليوم، يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ في ذلك:

**من ألست لم ننس ما قد شهدنا من جمال الجميل إذ خاطبنا**

لم ننس الجمال ولم ننس الخطاب، والنفس ما دامت في مقام الصفاء، والقلب في مقام النقاء؛ تحن دوماً إلى هذه المشاهد العالية؛ مشاهد عالم الطهر والبهاء:

**أبداً تحن نفوسنا وحنينها دوماً لأول منزل**

أول منزل كانت فيه، فتجد فيها حنين يدفعها إلى هذه المشاهد، وإلى هذه العناية، وهذه العناية التي ألمحنا إليها، فلم يختر أحدٌ منا هذا المشهد وهذا الجمال، لكن هذه عناية إلهية.

عناية إلهية، والنفس مجهزة لهذه المشاهد العلية، لكنها نزلت الدنيا الدنية،

ووحلت في الكون وما فيه من العالم الكثيف، بعد أن كانت في عالم اللطف وفي حضرة اللطيف، ويزيد في كثافتها طلبات النفس التي لم تكن هناك، بل كانت هناك طلبات القلب والفؤاد والروح، وهؤلاء كل طلباتهم المعاينة والمشاهدة والمجالسة لحضرة الله ﷻ والمؤانسة والمسامرة، فالقلب والفؤاد والروح لا يطلبون طعاماً، ولكن جاءت النفس ففتحت الشهوات:

والنفس شهوة مطعم أو مشرب أو منكح أو ملبس فاحذر بها الداء الدفين

وهذه نفس من النفوس وهي النفس الشهوانية، وهناك النفس الإبليسية وهي التي تريد الجاه والسلطة والرياسة، وتريد الظهور في الدنيا ولو على حساب الآخرين، فهي نفوس، ولذلك عندما وضح الإمام أبو العزائم هذه الحقيقة قال:

جاهد نفوساً فيك بالشرع الأمين واحذر قوى الشيطان في القلب كمين

هذه النفوس وضحناها في كتابنا (المجاهدة للصفاء والمشاهدة) وفي كتابنا (النفس وصفها وتزكيتها).

## علامات الأهلية لمقامات القرب

لكن يبقى أن أهل الإصطفاء في الأزل القديم جعل الله ﷻ فيهم ولهم علامات؛ إذا ظهرت فيهم تعلم أنهم مؤهلين للرجوع إلى هذه الحيطات، وهذه التي يحرص عليها السالك.

## اتهام العبد لنفسه

العلامة الأولى:

إذا رأى السالك أنه دائماً يتهم نفسه ولا ينصرها، وإذا اتهمه أحد كان معه على نفسه، ولم يكن مع نفسه عليه بأن يدافع عنها، يعلم أنه على خير، وأنه مؤهل لهذا المقام العالي، إذا كان العبد دائماً يشغله أمور نفسه عن النظر إلى غيره، قال ﷺ:

{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ } [٢]

# عدم رؤية عيوب الغير

**العلامة الثانية:**

لا يرى عيوب الناس ولكن مشغول بنفسه، والمشغول بنفسه لا ينشغل بغيره، بعض الأحباب يقول أنا رأيت فلان كان يرتدي كذا، فأقول له: هذا شيء أنا غير مشغول به، وما شأنك بهذا الأمر؟ الأفضل لك أن تنظر إلى ما بداخله، قال الله ﷻ لحضرة النبي ﷺ: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (٤المدثر) ليست الثياب الخارجية فقط، ولكن الأساس تطهير ثياب العبودية التي ينظر إليها رب البرية ﷻ:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ } [٣]

هل القلب يلبس حلة الصفاء، أم حلة الوفاء، أم حلة الزهد، أم حلة الورع، أم حلة المحبة؟ هذه هي ملابس التقوى: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٢٦الأعراف).

فالإنسان عندما يكون مهتم بنفسه، ويريد أن يُصلح حاله مع ربه، فلن يكون عنده وقت لينظر في غيره، فإذا وجدت العين تتحسس عيوب الآخرين فاعلم علم اليقين أنك مقطوع عن طريق السالكين، حتى ولو جلست معهم سنين!! لكنك لست معهم بفؤادك وقلبك، لأن المعية معية قلبية: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) ليس من كانوا حوله فقط !!!!

لكن الذين معه في حال الوصال، والذين تأهلوا معه للكمال من عصره إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

فإذا وجد الإنسان نفسه مشغول بها عن النظر إلى غيره يعلم أنه على خير، وأنه مكتوب في حضرات الغيوب من أهل المواهب العلية عند علام الغيوب ﷻ.

---

٢ الفوائد المجموعة للشوكاني

٣ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

## محاسبة النفس

**العلامة الثالثة:**

إذا وجد الإنسان أنه دائماً يراقب نفسه ويحاسبها ويلومها ويعاتبها فليعلم أنه بدأ في نهج الصالحين، وفي طريق المقربين، لكن لو ترك نفسه على هواها ويتلمس لها الأعذار، ولا يحاسب نفسه حتى على الأوزار، فهذا ماله ومال طريق الأخيار؟!.

لكن لا بد للإنسان أن يراقب نفسه: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ (١٤القيامة) يضع بصيرة على نفسه، فينتقدها دائماً، ويزن أحواله بأحوال السيد الأعظم ﷺ، والثلة المباركة الذين كانوا حوله، والصالحين أهل الفتح من بعده إلى يومنا هذا.

وإياك أن تزن نفسك بحال الهالكين، فبذلك تكون من البَطَّالين، لأن كثير من الناس يقول أنا أفضل من فلان، لأن فلان لا يُصلِّي وأنا أُصلِّي، وهذا ضياع، قال ﷺ:

**{ انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ }** [٤]

انظر دائماً إلى من هو أفضل منك في الدين، ولذلك يجب أن نصحب الصالحين حتى نطمح ونطمع، فالطمع المحمود في الوصول إلى هذه المقامات، والرُقي إلى هذه الدرجات، غير الطمع المذموم في الدنيا الفانية، والتي سنتركها ونتخلى عنها ويقال لنا: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٩٤الأنعام).

## مجالسة الصالحين

**العلامة الرابعة:**

إذا وجد في نفسه شغف دائم، وحافز على الاتصال بالصالحين، وعلى مجالسة الأخيار والمقربين، ويجد في نفسه كذلك تقززاً وتأففاً إذا جالس الذين نهى عن مجالستهم

---

٤ معجم الطبراني والأمالي الخميسية للشجري عن أبي ذر ﷺ

رب العالمين، وقال في شأنهم مرة: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام) ومرة أخرى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (١١٣هود) نار البعد والعياذ بالله، فبمجالستهم تأتيك نار البعد عن الله ﷻ، ونار الغفلة عن كتاب الله ﷻ.

فإذا رأى الإنسان نفسه يحب دوماً مجالسة الأخيار ويشتاق إليهم فهو على خير، ونحن كنا نجد ذلك في شبابنا، فكان الواحد منا إذا أحس بالشوق إلى أخيه في الله، يذهب ويزوره ولو في بلدة أخرى، عكس شبابنا في هذه الأيام، فكل واحد اكتفى بنفسه في بيته، وحتى من هم في مدينة واحدة لا يزورون بعضهم.

قد يقول البعض: إنهم يجتمعون في ليلة أو أكثر كل أسبوع، لكننا كنا لا نجد ذلك كافياً، فكنا لا نفارق بعضاً إلا عند النوم، لأنك طالما كنت مع الأخيار فأنت محصن من الأشرار، ولو بعدت عن الأخيار فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصي، وبعد فترة تبعد عن طريق الله ﷻ، وعن طريق الصالحين الذين وفَّقهم الله، ولذلك قال لنا الله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ وحتى تحافظ على التقوى، وتتمسك بالحبل الأقوى، وتزيد في التقوى ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) ابحث عنهم وجالسهم على الدوام.

فلا تنام إلا على حديثهم، ولا تكسل عن زيارتهم لأنك تريد محبة الله، ومحبة الله ﷻ كيف نأخذها؟ كيف يحبني الله ﷻ؟ هناك طريق صعب قال الله ﷻ فيه:

**{ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ }** [٥]

هذا الطريق صعب، وقد لا أقدر عليه، لكن هناك طريق آخر لنيل محبة الله، قال الله ﷻ فيه:

**{ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ،**

٥ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ }[٦]

في الحديث الأول يقول الله ﷻ (حتى أحبه) يعني قد يحبه الله أو لا يحبه، لكن في الحديث الآخر يقول الله ﷻ (وجبت محبتي) أين هذا الطريق الآن؟! كثير من الناس تاه عنه هذا الطريق مع أنه الأسهل والأضمن، لأن النوافل قد تقبل أو تعلل، وإذا قُبلت قد تجد محبة الله أو لا تجدها، لكن مجالسة الأخيار يكون نتيجتها وجوب محبة الله ﷻ.

فمجالسة الأخيار والصالحين والأبرار هي الأساس الذي يحفظ سلامة القلب والفؤاد، ويحفظ النفس من آفاتها حتى يبلغ العبد المراد، وهذا أساس لا بد أن يكون في قلب العبد المراد.

فكنا نحرص على هذه العلامات حتى كانوا يقولون لنا: من علامات الصالحين أنه يجد في نفسه كذا وكذا حتى قبل أن يقرأه في كتاب، فكنا نقرأ هذه الأشياء ونطبقها على أنفسنا لنرى هل هي فينا أم لا؟.

## الثقايل الثوراني والفيض الرباني

إذا وُجدت هذه العلامات في أحد فهو مؤهل لمقام الصفاء والاصطفاء، وإذا وُجدت الأهلية فيكون عنده قابل نوراني، قابل للأسرار، قابل للأنوار، وقابل لما يُفاض على ألسنة الأخيار والأطهار.

إذا وُجد القابل النوراني، ومعه الفيض الرباني من عبد قال فيه الله: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) تحقق المراد، لكن كيف؟ لا بد من الجهاد، والناس في هذا الزمن يريدون الحصول على كل الأشياء العلوية والدنيوية بغير جهاد!! والله ﷻ ربط كل أحوال المتقين بالجهاد ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ (الشمس)، لا بد من الجهاد ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت) ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى

٦ مسند احمد وموطأ مالك عن معاذ بن جبل ﷺ

ﭐللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (١٧٨الحج) كل هذه من أنواع الجهاد لا بد للمرء من سلوكها والأخذ بها.

## مراحل الطريق

١-التوبة:

فطريق الله ﷻ - باختصار - يحتاج إلى توبة نصوح في البداية، واستقامة، ثم تزكية للنفس حتى يعمل ويفعل بعد ذلك أعمال المقربين الذين يستخلصهم لذاته رب العالمين ﷻ.

ولا تأتي التوبة إلا من مراقبة النفس، فكل هفوة من هفواتها يحاسبها عليها، فيرتقي أولاً من النفس الأمارة إلى النفس اللوامة، فيكون هناك حساب للنفس، ولذلك ينتظر كثير من الأحبة الحساب من الآخرين، وهذا ليس طريقنا، فطريق الله أن تحاسب نفسك أولاً، يقول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ:

**{ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا }** [٧]

قد يساعدوك، لكن لا بد أن تحاسب نفسك، فإن لم يكن عندك استعداد لمحاسبة نفسك وحاسبك أحد فإنك ستدافع عن نفسك، وتكون بذلك قد خدعت نفسك وضعت من هذا الطريق، ولذلك لا بد أن يكون عندك أولاً الباعث والدافع الحثيث على جهاد النفس ومتابعة النفس ومراقبتها، ويكون معك التوبة.

ولذلك فإن التوبة تصحب الإنسان السالك حتى خروج النَفَس الأخير، لأنه يحاسب نفسه أولاً على الذنوب، ثم يحاسب نفسه على العيوب، ثم يحاسب نفسه بعد ذلك بوزنه أعماله بأعمال المقربين، فيجد عمله لا ينفع، فيُحاسب نفسه، ثم يزن أعماله بحال سيد الأولين والآخرين فيُجدد التوبة إلى رب العالمين ﷻ، لأن التوبة مع الإنسان

٧ جامع الترمذي

لا تنتهي حتى ولو بلغ إلى أعلى مقامات الرضوان، ويحاسب نفسه حتى على الهفوات:

هفـــوة العـــارفين أكبـــر ذنـــب فابـذل الـنفس تُمـنحن رضـواني

٢- الاستقامة:

بعد التوبة لا بد للإنسان أن يجدد العزم على الاستقامة، بأن يمتنع عن المعاصي والغفلة بالكلية ظاهراً وباطناً: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ (١٦الجن) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ (٣٠فصلت) بعد الاستقامة يبدأ في جهاد النفس ويزكيها بالتزكية التي تؤهلها لمقام الولاية العظمى والإكرامات الكبرى من الله ﷻ.

فيدخل على مملكة النفس ويتعرف عليها، ويتعرف على الجنود، والأوصاف التي ذمَّها الله ﷻ في النفس ليجتنبها، والأوصاف التي حبَّبَ الله ﷻ العبد في الاتصاف بها ليحاول أن يكتسبها.

ولو وحل الإنسان في هذا المقام فإنه يحدث له نكبات لا عدَّ لها ولا حدَّ لها نسأل الله ﷻ أن يجنبنا إياها أجمعين.

## صفات نهى عنها الله ﷻ

ما الصفات التي لا يريد الله للمرء أن يكون عليها؟

موجودة في القرآن، وموجودة في سُنَّة النبي العدنان ﷺ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢الاحزاب) الإنسان الذي تخلص من الظلم والجهل، لأن الإنسان كان قبل حمل الأمانة ﴿ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

فلا بد للإنسان أن يتخلص من الظلم ومن الجهل، يتخلص من الظلم بأن يُدرب نفسه على العدل في كل أحواله حتى مع نفسه، فقد كان ﷺ يعدل في كل أحواله حتى في مضع الطعام، مرة على الناحية اليمنى ومرة على الناحية اليسرى.

ويتخلص من الجهل، لأن الشيطان لا يدخل للإنسان إلا من جهله، فكل شيء علمته فإن الشيطان يبتعد عنه لأنه لا يستطيع أن يدس أنفه فيه، لأنك تعلم حقيقة هذا الأمر، لذلك لا بد من العلم.

وأيضاً كان الإنسان قبل حمل الأمانة: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ (٥٤الكهف) فلا بد من التخلص من الجدال، حتى ولو بالحق، قال ﷺ:

{ أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا } [٨]

لا شأن لك بالجدال، لماذا؟ قال ﷺ:

{ مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الْجَدَلَ } [٩]

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولاً ﴾ (١١الإسراء) كان الإنسان قبل حمل الأمانة عنده عجلة وتسرع، ولذلك لا بد أن يكون حليم: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤التوبة) حليم في كل تصرفاته، وفي كل أحواله، وفي كل أفعاله.

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ (١٠٠الإسراء) أي ممسك، فعلى الإنسان أن يجمع الصفات الذميمة التي نوَّه الله ﷻ عنها، وبيَّنها رسول الله ﷺ ويتخلص منها.

فالأوصاف الذميمة للنفس:

**الجهل، والغضب، والحقد، والحسد، والبخل، والتعاظم، والكبر، والعجب، والغرور، والرياء، وحب الجاه والرئاسة، وكثرة الكلام، والمزاح، والتزين للخلق، والتفاخر، والأمل، وتتبع العورات، والتهاجي، والتقاطع، والضحك، والحرص، وسوء الخلق.**

## الصفات الحميدة

أما الصفات الحميدة للنفس:

٨ سنن أبي داود والبيهقي عن أبي إمامة ﷺ

٩ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي إمامة ﷺ

**الحلم، العمل، وصفاء الباطن، والإكرام، والتذلل، والرفق، والتواضع، والصبر، والشكر، والزهد والتوكل، والمحبة، والشوق، والحياء، والرضا، والإخلاص، والصدق، والمراقبة، والمحاسبة والتفكر، والشفقة، والرحمة على الخلق، والحب في الله، والتأني في الأمور، والبكاء، والحزن وحب الخمول، وحب العزلة، وسلامة الصدر، والنصح وقلة الكلام، والخشوع والخضوع، وإنكسار القلب، وحسن الخلق.**

**إذاً هناك صفات ذمَّها الله يجب أن تتخلص منها، وهناك صفات يحبها الله يجب أن تتجمل بها، وهذا يحتاج إلى جهاد مع العزيمة.**

## جهاد النفس وآثار تركه

**فإذا تركنا هذا الجهاد فسيحدث ما نراه الآن في الدنيا كلها، يمرض الإنسان، ومعظم الأمراض الجسمانية الموجودة في مجتمعنا وفي كل المجتمعات سببها الأساسي النفس، عدم الإتزان النفسي، والإتزان النفسي لا يأتي إلا إذا تركنا الأوصاف الذميمة للنفس، وتجملنا بالأوصاف الحميدة.**

**عدم التخلق بهذه الأخلاق الكريمة يدلل على أن إيمان الإنسان ضعيف، لأنه ترك نفسه على هواها، والإيمان الضعيف – ويقول ذلك الأوربيون والأمريكان – هو السبب الأول لقلة المناعة في جسم الإنسان، متى تقوى المناعة في جسم الإنسان وتقيه حتى من الأمراض الظاهرة؟ إذا قَوِي الإيمان.**

**وحتى يُزود الله ﷻ عندنا طاقة الإيمان فرض علينا الفرائض وجعلها بانتظام حتى تعطيك شحنات إيمانية ربانية تجعل هناك توازن في ثنائية الإنسان، لأن الإنسان ثنائي، ظاهر وباطن.**

**إذا ترك الإنسان الطاعات التي فرضها عليه الرحمن يقوى في داخله عوامل الإحباط والقنوط واليأس، وكل هذه مسببات للقضاء على المناعة الظاهرة والباطنة.**

وبسبب ضعف المناعة الظاهرة يكون عرضة للأمراض، وبسبب ضعف المناعة الباطنة لا يستطيع أن يواجه ما يتعرض له من صعاب أو أقدار، لأنه ضعيف.

كل هذا سببه الأساسي أن الإنسان لم يقاوم الأخلاق والأوصاف الذميمة التي تتعلق بها النفس وتريدها، ونتيجة ذلك فسيكون الإنسان بعيد عن حضرة الله ﷻ، والبعيد عن حضرة الله حكم عليه الله في كتاب الله أن يتخبط في الأرض حيران، وكما قيل: ((لا من كثير يشبع، ولا من قليل يقنع)).

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا ﴾ (٣٦الزخرف) شيطان الوسوسة بداخلة، أي هواجس النفس، فيعيش كأنه في جحيم في البعد عن حضرة الله ﷻ، سيقع – والعياذ بالله ﷻ – ويتقمص ثياب المنافقين، وكيف يكون من المقربين ولم يتخلص من أوصاف المنافقين؟!! سيكذب، وسيخلف الوعد، ويفجر في الخصومة، كيف يريد هذا أن يكون من المقربين ولم يتخلص من أوصاف المنافقين؟!!.

كل هذه الأوصاف الذميمة لا بد للإنسان حتى لا يقع في هذه الأعراض يديم مراقبة نفسه حتى يعالجها ويحاول أن ينهض بها كما أمر الله ﷻ، ووجَه حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

## ثمائج جهاد النفس

وحتى يستطيع الإنسان أن يتصف بالأخلاق الحميدة والأوصاف الطاهرة للنفس عليه :

أولاً أن يدرب نفسه على الإخلاص لله، فلا يعمل عملاً إلا ويحاسب نفسه بدقة أن هذا العمل لله، فإذا وجد فيه شائبة من رياء أو عجب أو نظر للخلق فيمتنع عن العمل، وهذا بداية السلوك الصحيح للصادقين مع الله، أي عمل حتى لو كان أكل أو شرب أو لهو أو لعب.

لا بد للإنسان أن يُدرب نفسه في هذا الأمر، على إخلاص العمل لله ﷻ، ثم لا

بد أن يلتزم بالطريق الروحي الذي ينتمي إليه، فلا يكون الطريق التزام شكلي، ولكن التزام روحي.

العالم الغربي وخاصة في أمريكا الآن مقبلين على سلوك طريق التصوف، لماذا؟ لأن الصوفية الذين فقهوا التصوف وطبقوه على الحياة العصرية على ضوء هذا الشكل، فهناك الآن مراكز في نيويورك وواشنطن وكل أمريكا للعلاج من الأمراض، هذا العلاج على أساس التوافق الروحي، بالتخلص من الأوصاف الذميمة للنفس، والتحلي بالأوصاف الحميدة للنفس، وهذا هو الطب الرباني الذي يُحصن الإنسان، ويجعله في صحة نورانية وروحانية على الدوام.

وهذا هو الباب الرئيسي للدخول في الإسلام في هذه البلاد الآن، ليس بالخُطب ولا بالكُتب، ولكن آلاف مؤلفة يذهبون إلى هذه المصحات الروحانية يريدون أن يحسوا بالتوافق النفسي والصحة الروحانية، فيجدونها في الأوراد والأذكار والسنن، والفروض التي جاءت بها الشريعة الإلهية، وفسرتها السُنَّة النبوية، والتي التزم بها العارفون فوصلوا إلى هذه الكمالات، وكمثال على ذلك يقول الشيخ ابن عطاء الله السكندري ﷺ: ((أصل كل معصية وغفلة وبعد عن الله هو الرضا عن النفس)).

فلو جاهد الإنسان نفسه في هذا الأمر، وأصبح يراقب نفسه، ويحاسب نفسه، ويعاتب نفسه، فستنصلح كل أموره الظاهرة والباطنة، ويبدأ بعد ذلك جهاد النفس على مبدأ العارفين والصالحين.

إذاً جهاد النفس – وإن كان متعدد المراحل – نحن نقتصره على مرحلتين:

المرحلة الأولى: لحدوث التوازن بين النفس وبين الحقائق الراقية والعالية في الإنسان، فيكون الإنسان في صحة روحانية وجسمانية مشمولاً بعناية رب البرية ﷻ.

يدخل في قول الله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (١٩٧النحل) والحياة الطيبة هي التي فيها راحة البال، وراحة النفس، لأن الإنسان ما دامت نفسه يراقبها ويلومها ويعاتبها فلن تسمح له بأن يؤنبها

على شيء فتمتثل لأمر خالقها وباريها ﷻ.

الجهاد في هذه المرحلة –كما ذكرنا – ترك كل الأخلاق المذمومة التي نهى عنها الله جملة واحدة: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ ظلمات النفس ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (٢٥٧البقرة) نور القلب والروح والصفاء والمشاهدة.

والتجمل بالأخلاق الطيبة التي ذكرها الله ﷻ في قرآنه، وتجدها عند كلمة (يحب): ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (١٩٥البقرة) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة) ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٧٦آل عمران) ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٤٦آل عمران) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٥٩آل عمران) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ (٤٢المائدة) تجمع هذه الآيات، وكذلك أحاديث النبي ﷺ في هذا الباب:

**{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ }** [10]

**{ إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا }** [11]

وهكذا، ويمتثل لأوامر الله في العبادات في التوقيتات التي حدَّدها الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ (١٠٣النساء)، هذا الجهاد لتصفية النفس من اللبس، وحفظ الجسم لتقوية جهاز المناعة في جسم الإنسان، فلا يتعرض للأمراض المستعصية، ولذلك في عصرنا كما تنبأ الحبيب ﷺ:

**{ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعْمَلُوا بِهَا ، إِلا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمْ }** [12]

لأن الذين قبلنا كانوا يسيرون في هذا الجهاد، والأمراض المستجدة في هذا العصر سببها الأساسي اهتزاز النفس ولبسها وعماها عن الطريق الذي خلقها الله ﷻ وأرشدها إليه.

---

١٠ معجم الطبراني والبيهقي عن عائشة ﵂

١١ الحاكم في المستدرك والبيهقي عن سهل بن سعد ﵁

١٢ الحاكم في المستدرك وابن ماجة عن ابن عمر ﵄

## إزالة الحجب

المرحلة الثانية:

بعد ذلك تتجمل بالجمالات والكمالات الإلهية الربانية التي كنت عليها قبل النزول إلى الدنيا، وهذا مقام آخر يحتاج إلى جهاد آخر، مشى عليه الحبيب ﷺ، ومشى عليه أتباع الحبيب ﷺ إلى يوم الدين.

فالإنسان قبل نزوله إلى الدنيا كان يتمتع بالجمال العالي، ثم بعد نزوله إلى الدنيا تنزل الحُجُب، هذه الحُجُب قال فيها ﷺ:

**{ إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ دُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، وَمَا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئًا مِنْ حِسِّ تِلْكَ الْحُجُبِ إِلا زَهَقَتْ }** [١٣]

وفي رواية أخرى:

**{ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ }** [١٤]

الحُجب الكثيرة الموجودة على الإنسان سمَّاها القرآن الران: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (المطففين) وما الذي ران على القلوب؟ حجاب حب الدنيا، وحجاب الطمع، وحجاب حب الجاه وحب الرياسة، وحجاب الأمل في الدنيا الفانية ... هذه كلها حُجب تحجب الإنسان عن فضل الرحمن الذي قدَّره لعباد الرحمن في القرآن.

والحُجب كثيرة، فهناك حُجُب للعقل، وهناك حُجُب للقلب، وهناك حُجب للسر، وهناك حُجُب للخفا، وهناك حُجُب للأخفى، وهناك حُجُب للروح، ونحن لا نتكلم في التفصيلات لكن مجرد إشارات وتنبيهات.

## أعداء الإنسان وجهادهم

---

١٣ معجم الطبراني عن سهل بن سعد ﷺ

١٤ صحيح مسلم وابن ماجة عن عبد الله بن قيس ﷺ

كيف أكشف هذه الحُجُب؟ أعرف الأعداء الأساسيين الذين أنا أحاربهم، وقد جمعهم الإمام الشافعي ﷺ في بيت من الحكمة وقال فيه:

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

كم عدد الذين أعلنوا الحرب عليك؟ أربعة، إبليس، والدنيا، والنفس، والهوى.

العدو الأول: إبليس

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (فاطر) ما سلاح الشيطان الذي يدخل به إلى الإنسان؟ الشبع، قال ﷺ:

{ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ } [١٥]

فسلاحي ضد الشيطان الجوع، وليس معنى ذلك أن لا نأكل، ولكن كما ورد في الحديث عندما رج رسول الله طبيب المقوقس: ((نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع )) وكما قال الإمام علي ﷺ: ((إن الإنسان إذا شبع جمحت نفسه به إلى المعصية)) فعندما تمتليء الأوردة والعروق بالدماء بعد الطعام فإن الإنسان قد يُفكر في المعصية، وفى الأثر الوارد عن عائشة ﷺ قالت:

{ أديموا قرع باب الجنة بالجوع } [١٦]

مشكلة المشاكل في العصر الحديث أن الناس همَّها كله في شهوة الطعام والشراب!! لكن أنا أريد ان أكون من الذين أنعم الله عليهم، فلذلك لا بد أن أسير على هذا المنهاج: (( نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع)).

وكيف نأكل؟ آكل على أن الجوع مرض، وآخذ الدواء الذي يقضي على هذا العَرَض، ما مقدار الجرعة؟ نسأل الطبيب، قال ﷺ:

{ ثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ } [١٧]

١٥ ذُكر في الإحياء، وقال العراقي متفق عليه دون قوله "فضيقوا مجاريه بالجوع "
١٦ ذُكر في الإحياء

الإمام الجنيد ﷺ كان يقول:

((لأن أنقص من عشائي لقمة أحب إليَّ من قيام ليلة))

لو كنت آكل رغيف فأنقصته إلى ثلاثة أرباع رغيف فهذا أفضل من قيام ليلة، ولو أنقصته إلى نصف رغيف فهذا هو الجهاد.

وهذا لا يؤثر على الجسم، لأن الجسم يأخذ ما يكفيه من الغذاء، وما زاد يتحول للمتاعب والمشاكل، فمعظم متاعب النفس في العصر الحديث من الجهاز الهضمي وما يتبعه، وكل ذلك بسبب كثرة الأكل، لكن الإنسان لو مشى على هذا الوضع الإلهي فلن يكون هناك تعب.

وسيرتاح من كثرة دخول دورات المياه!

وسيظل متوضئاً لفترات طويلة بين يديِّ الذي لا يغفل ولا ينام!

وستكون أعماله أضعافاً مضاعفة في الأجر ..... لأنه يعبد الله ﷻ على وضوء وعلى طهارة.

كل الأعضاء في الجسم سترتاح، الكبد والكليتين والمعدة، ولن يحدث لها تعب، لأن هذه الأعضاء هي السبب الرئيسي في معظم الأمراض العصرية لمن لا يستطيع أن يُمسك زمام الفم.

لكن الذي يريد أن يغلب الشيطان ولا يكون له عليه سلطان فعليه بسلاح:

((جوعوا تصحوا))[١]... فلا يأكل إلا للضرورة التي لا غِنى عنها لقوام الحياة، ولإقامة أودة الإنسان.

العدو الثاني: الدنيا

كيف تحاربني الدنيا؟ بالخلق، أريد أن أحادثهم، وأن أجلس معهم، وأن أظهر بينهم، ويكون لي وضع مميز بينهم:

---

١٧ جامع الترمذي وصحيح ابن حبان عن المقدام بن معدي ﷺ

**والخلق فتنة من أردت صدوده وشهود أهل البعد في الأدوار**

والعلاج هنا البعد عن الخلق إلا للضرورات، وأُقلع على الأقل .... من قال وقيل، قال ﷺ:

**{ إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا، قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ }** [١٨]

فأول شيء يكرهه لنا الله القيل والقال، وإذاكان الله ﷻ يكرهها فلماذا أضع نفسي فيها؟! وهذه ليست خلوة بل عزلة بسيطة عن الخلق، فيكون الكلام على حسب الضرورات، ولكن أتكلم مع الذي لا يغفل ولا ينام، يقول الله تعالى:

**{ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي }** [١٩]

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٢٩النجم) إياك من مجالسة الظَّالمين لأنفسهم، والواقعين في المعاصي، وفي القيل والقال والغيبة والنميمة، ولو ركنت إليهم، أو حتى وقع في نفسك أن تكون معهم ستَمَّسك نار البعد التي هم فيها، والركون يكون بالقلب، أي مجرد أني فكرت في نفسي أن أجلس معهم ستقع الإصابة في الفؤاد والقلب والعياذ بالله:

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (١١٣هود) ... نار البعد،.... ونار الصدود عن الله ﷻ.

إذاً ماذا أفعل مع هؤلاء؟ المؤمن عندما يعزم عزماً أكيداً يُلهمه الله بحسن التخلص، فالمؤمن ليس عنده وقت، فأنا كنت أعتقد أني عندما أُحال إلى المعاش سيصبح عندي وقت واسع، ولكن أصبح الوقت بالنسبة لي لا يكفي بسبب كثرة البرامج الطويلة، لأنه لا بد أن يكون لك برنامج مع الله ﷻ تريد أن تنتهي منه.

إذاً لا بد من إقلال لقاء الخلق، لأن سلامة المرء في الإقلال من لقاء الخلق المشغولين بالدنيا والأهواء والشهوات، فلو جلست معهم سيتكلمون في السياسة أو

---

١٨ البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ

١٩ بحر الفوائد للكلاباذي، وأحاديث أبي الحسين الكلابي عن علي بن أبي طالب ﷺ

غيرها، وهذا الكلام يعمل على تسويد صحائف القلب والعياذ بالله، وإذا كان قد صفا قلبي ببعض الذكر قبل هذا الجلوس معهم فقد ضاع.

وعندما أقابل الله ﷻ عند النوم، لا أستطيع النوم، لأني أجد كثير من الشرائط المنسوخة في هذه الجلسة التي جلستها مع هؤلاء القوم:

**فأقلل من لقاء الخلق إلا لنيل العلم أو إصلاح حال**

فلا يكون لقاء الخلق إلا من أجل أن أستزيد في العلم الإلهي، أو لإصلاح حالي مع الله ﷻ، لكن بعد ذلك لا وقت عندي لأحد، وهذا سلاح الدنيا الذي تجر به الإنسان وتبعده عن حضرة الرحمن ﷻ.

العدو الثالث: النفس

ما وظيفة النفس التي تبعد الإنسان عن الله؟ تريد للإنسان الجمود والخمود والقعود والكسل وعدم الرغبة في القيام بعبادة الواحد الأحد ﷻ، فإذا قام لصلاة الفجر تقول له: ما زال الوقت مبكراً، وتحثه على النوم مرة أخرى، فإذا سمع كلامها، سيستيقظ فيجد قد فاته الوقت وهو لا يدري، فإذا تكرر الأمر فسيجد الشمس قد طلعت ولم يستيقظ للصلاة!!.

وإذا نوى زيارة أخ له في الله، فتقول له النفس: قد تذهب فلا تجده، اتصل به بالتليفون فقط، فهذه هي طبيعة النفس، تُجَمِّد الإنسان، وتُخَمِّد الإنسان، وتُكسِّل الإنسان، ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:

**فهيا يا مريد الوصل وانهض ودع عنك التقاعد والتواني**

أو (دع عنك التقاعس والتواني) ما علاج ذلك؟ لا بد أن يكون لي سهر بين يديّ الله في الأوقات التي طلب من الأحبة أن يكونوا فيها أيقاظ بين يديه جل في علاه، متى؟ ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١٨الذاريات) لأنه هو الوقت الذي ينادي فيه الله ﷻ على عباده، فإذا نادى عليَّ يجب أن أرد، قال ﷺ:

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ اللهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ } [٢٠]

هل يليق بمن يريد فضل الله وإكرام الله جل في علاه أن ينام والله ﷻ ينادي على عباده؟!!.

والذي يريد الشهود: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (١٧٨الإسراء). إذاً لا بد أن يكون للسالك كما قال الحبيب ﷺ:

{ عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ } [٢١]

هذا طريق الصالحين: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات) لا يقضون الليل على النت، ولكن يقضونه بين يدي الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴾ (٦٤الفرقان) ليس للشيطان ولا للفيس بوك ولا للهوى ولا غيره!.

هذا علاج النفس، مَن انتصر على نفسه قديماً أو حديثاً بدون هذه القومة لله؟ لا أحد، (( من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته مع الله ﷻ جلسة)).

قد يقول قائل: كيف أسهر وفي الصباح سيكون معي عمل؟ فنقول له: لو صدقت مع الله حوَّل الله ﷻ لك المُحال إلى حال، فسيدنا عمر ﷺ لم يكن ينام بالليل ولا النهار إلا قليلاً بين الظهر والعصر، وكان يقول في ذلك: ((لو نمت ليلاً ضيعت نفسي، ولونمت نهاراً فقد ضيعت رعيتي فجعلت ليلي لربي ونهاري لرعيتي)) فأعانه الله ﷻ.

والإمام أبو حنيفة ﷺ كان يمر فسمع رجلاً يشير إليه ويقول: هذا الذي يصلي

---

٢٠ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٢١ سنن البيهقي والترمذي عن بلال بن رباح ﷺ

الفجر بوضوء العشاء، فقال: وجبت وإلا سأكون من المنافقين، فصَلَّى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة!!، ويظل حتى شروق الشمس، وكان في الصباح يفتح الحانوت في السوق، وبعد صلاة الظهر يبدأ دروسه في مدرسته لتعليم الفقه الذي وهبه له الله جل في علاه، وكان ينام لحظات، والإنسان في ساعات الصفاء فإن اللحظة الواحدة من النوم تُغني عن أيام في المنام.

الإنسان البعيد عن الله قد ينام أياماً معدودة ويشعر بأنه لم يشبع من النوم، لكن إذا كان في حالة صفاء مع الله فلحظة واحدة يتمتع فيها بالهناء العالي، ويكون للنوم مذاق عظيم، لأن الجسم يكون على التراب والروح في الملأ الأعلى مع الله ﷻ، واللحظة من هذه لا تساويها أيام معدودات في النوم:

نَم هيكلي فالروح يقظى مشوقة لأصلها العالي ليست من الترب

وهذا هو السلاح الذي سأقضي به على لمم وبدوات وهفوات النفس.

العدو الرابع: الهوى

والهوى مشكلة المشاكل كلها: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات) أين يظهر الهوى؟ في فلتات اللسان، ففلتات اللسان تُظهر ما في القلب وما في الجنان، يريد أن يتكلم كثيراً.

ما العلاج؟ الصمت: ((الصمت حكم وقليل فاعله)) والحبيب ﷺ يقول:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلَقِّنُ الْحِكْمَةَ } [٢٢]

أنا أريد أن أكون حكيم، ويفتح العلي العظيم ﷻ لي كنوز حكمته، ماذا أفعل؟ الصمت:

الصمت معراج وجوعك طهرة والصمت رفرف حضرة التواب

٢٢ حلية الأولياء لأبي نعيم، وسنن ابن ماجة برواية "يلقى الحكمة" عن عبد الرحمن بن زهير ﷺ

هذا هو البراق الذي يرقى عليه العارفون، يُقال: فلان لا يتكلم إلا قليلاً، الشيخ مكين الدين الأسمر كان يقول فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ: مكين رجل من الأبدال، والشيخ مكين كان يعمل خياطاً، وكما تعلمون فإن محل الخياط مكان لتجمع الناس وكثرة الكلام، ورغم ذلك كان يقول: قبل المغرب أحاسب نفسي على ما نطق به لساني في هذا اليوم، فأجدهم بضع عشرة كلمة، فما وجدته في الخير حمدت الله تعالى عليه، وما وجدته غير ذلك استغفرت الله ﷻ منه!!.

لو معك تسجيل صغير وسجلت كلامك في النهار فستسجل كم شريط؟! وكل كلمة إما لك وإما عليك: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق) أي بعض قول، والرقيب العتيد هو الله ﷻ.

كل كلمة ستحاسب عليها، ولذلك قيل: ((من عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه)) والمؤمن لا ينطق بكلمة إلا إذا حسبها بفِكره، ووزنها بعقله، ثم عرضها على قلبه، فإن أذن له بالنطق بها نطق بها، وإلا حفظها ولم يُخرجها، وهذا حال المؤمنين الصادقين.

## بين منهم ومعهم

إذا واظب الإنسان على هذ الجهاد رُفعت عنه الحُجُب، وتولاه الله ﷻ بولايته، وجعل له حظوة عند أهل عنايته، فيحبونه لما يتسم به من أوصاف قرآنية، وأخلاق مُحَّدية، وإذا أحبوه ونظر الله ﷻ في قلوب أحبابه أنهم يحبوه زيَّنه الله ﷻ بزينة الصالحين، وجمَّله بجمال المقربين، وحفظه من كل سوء في الدنيا، وأعطاه كتاب الأمان يوم الدين، لأن الله ﷻ آلى على نفسه ذلك في كتابه المبين وقال: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (١٥لقمان) وأقرَّ ذلك سيد الأولين والآخرين ﷺ.

إذاً لا بد أن يكون معه في هذا الجهاد روح عبد نوراني شفافة تمنحه طاقة روحانية من وراء الوراء ترفع عنه هذه الحُجُب الدنيوية والظلمانية، ثم تراقبه حتى ترفع عنه الحُجُب النورانية، حتى يكون من أهل التملِّي من الحضرة المحمدية، ثم يُكَحله ﷺ بإثمد الأتقياء حتى يؤهله لقول رب البرية: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾

(القيامة).

كثير من الأحباب يريد في لحظة بدون جهاد التجلي!

أو يريد أن ينام فيرى نفسه في الملأ الأعلى!

أو يرى في منامه رسول الله ﷺ!

وهذا بغير جهاد!!!

ويعتمد على شيخه!!

وهل المشايخ وصلوا من غير جهاد؟!

وهذا شيء غريب عند بعض الأحبة، لكن جاهد تشاهد.

فإذا لم تجاهد فأنت ما زلت محب!

وأنت في مقام طيب كونك محباً،...

وستكون مع الأحباب يوم القيامة!

لكـــــــن .....: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (٩٥النساء).

هناك فرق كبير بين (منهم) وبين (معهم):

فمنهم:

أي شريك معهم ويحظى بفتحهم وفضلهم، وهذا يحتاج إلى جهاد، وهذا الجهاد لا يحتاج إلى تسويف ولا تأجيل، ولكن فوري، وليس فيه أجازة يوم أو يومين أو أسبوع، وليس له نهاية!

يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

((لا ينتهي جهاد النَفْس حتى مع كُمَّل العارفين إلا مع خروج النَفَس الأخير))

فميادين الجهاد واسعة، فلا ينتهي الجهاد حتى خروج النَفس الأخير:

**مــن كــان منَــا يرآنــا ويودنــا ويفــوز منــا بالصــفا ويــوالي**

فلا بد أن تجاهد لتشاهد، وهذه نصيحتي للأحبة، فالمقامات موجودة، والرُتب موجودة، وتُريد من يشغلها، وهي تحتاج إلى جهاد بسيط، المهم أن تنوي، وبعد أن تنوي فالباقي على الله ﷻ، لكن تنوي بعزم أكيد.

ولا تضحك عليك نفسك وتحاول أن تُرضي شيخك، لكن يجب أن تُرضي الله، فالعلاقة بينك وبين الله مباشرة، ونحن نساعد بعض لكن المراقبة لنفسك ولله، ولنفسك مع الله جل في علاه.

## الأوراد

وهناك جزء مهم، فقد قالوا:

((مَن لا وِرْد له لا وُرُود له))

فكثير من الأحبة تركوا الأوراد، بحجة أنها لأهل البدايات!

لكن أهل النهايات لم يتركوا الأوراد، فالإمام الجنيد – وهو سيد الطائفة – في آخر أنفاسه يختم القرآن، ويمسك بالمسبحة في يده، وسُئل في ذلك فقال: شيء وصلنا به إلى الله لا نتركه حتى نلقى الله!!!

وقيل له: لماذا تقرأ الوِرد وأنت في هذه الساعة؟ قال: وما في ذلك أن يكون آخر أنفاسي في الحياة الدنيا أن أختمها بقراءة كلام الله جل في علاه، وبعد أن انتهى من وِرده كان مع الكريم ﷻ.

لذلك من هفوات النفس أن تنشط في رمضان، وبعد رمضان تترك الأوراد، أين مراقبتك لنفسك؟! فالشيخ لا يراقبك لأن الوِرد لله، فإذا لم تستغفر الله فكيف تنتظر فضل الله ﷻ؟!!.

تُصلي على الحبيب ﷺ عندما تسمع إسمه لكن ليس لك وِرد كالصالحين السابقين تُصلي فيه على النبي ﷺ، فكيف تطمع في فضل الله على يد رسول الله ﷺ؟! والسابقين كانوا يقولون: لا ينبغي لمن سلك طريق الصالحين أن يُقلِل عن ثلاثمائة مرة في الصلاة على النبي ﷺ كل ليلة مع حضور القلب وصفاء الذهن.

فأن تُصلي على النبي ﷺ عندما تسمع إسمه فهذا خير، لكن ليس كأهل القدر العالي، ما الصلة التي بينك وبين كتاب الله؟!.

إذاً لا بد من الأوراد، ومجالس الذكر، فإذا غفلت عن ذلك فليس لك شيء، فمنهج الصالحين أن يحافظ الإنسان على ما كُلِّف به من الله، ومن رسول الله، ومن شيخه، لا يتخلى عن ذلك كله طرفة عين ولا أقل، فإذا راودته نفسه، فيجب أن يصدَّها، فإذا صددتها فستنتهي، لكن إن استسلمت للنفس فستدخل في طور النسيان، ولن تصبح من الذين يقول فيهم الرحمن: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ (١٥٢البقرة).

نسأل الله ﷻ أن يبلغنا هذا المقام، وأن يمتعنا بهذا الإكرام، وأن يعيننا على أنفسنا، وأن ينصرنا عليها نصراً عزيزاً، ويفتح علينا فتحاً إلهياً، ويمنحنا سكينة وطمأنينة قلبية، ونشوة ومحبة روحانية، ويجعل لنا في أسرارنا أسراراً إلهية، نكون بها من الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون

**وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**

# الوصل الثاني

# أصول البدايات

- العتيقة
- تحذير السالكين من البث
- الأوراد
- الإذن للورد والرابطة الروحانية
- الشوق
- رفع السماوات بغير عمد
- أهل السر
- درجات الفتح النوراني
- حظ المريدين من مقام شيخهم

# الوصل الثانى: أصول البدايات[1]

## العتيقة

**سؤال[2]: هل هناك شيء يسمى عتيقة من النار، وهي أن تقول (أستغفر الله العظيم وهو التواب الرحيم) سبعين ألف مرة وهي العتيقة الصغرى، أو مائة ألف مرة وهي العتيقة الكبرى،؟**

**العتيقة هى عتق رقبة العبد من النار ... وهذا الأمر مذكور في بعض كتب الرقائق، وإن كانت الأحاديث المروية عنها فى تلك الكتب كلها أحاديث ضعيفة، ولكنه يُعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والرغائب وذلك منها قوله ﷺ:**

**{ من قرأ قل هو اللَّه أحد مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من اللَّه ، ونادى مناد من قبل اللَّه تعالى فى سماواته وأرضه : ألا إن فلانا عتيق اللّه }[3]**

**والتى يسمونها العتيقة الصغرى هى الإستغفار سبعون ألف مرة كما ورد بالأثر[4]، وهذه نعطيها للأناس المقبلين على لقاء الله، الذين كبروا في السن وأصبح على باب الآخرة، ويحتاج أن يعوض ما فاته ....، أو يستغفر من ذنوبه .....، فأفضل عبادة له الاستغفار، ولعتيقة الإستغفار شواهد ودلائل من الأحاديث النبوية الشريفة الثابتة مثل ما روى عنه ﷺ:**

---

١ المعادي – الجمعة ٢١من ذو القعدة ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/٩/٤م

٢ الأسئلة المذكورة أتت على الهواء عبر الإنترنت أثناء محاضرة أسئلة حائرة وإجابات شافية.

٣ رواه البزار بسند ضعيف، قال الصاوي في حاشيته على الجلالين: هي عتاقة من النار بشرط ألا يكون عليه حقوق العباد أصلاً، أو عليه وهو عاجز عن أدائها، أما من قدر عليها فهو كالمستهزئ بربه. وبناء على هذا الحديث الذي يعمل به في فضائل الأعمال نص جماعة من متأخري المالكية على استحباب عتاقة الصمدية، ذكر ذلك المحدث عبد الله الصديق الغماري في كتابه " فضائل القرآن – فتاوى دار الإفتاء المصرية للشيخ عطية صقر.

٤ – ( فيض القدير):قال ابن عربي: أوصيك أن تحافظ على أن تشتري نفسك من الله بعتق رقبتك من النار بأن تقول لا إله إلا الله سبعين ألف مرة فإن الله يعتق رقبتك أو رقبة من تقولها عنه بها ورد به خبر نبوي.

– (تحفة المحتاج في شرح المنهاج، وحواشي الشرواني): أَيْ كَالتَّهْلِيلِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ الْمَشْهُورُ بِالْعَتَاقَةِ الصُّغْرَى

– ( القرطاس) و(المستطرف في كل فن مستظرف):.قال الشيخ أبي زيد القرطبي: سمعت في بعض الآثار أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كان فداه من النار، فعملت ذلك رجاء بركة الوعد، ففعلت منها لأهلي وعملت أعمالا أدخرتها لنفسي.

{ مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ : سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ أَلْفَ مَرّة - وروى ( مائَةَ مَرّة )- فَقَد اشْتَرى نَفْسَهُ مِنَ اللهِ، وكانَ آخِرُ يَومِه عَتِيقَ اللهِ }[٥] ، { مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ : لاَ إِلَـٰهَ إِلاّ اللّهُ وَاللّهُ أَكْبَرُ، أَعْتَقَ اللّهُ رَقَبَتَهُ مِنَ النّارِ }[٦]

وهناك عتيقة أخرى يسمونها العتيقة الكبرى وتعارف الصالحون على أنها قراءة سورة الإخلاص مائة ألف مرة، وقد ذكرنا فيها حديث البزار ضعيف السند ولكنها أيضاً لها شواهد قريبة أيضاً من الأحاديث كقوله ﷺ:

{ مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ أَلْفَ مَرّةٍ فَقَد اشْتَرَىٰ نَفْسَهُ مِنَ اللّه }[٧] ، { مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ مِائَةَ مَرّةٍ فِي الصّلاَةِ أَوْ غَيْرِهَا كَتَبَ اللّهُ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النّارِ }[٨]

وهذه العتيقة الكبرى نعطيها أيضاً لهم، فنعطيهم العتيقة الصغرى، ..... وبعد أن ينتهوا منها نعطيهم العتيقة الكبرى، ..... ونرى أن هذا يكون سبباً لعتقهم من النار إن شاء الله رب العالمين.

إذا أراد المريد في بدايته أن يأخذها فلا مانع، فقد كان السلف الصالح وخاصة أتباع الطرق كالخلوتية وغيرها يأمرون المريد عندما يدخل طريق الله ﷻ – قبل أن يعطوه أي أوراد – أن يستغفر الله سبعين ألف مرة، حتى تمسح ما فات، ثم يعطونه بعد ذلك الأوراد، ولا يحددون له زمن للانتهاء منها، وكان معظمهم يستحسن أن يستغفر كل يوم ألف مرة، بعد كل فريضة مائتين مرة، فيستغرق سبعين يوماً، وبعد ذلك يظهر عليه علامات التوابين والمتطهرين، فيعطونه الأوراد.

والأوراد إذا داوم عليها المريد يكون لها علامات تظهر على صفحة الوجه، وأنا أذكر عندما كنت شاباً في بداية الطريق، وأكرمني الله ببداية شديدة فاجتمع حولي عدد كبير من أهل بلدتي، حتى كنا نملأ المسجد، وكنا نختم صلاة الصبح حتى شروق الشمس، فكان الذي لا يقرأ الوِرد القولي، أو الوِرد القرآني لمدة يوم أو يومين أعرفه،

٥ عن ابن عبّاس ﷺ رواه الطبراني في الأوسط، مجمع الزوائد، والواية الثانية عن أبي الدرداء ﷺ.
٦ رواه ابن السني وابن عساكر عن أَبِي الدَّرداءِ رضَي اللَّهُ عنهُ.
٧ الخِيارِي في فوائده عن حذيفةَ رضَي اللَّهُ عنهُ. جامع المسانيد والمراسيل
٨ (طب) عن فيروز الدَّيلمي ﷺ جامع المسانيد والمراسيل

لأن الوِرد يظهر نوره على الوجه: ﴿ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ ﴾ (٢٧٣البقرة) ...

تظهر في سيما الإنسان، يقول سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: ((كنا نعرف الكذاب بعلامة في وجهه)).

فالمصيبة الكبرى أن كثيراً من المريدين لا يحسبونها جيداً مع الصالحين الصادقين أهل الإشراق!!!، والصالحون يتركونهم لأنفسهم: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا ﴾ (٤٦فصلت) فالشيخ لا يحتاج منك شيء، لكن أنت المحتاج له!، فلو عملت صالحاً فسيضعوك في كشوفهم، وإن لم تعمل فستكون في كشوف الجزاءات، والجزاءات تكون شديدة لكنك لا تدري.

- يقول أحدهم لرجل من الصالحين: أنا عملت كذا وكذا من المعاصي ولم أجد عقاباً!!، فقال له: هل أنت تقوم الليل؟ قال: لا، قال: وهل هناك عقاب أشد من هذا؟!! محروم من قيام الليل.
- والعقاب الأشد الغفلة عن ذكر الله ..... أن يمشي الإنسان ولا يذكر بلسانه إلا فلان وعلان!!!، ولا يذكر الله!!!
- وهناك أنواع كثيرة من العقاب، يغفل عنها كثير من المريدين.

إذاً المريد :

- يبدأ أولاً بالاستغفار سبعين ألف مرة!
- إلى أن يغفر الله ﷻ له ويطهّره !
- ثم يبدأ بعد ذلك في الأوراد!
- ويحافظ على نفسه من المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن.

# تحذير السالكين من النت

أنا أحذر الأحبة كباراً وصغاراً: إياكم ثم إياكم ثم إياكم من النت وفيروساته، فهو الآفة العظمى التي أصابت كثير من السالكين في مقتل!!

فلو تعوَّد أن يرى أشياء خارجة فإن النفس تتلذذ بمشاهدة هذه المناظر، فيضيع: ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ (١١الحج).

فليحذر الجميع من ذلك، ويَقُوا أبنائهم من ذلك، لا تراقبه لتعرف هل يرى هذه الأشياء أم لا، ولكن أهم شيء ما الذي وضعته أنت في قلبه؟ لأنه يجب أن يراقب الله لا يراقبك أنت، فتبقى معه حتى تذيقه طعم الخشية، ويطمئن قلبه بذكر الله، وبعد ذلك لا تخش عليه ولو من الشيطان: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف).

# الأوراد

**سؤال: هل الأوراد التي يأخذها المريد بعد أن ينتهي من العتيقة الصغرى والعتيقة الكبرى مكتوبة أم غير مكتوبة؟**

هناك أوراد أهل البداية، وهي مكتوبة، وقد ذكرناها في كتابنا (أذكار الأبرار) أما أهل العناية الذين ترقوا قليلاً تكون أورادهم إلهام فوري من الله ﷻ لهم، لذلك أورادهم تختلف.

هناك من يأخذ الوِرد فيُخلص فيه فيجد الفتح، وهناك من يأخذ الوِرد فيتركه فيقف، ولا يفتح عليه، ويطلب ورداً آخر، كيف ولم يُفتح عليك؟!!.

هناك أوراد لسانية، وهناك أوراد قلبية، وهناك لطائف برزخية، وهناك بعد ذلك تجليات روحانية، ولكل مقام مقال، فالأوراد موجودة لأهل الجد والاجتهاد الذين لهم مقصد عال، لكن لا يجوز أن آخذ الوِرد وأتركه، كالذي يذهب للطبيب فيعطيه روشتة الدواء فلا يأخذها، هل يطلب روشتة أخرى؟! أويعطيه الصيدلي تركيبة عظيمة ولا

يأخذها!!.

لكن (من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يكن يعلم) وهذه أول نتيجة، لكن إذا أردت النتائج التي في اليدين، والتي تراها العيون فلا شأن لنا بهذه النتائج، لأن الذي تراه العيون وتلمسه اليدين نحن نريد فيه البركة، وأنت لجهلك تريد فيه الكثرة، والكثرة لن تُغني عنك شيئاً، لكن البركة لو جاءت فإن القليل سيُغني عن الكثير.

## الإذن للورد والرابطة الروحانية

**سؤال: ما الفرق بين قراءة الورد القرآني بإذن من الشيخ، والقراءة بدون إذن؟**

كل المسلمين في قراءة القرآن مأذونين فيه من الله: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (٢٠المزمل) لكن الشيخ إذا كان سيخص إنسان بآيات مخصوصة فهو لعلة يراها تزول بهذه التلاوة، لكن غير ذلك كلنا مأذونين بالتلاوة ولكن مع التدبر.

وهناك كثير من المريدين يشتكون من عدم الفتح، وذلك لأنهم يجهلون الطريقة التي بها الفتح، لكن الطريقة التي علَّمها لنا مشايخنا والتي بها نجد الفتح في كتاب الله ﷻ وفي الأوراد، وهي لا بد أن يكون هناك رابطة روحانية بينك وبين خير البرية ﷺ، فكل محطات البث التليفزيونية موجودة في كل مكان لكنها متى تظهر على الشاشة؟ إذا كان هناك جهاز استقبال، لأنه يربط بين الشاشة والإرسال.

كذلك هناك محطة استقبال يُجهزها سيدنا رسول الله ﷺ ويعطيها تصريح بالبث من حضرته إلى قلوب الأحبة الذين شوقهم زاد، والذين غرامهم نما، والذين هيامهم داب، حتى يتمتعوا بالعطاءات الآتية في روحانية المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

ماذا أفعل من أجل ذلك؟ هذا الذي تعلمناه، فعلى الإنسان أن يستحضر صورة شيخه عند عمل وِرده، أو عند تلاوة كتاب الله، ويستحضر أن شيخه هو الذي يقرأ وهو يسمع القرآن من شيخه، وهذا الذي مشينا عليه، وكان الواحد منا عندما يقرأ بهذه

الكيفية يحس بأن بحار من المعاني الإلهية تتفجر في القلب، لم يقرأها في كتاب، ولم يسمعها من عالم، وكلما أعاد التلاوة يجد بحار أخرى من المعاني تتنزل.

ماذا تفعل صورة المرشد؟ تسد الحواس الظاهرة، فيُخلص الإنسان، وتمنع واردات الحواس كالعين والأذن واليد وغيرهم، وتفتح الحواس الباطنة، فتأتي العطاءات الباطنة.

لكن لو قرأت ولا يوجد استحضار، فإن الحواس الظاهرة مفتوحة، فأنا أقرأ لكني أسمع فلاناً يتكلم في كذا وكذا، هل هذه القراءة بصفاء أم مشوشة؟! أو أنا أقرأ وعيني تنظر هنا وهناك، فما شكل هذه القراءة؟! مشوشة لأن الحواس الظاهرة مفتوحة، قال في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه: ((صورة المرشد تمنع واردات الحواس عن القلب، فتكون الحواس تحت سلطان القلب، والقلب يتلقى من الرب ﷻ)) وهذه هي البدايات الأصلية في سلوك أهل المعرفة الروحانية.

وغير ذلك من قراءة الأوراد ليل نهار فهو عابد، والحاضر فيه له عليه درجات، وغير الحاضر فيه لا يكتبوه، والدرجات حسنات في الدار الآخرة، لكن ليس له علاقة بالمِنح .... يقرأ القرآن، ويقوم الليل، كل هذا عابد، ولا مانع سيعطيك الله ما تريد وزيادة، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، لكن الفتح الإلهي ليس له طريق غير ما ذكرنا.

ما الذي منع يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام من الفاحشة بعدما تزينت له زُليخة وكانت أجمل أهل زمانها؟ وقالت: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ (٢٣يوسف) وفي قراءة أخرى ﴿ هُيِّئْت لَكَ ﴾ ما الذي منعه؟ برهان ربه: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ (٢٤يوسف) وما برهان ربه؟ قالوا: صورة أبوه مرشده سيدنا يعقوب عليه السلام.

عندما همَّ بها وجد صورة المرشد أمامه، فمنعه سواء لو همَّ بقتلها أو غير ذلك، لأنه لو قتلها فستكون مصيبة بالنسبة له، لأنه في هذه الحالة سيقولون قتلها لأنه كان يريدها فامتنعت.

## الشوق

**سؤال: ما معنى الشوق؟**

الشوق هو الحب الزائد الذي ينمو ويتزايد رغبةً في حبيب الله ومصطفاه ﷺ، أو في التملي أو التمتع بالمشاهد العالية من كمالات الله جل في علاه.

وهذا الشوق ينمو فيصير عشقاً، ثم يتحول إلى هيام، ثم يتحول إلى اصطلام، ثم يتحول إلى فناءٌ بالكلية في المحبوب، فلا يبق للمُحب هُويّة ولا أنيَّة مع المحبوب، وهو الذي قيل فيه: ((لا يصِّح الحب بين إثنين حتى يقول أحدهما للآخر: يا أنا)).

وهي الدرجات التي يرتقي الناس فيها، وهي مذاقات وليست كلمات، فلا نريد أن نشغل أنفسنا بالكلمات كبعض من ينتسب للصوفية، والذين يشغلون أنفسهم والناس بكلمات عالية من كلام السادة الصوفية ويردِّدُونها بينهم فمن يسمعهم يقول: هؤلاء أهل أحوال عالية، وأهل مقامات راقية، وهم ليسوا على شيء، يحملون البضاعة فقط على رؤسهم ولا يحملونها في قلوبهم.

والشوق لا ينمو إلا بمجالسة أهل الشوق، وهناك شوقٌ ظاهر وهو للمظاهر، لكن شوق أهل الحقيقة باطن لعَالم الغيب الذي تجلَّى الله ﷻ فيه في باطن سيدنا رسول الله ﷺ.

فهناك فرقٌ كبير بين من يشتاق لزيارة المقام في الروضة، وبين من يشتاق للذات المحمدية، وهناك فرق بين من يشتاق للكعبة كمبنى، ومن هو ناظرٌ نظرةً أعلى ويشتاق إلى كعبة الأرواح، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه عندما كان واقفاً عند الكعبة خاطبها وخاطب الله وقال:

**حبـــي لمبنـــاكَ هيمنـــي وأرَّقنـــي فكيـــف إذا مـــا أشـــرق المعنـــى**

فكيف بمن أشرق عليه عالم المعنى؟ ماذا يفعل؟! ولذلك أعجب عندما أرى المساكين الذين يذهبون إلى هناك، منهم من ينخرط في البكاء وغيره ذلك، فما بالك لو رأيت ذرَّة من عالم الحقيقة ماذا تفعل؟! إذا كنت عند الجدران وتبكي، فما بالك لو رأيت القلب العامر بالله؟! فهذا البيت الذي بناه إبراهيم، وآثار الخليل فيه، فما بالك بالبيت

الذي بناه الجليل ﷻ في قلب الحبيب الأعظم؟! هل هذا كذاك؟!.

هل يستوي البيت الذي بناه الخليل مع البيت الذي بناه الجليل؟! فهذا به آثار، ولكن الآخر فيه أسرار، وفرقٌ شاسعٌ بين الآثار والأسرار، لذلك لا بد للإنسان أن يكون في البدايات مع أهل العنايات.

والشوق مزعج، يزعج كل الأعضاء الظاهرة والباطنة لبلوغ المراد، ومثلاً في الدنيا: إذا اشتاق الإنسان لواحدة يحبها، فعند نومه يطوف به خيالها فيمنعه من المنام، وعند أكله يرى خيالها فلا يتلذذ بالطعام، يريد أن يتكلم فيتذكر نغمات كلامها فلا يتهيَّ لسماع أي كلام.

وهذه الحالة أيضاً يراها المحبين، والذين هم ذوي شوقٍ وهيام، فلو ذهب أو أتاه رجل آخر ويريد أن يُسمعه، حتى ولو كان علماً من القدس الأعلى يجد أن عنده انصراف وصدود عن كلامه ولا يريد أن يسمع، لأن أذنه الواعية جُبلت على السماع من شيخه.

فالشوق يجعل كل حقائق الإنسان الظاهرة والباطنة تتَّجه إلى حبيب ذي هيامً وغرامٍ، وتريد أن تتقرب منه وتريد أن تعيش معه، وتريد أن تحظى بلقياه، وتريد أن تحقق المنى معه.

ونحن نعجب من الشوق مع الغيبة، الغائب يشتاق حقاً، لكن الإمام أبو العزائم سأل سؤالاً فقال: هل يشتاق حاضر؟ فلم يجبه أحد، فقال: هناك مقام المعية، وهناك مقام العندية، وهناك مقام اللدنية، فكل ما دخل إلى مقام يشتاق للمقام الأعلى في هذا المقام، الحضور معية في مقام المعية، فيكون الشوق لمقام العندية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨النحل) غير: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ (٢٠٦الأعراف) هل هؤلاء كهؤلاء؟! وهؤلاء غير: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) ولذلك المقام الأعظم للحبيب ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ ﴾ وهذا مقام اللدنية، لا جبريل ولا غيره، مقام اللدنية مباشرة: ﴿ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾

(٦النمل)، هذه المقامات تحتاج إلى سير وسلوك وأذواقٌ ومشاهدات، وليست علم ولكنه ذوق:

العلم حدٌ وفوق العلم أنوارٌ والنور غيبٌ وفوق الغيب أسرارٌ
والسر يجذبني لشهود حضرته وهو الوليُ تعالى وهو ستَّارُ

فيرتقي الإنسان في هذه المقامات، فأول شيء يُحصِّل العلم، وبعده يعمل بالعلم، حتى يرى نور العلم، فلو وقف عند الأنوار يُحجب عن الأسرار، فلا يقف عند الأنوار ليرى الأسرار، ولو وقف عند الأسرار يُحجب عن وجه النبي المختار ﷺ الذي هو مصدر هذه الأسرار .. وهكذا، ولذلك كان ﷺ يستغفر الله فيقول:

{ وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً } [٩]

وقال في الرواية الأخرى:

{ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ } [١٠]

فالذين هم على قدرهم قالوا: إن رسول الله مثلنا يأتيه أشياء على قلبه، فسيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه قال: تحيَّرت في هذا الحديث، فجاءني سيدنا رسول الله ﷺ في المنام وقال لي: ((غين الأنوار لا غين الأغيار يا مبارك)).

هناك فرقٌ بين غين الأغيار للناس العاديين، والأغيار يعني الدنيا وما فيها من الشهوات والأهواء والأولاد والنساء وما شابه ذلك، وبين غين الأنوار، والأنوار لا منتهى لها ولا حدَّ في إدراكها، وسيدنا رسول الله ﷺ في كل نفسٍ يرتقي، فكلما ارتقى في مقام يرى المقام الذي قبله كان بالنسبة له غينٌ فيتوب إلى الله ﷻ منه ويستغفره.

ولذلك قال: زدني: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤طه) والعلم في هذا المقام شهود، وليس علم كعلمنا: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ (١٨آل عمران).

---

٩ البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

١٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن الأغر المزني ﷺ

والعلم هنا شهادة، أى شهود، فكان ﷺ يشهد على الدوام وجه ربه ﷻ في تجلياته التي لا تتناهى ولا تُعد ولا تُحد.

إن الله ﷻ يتجلى في كل الأنفاس بتجليات لا حد لها، ولا يدرك ذلك إلا من أعطاهم الله ﷻ هذا المقام العَلي، وكانوا على صلة مباشرة روحانية بحضرة النبي ﷺ.

## رفع السماوات بغير عمد

**سؤال: ما معنى قوله تعالي: ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾ (٢الرعد)؟**

السماء مرفوعةٌ الآن، فكم عمود يحملها؟! فهل ترى أعمدة تحملها؟! لا، فبأى شيء رفعها الله ﷻ؟ بإسمه الرافع: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾ (٧الرحمن) تجلَّى عليها الله ﷻ بإسمه الرافع فرُفعت بغير عمدٍ ترونها.

ولها معنى آخر إشاري: لو لم تعتمد على نفسك، وفنيت في ربك، وأبصرت بالله، ففي هذه الحالة: ترونها بغير عمدٍ.

يعني لو نزَّهت نفسك عن الإعتماد على العمل والحول والطول وفنيت في الله فترى السر، والسر لا يُكشف إلا لأهله، فكيف تكشفه لغير أهله؟! لأنهم لم يروه ولن يروه، وهو إشاري في الآية لأهل العناية.

والسماء من السمو يعني الرقي، وكل مقامات الرقي التي يرقى الإنسان فيها إلى الله، ما شكلها؟ وكيف تصل إليها؟ وكيف تسير إليها؟ سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه، خادمه تطاول في النقاش قليلاً مع سيدي أبي العباس المرسي، فغضب الشيخ وقال له: كيف تتكلم مع أبي العباس بهذه الكيفية؟! والله لأبو العباس أعلم بطرق السماء منك بطرق الأسكندرية.

المريدين الصغار فهموا أن السماء بها طرق وأبو العباس يعرفها، ولكنها طُرق السُمو إلى الله، والطرق التي يسمو بها المرء إلى مقام الصفاء والنقاء والشفافية، وهي

طرقٌ كثيرة، (لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق).

فكل واحد له طريق أو أكثر من طريق، الطبيب يجربه في طريق فإن لم يفلح يضعه في آخر وهكذا، فإذا صدق في النهاية لا بد أن يصل، وإذا أخذ مرةً واحدة ولم يفلح، وقال: الشيخ لا يصلح، فلا فائدة فيه لأنه غير مؤهل لهذا المقام.

## أهل السر

فأبو العباس يعرف طرق السُمو والرقي إلى الله ﷻ أكثر من معرفته هو بطرق الأسكندرية، وانتبهوا لحديث النبي ﷺ عندما يقول:

**{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ }** [11]

وجبريل هو الروح الأمين، والذي فيه سر الروح، والذي به الفتوح، والذي ينفخ الروح لمن أراد الله ﷻ له وبه الفتوح: ﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ (١٥غافر).

ويُحبه أهل السماء وهم أهل السمُو في المقام في هذه الحياة الدنيا، لأن هؤلاء قومٌ في نظر الله لهم المكانة والوجاهة عند الله ﷻ، وهؤلاء الذين إذا شهدوا للمرء فيا هناءه، لأن هؤلاء أصحاب المقام العالي عند الله ﷻ، والذين قال لهم حضرة النبي ﷺ عندما مرت بهم جنازة فأثنوا عليها خيراً:

**{وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: مَا وَجَبَتْ، قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ }** [12]

---

١١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

١٢ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

وقال هذا لمن كان حوله وقتها، من أهل الصُفَّة المباركين وليس الكل، وهؤلاء هم أهل المقام العالي، وهؤلاء أهل السُمو، سَمُوا عن الحظوظ والأهواء والدنيا الدنية والمطامع الفانية، وتعلقت قلوبهم بالله ﷻ وحبيبه ومصطفاه، ومراقي الصالحين الكُمَّل من عباد الله.

فلم تشغلهموا دنيا وأُخرى عن الإخلاص للذات العلية
عبيدٌ أخلصوا لله قلباً وقاموا خاضعين بصدق نية
ومن يد سيد الرسل التهامي سُقوا خمر البشائر أحمدية
صُفوا لله من ميلٍ وحظٍ فكان القرب منه لهم عطية
فخلَّ الخلق خلفك ثم عامل بصدق ذات مولاك العلية

فهؤلاء هم أهل السُمو عن الداني والفاني، والذي كل من فيه يعاني، ولذلك هم في عالم القرب دائماً والتهاني، وهم الذين يقول الرجل فيهم: ((لو يعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه بالسيوف)).

فليس عندهم لا خدم ولا حشم، ما فيه من الهناء والجلاء والصفاء والبهاء والنور والضياء التي يواجههم بها إمام الرسل والأنبياء، والتي يتنزل الله ﷻ لهم بها في حالات الصفاء، تجعل الواحد منهم ليس له شأن بالدنيا.

هؤلاء هم أهل السُمو!!! ... يحبه أهل السماء!!

ويُوضع له القبول في أهل الأرض الذين لم يزالوا محبين وليسوا محبوبين، لأنهم مشغولون بالطوب والطين، فلما ينتقل من مقام مريد إلى مراد، ومن محبٍ إلى محبوب، ومن طالبٍ إلى مطلوب، ومن مُخلِصٍ إلى مُخلَص، وهذا بعد الصفاء، لكنه لا يزال في المقام الأول.

## درجات الفتح النوراني

**سؤال: ما درجات الفتح النوراني؟**

من يستطيع أن يعُد، رجل سأل أحد الصالحين وقال له: أنا أريد أن أصل إلى مقام الإحسان، فقال له: بينك وبينه عشرة آلاف مقام!! فمن يستطيع أن يعدُّهم أو يحدهم أو يوصِّفهم؟!

لكن ماذا نفعل؟ نُسلِّم، يقول أحدهم مثلاً: أنا أسافر إلى أسوان لأتعرَّف على البلاد التي في طريقي، هذه البلدة وغيرها، وهذا النجع وغيره، هذا سيحتاج إلى سَنَة وقد لا يصل، فماذا أفعل؟ أحجز في القطار، وأُسلِّم نفسي لسائق القطار، وأقول له: أنا أريد أن أصل إلى أسوان، ولا أنظر إلى هذه المحطة ولا إلى تلك المحطة، فيقول لي: ستصلها بعد ساعات محدودة، وبعد هذه الساعات أجد نفسي في أسوان.

**فسلم لأهل الحال روحك واعتقد تفُز بشراب الراح عند وروده**

لكن العقل يقول لي: ستمشي كم محطة؟ وأين تذهب؟ والعقل لو وقف عندي سيكون حجر العثرة لي، لأن كل شيء يريد أن يزنه بميزان حسِّي، وهذه الأشياء لا تُوزن، فهل يصِّح أن أزن الذهب بميزان قباني؟! أو حتى بميزان كفَّات؟! لا، فالعقل يزن المحسوسات والملموسات، لكن عالم غير المرئيات ما للعقل وما له؟! سيحتار: ﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٤الملك) والبصر هنا هو العقل، لأنها ليست قدراته، ولكنها تحتاج العقل النوراني.

والعقل النوراني يأتي بعد التسليم للفرد الرباني، والخروج من عالم المباني إلى عالم المعاني، وكل هذا فيك، ففيك عالم المباني وفي نفس الوقت فيك عالم المعاني بداخلك، أين هو؟ لا تراه، إذا كُشف لك ما فيك من معاني خالقك وباريك ستُفَاتح بكل هذه الأمور وتكاشف بها، وهي علوم ما تُحَصِّله في نَفَس منها قدر ما تحصِّله الحواس كالعين والأذن والعقل في خمسين ألف سنة!!.

ولذلك العقل لا يدرك هذه الأشياء، عشرة آلاف مقام في أى وقتٍ تستطيع تحصيلهم؟! لكن في لحظة الوصل تُحَصِّلهم في سِنَة، كيف؟ إنها غيوب لا تلوح لمحجوب، ولا لمن في قلبه عيوب:

إذا صفا القلب من وهمٍ وشبهاتٍ يشاهد الغيب مسروداً بآياتٍ

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ﴾ (التكاثر) ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ ﴾ (المطففين) هل يقرأه؟ لا يستطيع أحدٌ أن يقرأه لأنه مشهود: ﴿ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٢١المطففين) يقولوه لمن؟ كما قال سيدنا علي: ((إن هاهنا لعلوماً جمَّة لو أجد لها حملة)) من الذي يستطيع حملها؟ وكما قال سيدنا موسى: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾ لماذا؟ للعلم الذي فيه: ﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ (١٣الشعراء) لأنهم لن يصدقوا هذا الكلام ولن يتحملوه، وسيدنا علي زين العابدين ﷺ قال ذلك:

يا رُبَّ جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنَ
ولاستحَّل رجالٌ مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسناً

يقولون: إنه رجلٌ كافر، لأن هذه أشياء لا يعرفونها، فالكفر يعني الغطاء، وكل شيء تُغَطي عن العقل إذا كُشفت تُكِّفر صاحبها، لأنها لا تظهر للعقل، والعقل يريد شيئاً محسوساً ملموساً.

فمقامات القرب هذه نحن نُسَلِّمها وهم يُرَقونا فيها!!!

هناك من يقطعها في سنين، وهناك من يقطعها في لحظات!!!

لأنها كلها هبات وتفضلات وعطاءات من الله ﷻ!!

أنا فقط أجتهد في البدايات فأجاهد نفسي، وأمشي على هذا الجهاد وأحافظ عليه، والباقي يكون سهلاً إن شاء الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد) ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١٠٥البقرة) فهو اختصاص.

## حظ المريدين من مقام شيخهم

**سؤال: أليس للمريدين حظاً من مقام وكرامة شيخهم؟**

كلهم لهم حظ، ولكن فينا من يتمتع بهذا النصيب وهو في الدنيا، وهذا يكون له تأهيل خاص، وفينا من لا يتمتع بذلك إلا ساعة الفراق وهو خارج من الدنيا: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢ق)!!

وفينا من يتمتع بذلك في البرزخ.

المهم في الآخرة سنكون قد اكتملنا في معرفة الله ﷻ .....لأنه لا بد أن نكتمل في هذا المقام.

فينا من يُوفق وهو في الدنيا لكشف الغطاء، فيرى أنوار هذا العطاء، ومنا من لا يُكاشف به في الدنيا رحمة به لأنه لو كُشف له في حياته فلا يتحمَّل، فيجوز أن تحدث له حالة وَلَهٌ، أو حالة جنون، أو يحدث له حالة من الحالات التي لا تتحملها قواه البشرية، والله ﷻ يريد لنا أن نكون من أهل الكمال في الوصال لله ﷻ.

فلا أحزن إن لم أصل إلى ما وصلوا إليه، لأني سأصل إن شاء الله ﷻ لأنني واثق أنه يختار لي الأفضل.

كان هناك أحد الذاكرين الحاضرين السالكين مع الإمام أبي العزائم ﷺ ويجلس مع الأحباب ويسمع منهم، فمنهم من يقول: إني رأيت كذا في المنام، ومن يقول: رأيت الليلة كذا، وهو لا يرى شيئاً، ولا ينتبه أن هذا الذي لا يرى صاحب المقام الأكمل: ((إذا كَمُل يقين العبد حُرم الرؤيا)) أما الذي يرى فهو صغير في المقام، إن لم يرى سيغضب ويحزن وقد يرجع فيبشروه ليقربوه، فإذا كمُل فلن يعبأ بالرؤيا لأنه وصل للكمال.

فجاء للشيخ وقال له: أنا لا أرى شيئاً وفلان يقول: أنا رأيت كذا، وفلان يقول: أنا رأيت كذا، فانتظر الشيخ حتى أقاموا حلقة الذكر فوضع الشيخ يده على صدره، فرأى الرجل قلبه يطوف حول العرش، فرفع الشيخ يده فعاد كما كان يرى من حوله، وكلما وضع يده على قلبه يرى قلبه وهو يطوف حول العرش، فإذا رفع الشيخ يده يرى نفسه كما هو، وبعد الذكر قال له: انتهي القلق يا سيدي.

فهذا مقام الحفظ، لأن هذه الأشياء كالرؤيات والمشاهدات قد تكون فتنة للسالك وتُعرِّضه للمهالك، فيقول المريد: أنا أرى رؤيات كذا وكذا فأنا ممنوح وأنا كذا وكذا، فقد يتعالى على إخوانه، وقد يظن أنه خير أهل زمانه، وقد يحدث أنه في يومٍ من الأيام يقول: أنا في غنىً عن الشيخ، وأنا شيخ ويريد أن يكون له مريدين، وهذا يحدث في كل زمان ومكان، وذلك لأن النفس ما زالت موجودة.

لو ظل في حصن الأمان، وادُّخر له ذلك حتى ميعاد لقاء الرحمن، فما الخديعة التي تأتيه هنا؟ لا شيء لأنه دخل دائرة الأمان الأعظم والمقام الأكرم، وحفظه الله ﷻ من فتن النفس، وفتن النفس في هذا المجال لا حدَّ لها ولا عدَّ لها.

لا يصل أحد في العلم كما وصل الشيطان، فلا يوجد عالم من أول الدنيا إلى آخرها وصل إلى ما وصل إليه إبليس، ومع ذلك وقع في التلبيس وخرج من الجنة، ولذلك فالعلم ليس كل شيء، وبلعام بن باعوراء الذي حكى لنا الله ﷻ قصته: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ (١٧٥الأعراف) وكان تربَّى على يد سيدنا موسى، ظل في العبادة حتى وصل إلى مقام الكشف، وكان يطَّلع على اللوح المحفوظ وهو في مكانه، وكان يُستشفى بدعائه في الوقت والحال، وطلابه كانوا سبعين ألف طالب.

موسى عليه السلام عبد، ومقام الكمال مقام العبدية، والصالحين الذين تظهر على أيديهم الكرامات والإشارات فهؤلاء لايزالون صغار، لكن الكُمَّل عبيد ولا يظهر عليهم شيئاً نهائياً، وإذا رآهم الناس يرونهم مثلهم: ﴿ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ (٢٤القمر) ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ (٧الفرقان).

والناس يريدون من يخالفهم، كرجلٍ يمشي في الطريق ويمسك بسيف، يقولون: هذا رجلٌ من الصالحين، لأن مظهره غير مألوف.

لكن رجل يلبس بدلة وأنيق في لبسه، ويركب طائرة، ويركب سيارة فاخرة، فهل هذا من الصالحين؟ يقولون: لا، هو يريد إنسان عاري أو حافي .. المناظر الغير مألوفة، وهؤلاء رجالهم صغار في طريق الله ﷻ، ولا ينفع إلا نفسه، ولا يجوز الإقتداء به، ولا

حتى طلب الإنتفاع بدعائه، لأنك ربما تطلب منه الدعاء فيدعو لك بدعوة – ودعاؤه مستجاب – وأنت لا تريدها لأن له حال أنت لست مثله.

فبلعام بن باعوراء عندما رأى نفسه كذلك قال: لماذا يحمل موسى النبوة والرسالة؟! يجب أن يكون لي القُطبانية في الأرض، ومعي كل شيء، فماذا يفعل؟ دعا على سيدنا موسى ليُوسِّع الله له الطريق ليكون الوحيد الفريد، وهذا من مكر النفس، فغضب الله ﷻ وقال: أتدعو على موسى كليمي وصفيي، فسُلب كل ما معه: ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ (١٧٥الأعراف) أصبح الشيطان تابعاً له وليس هو يتبع الشيطان: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾ (١٧٦الأعراف).

وهذا النموذج يحدث كثيراً، ونراه كثيراً في رحاب الصالحين، لماذا؟ العبد عندما يُعجَّل له بالفتح، ولم يتمكن في تزكية النفس فمن الممكن أن يُمكَر به، ونفسه تلعب به، فيشتط ويبعد عن طريق الله ﷻ، وعلى الأقل يقع في الوحل فلا يرى لنفسه أنه أهل للسماع أو للتزكية لأنه وصل واتصل، وهي آفة كثيرٍ من الأحباب، كثيرٌ منهم يضع نفسه شيخ، وشيخ يعني له مريدين، فلا يسمع من شيخه ولا من غيره، وإذا جاء للجلوس يأخذ معه ثلاثة أو أربعة مريدين ليكون هو شيخهم.

فالشيخ سُمي شيخٌ لأنه شاخ في معرفة الحقائق ليوضحها لنا، لكن لا يزال شاباً في الحقائق ولا يعرفها فكيف يوضحها لنا؟! يوضحها إذا أخذ الخبرة، وأخذ الأمر الصريح من يد خير البرية ﷺ: ﴿ وَأَبُونَا شَيۡخٞ ﴾ (٢٣القصص) يعني شاخ في عالم هذه الحقائق وهذه الرقائق، وليس شيخاً كبيراً في السن، لأن المؤمن لا يشيب، أهل الإيمان يظل إلى أن يلقى الله ﷻ شاباً، لأنه يأخذ صفة أهل الجنة؛ لا يبلى شبابهم، فيبقى قلبه شابٌ إلى أن يلقى الله ﷻ.

فالأفضل لي والأحسن لي:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ

**أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾** (٦٥النساء) **ما الذي ضيعني؟ لو رجعت لي عجلتي مرةً أُخرى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولاً ﴾** (١١الإسراء) **متعجِّل ويقول: لي مع الشيخ سنين ولم أصل إلى شيء، وهذا من النفس !!!!**

**تتعجَّل الظهور، وتتعجَّل المشيخة، وتتعجَّل أن يكون لك كيان في المجتمع!**

**وهذا غير مراد الله!!!**

**وأنت تريد مرادك.**

**لكن المريد الصادق يطلب مراد الله فيه لا مراده!**

**ماذا تريد حتى إذا أوقفك الله بين يديه؟ أريد أن لا أريد:**

**وكـن عبـداً لنـا والعبـد يرضـى بمـا تقضـي المـوالي مـن مـرادِ**

**هل يوجد عبد يكون له طلبات ويرى لنفسه حقوقاً مع سيِّده؟ لا، وسيِّده لو حاسبه لن يقدر على هذا الحساب، هل يستطيع أحدٌ أن يُحاسَب على نَفَسٍ واحد من النعم الإلهية الظاهرة والباطنة؟!.**

**الإمام الجنيد ﷺ وأرضاه والذي يُضرب به المثل، كان يصلي في الليلة ثلاثمائة ركعة، وكان يصوم ولا يفطر إلا كل أربعين يومٍ مرة على تمرة، وبعد انتقاله إلى جوار الله رآه أحد أصدقائه في المنام وقال له: ما فعل الله بك؟ قال: حاسبونا فدقَّقوا ثم مَنُّوا فاعتقوا!!، فلن يصلح أحد بالحساب ولكن بفضل الله ﷻ، قال ﷺ:**

**{ لَا يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِه ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : وَلا أَنَا ، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ ، وَفَضْلٍ . }** [١٣]

**فكونك تريد أن يكون لك مقاماً، ويكون لك شهوداً، ولك كذا، فأنت ترى نفسك أنك قدمتَ شيئاً!!!!**

---

١٣ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

وهل عملت شيئاً بدون حول الله وطول وتوفيق الله؟! وأنت كونك تطلب شيئاً فإنك لا ترى فضل الله عليك، ولا إنعام الله عليك، وأنت في نفس الوقت لا تعرف ما الأفضل وما الأحسن لك عند الله ﷻ، فالأفضل لك والأحسن لك هو المقام الأكمل وهو مقام الحضرة المحمدية، ومَن على قدمه من أهل الوراثة المحمدية، وهو مقام العبدية: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (١الكهف) وما هو هذا العبد؟ ظاهره خلق، وباطنه حق، لا يرى الخلق من باطنه قليلاً ولا كثيراً، مثله مثلهم، وهذا الإعجاز.

ولذلك الناس دائماً تميل للمجاذيب ويريدون أن يشاهدوهم، لكن أهل مقام العبودية لا يرى ما بهم إلا أهل الخصوصية بكشف العطاء من رب البرية ﷻ، فيكشف لهم عن خصوصية هؤلاء القوم لأنه مثلهم مثل الناس، لذلك الأفضل لك والأحسن لك التسليم، ولذلك قالوا: ((من فاز بالتسليم فاز بكمال النعيم)).

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المُسلمِّين لحضرته، والمُسلمِّين لحبيبه ومصطفاه، والمُسلمِّين للصالحين من عباد الله، وأن يجعل أحوالنا وأفعالنا وأقوالنا وأعمالنا وأموالنا وأبناءنا وزوجاتنا كلها في رضاه، وأن يجعلنا في كل أنفاسنا لا نتوجه إلا إلى الله، ولا نطلب منه ﷻ إلا رضاه، ولا نبغي في الدارين شيئاً سواه، وأن يكُفَّ أبصارنا وأسماعنا عن النظر إلى عداه، وأن يكلأنا بعنايته، ويرعانا برعايته، ويغنينا بفضله وجوده وكرمه ظاهراً وباطناً عما سواه.

**وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم**

# الوصل الثالث

# القرب والصفاء

١. مجالس الصفاء

- رمز آدم
- الأُخوة الإيمانية والصفاء
- المجالس النورانية
- أدب المجالس
- وظيفة مجالس الأحباب

٢ـ محبة الله للعبد

- التقرب إليه بالنوافل بعد المحافظة على الفرائض
- الحب في الله

## ٣ـ درجات المقربين فى الآخرة

- طريق محبة الله
- العمل لمحبة الله
- وجوب المحبة الإلهية

# الوصل الثالث: القرب والصفاء[1]

## ٢. مجالس الصفاء

### رمز آدم

خلق الله ﷻ سيدنا آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام ...

وكرَّمه وجعله خليفةً عن حضرته، وأمر الملائكة أن تسجد له وأن تعظمَّه وتأتمر بأمره وتتحرك رهن إشارته.

ثم خلق له زوجة يسكن إليها؛ تؤانسه وتعينه على طاعة الله ﷻ وعبادته، ثم أمره الله ﷻ أن يسكن الجنة: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٣٥البقرة) نهاهما عن شيء واحدٍ بعد أن أباح لهما كل طيبات الجنة وهي شجرة أمره الله ﷻ أن يبتعد عنها ولا يأكل منها.

ولكن آدم رغم تكريم الله ﷻ له وإعلاء الله ﷻ لشأنه أراد الله ﷻ أن يجعله نموذجاً لذريته، ففعل ما يُنتظر فعله من ذريته ليعلمهم الله ﷻ طريق التوبة والأوبة الذي ألهم به آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، فأكلا من الشجرة، فكانت النتيجة أنه أُهبط من الجنة إلى عالم الدنيا والمادة والأرض.

هذه القصة هي قصة كل إنسان، فالإنسان كان في عالم الأرواح في عهد يوم ألست بربكم في جنة يشهد فيها وجه المنعم الكريم الفتاح: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ (١٧٢الأعراف).

كانوا يعيشون في الروحانيات، وعندما أوجب الله ﷻ لكل آدم منا – كل واحدٍ منا صورة لآدم – هذا الجسم من عناصر الأرض، ودخلت فيه الروح وأُهبط إلى الأرض،

---

١ نقباس – بنها – قليوبية ٢٨ من ذي القعدة ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥/٩/١١م

فقلَّت الروحانية، وتضاءلت الشفافية، وأصبح الإنسان – إلا من عصم ربي – مشغولاً بالكلية بالمظاهر الحسية المادية، واستعمل جوارحه وحواسَّه الظاهرية، ونسي أن له مثلها حواسُّ باطنية إلهية تمتعه بالأنوار العلية والأنوار الملكوتية، والأحاديث مع ملائكة رب البرية، وغيرها من الأمور التي لا تطلع عليها ولا تشعر بها ولا تعيشها إلا النفوس الزكية.

والذي أورده ذلك وجعله يقع في المهالك أنه يأكل من شجرة النفس الأمَّارة بالسوء التي حذَّر الله منها وقال فيها: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ (٥٣يوسف).

## الأُخوة الإيمانية والصفاء

علم الطبيب الأعظم والحكيم الأكرم ﷺ ذلك فأراد أن يردَّ أحبابه وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين إلى حال الصفاء وعالم الطُهر والنقاء والبقاء، فوضع لهم منهجاً يتخلصون فيه من هذا الجفاء.

وضع أسلوب الأخوة الإيمانية، والمجالس الإيمانية ...

فأمر كل واحدٍ منهم أن يكون له أخوةٌ في الله يجتمعون معه، ومن عنده مصلحةٌ دنيوية فغيره جالسٌ في حضرة خير البرية ﷺ، يتلقَّى منه العلوم، ويتلقَّى قلبه منه أنواره، وهي أنوار الحيّ القيوم، يترقَّى بأحواله، ويتعلَّم من كلامه، ويمشي على منواله، وإذا اجتمعوا يسرد كل واحدٍ منهم لأحبابه ما شاهده في غيابه.

ويعقدون جلساتٍ روحانية في مسجد الحضرة النبوية، وكان يدخل ﷺ فيجدهم مجتمعين على ذلك، فمرةً يدخل يجدهم في مجلس قرآن أو مجلس علم:

**{ دخل ذات مرة فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ، وَالأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ فقال ﷺ: "كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ هَؤُلاءِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلاءِ يَتَعَلَّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا**

**فَجَلَسَ مَعَهُمْ }** [٢]

وفي رواية أخرى:

**{ كِلا الْمَجْلِسَيْنِ إِلَى خَيْرٍ، أَمَّا هَؤُلاءِ فَيُدْعَوْنَ اللَّهُ، وَيَسْأَلُونَهُ، وَأَمَّا هَؤُلاءِ فَيَتَعَلَّمُونَ وَيُفَقِّهُونَ الْجَاهِلَ، هَؤُلاءِ أَفْضَلُ، بِالتَّعْلِيمِ أُرْسِلْتُ }** [٣]

ومرةً يجد مجلساً للذكر، ومرةً يرى مجلساً لتعلم التوحيد الذي ورد عن الله ﷻ في قرآنه المجيد، فكان سيدنا عبد الله بن رواحة ﷺ يقول لمن معه: ((تعالوا بنا نتعلم في الله ساعة)).

فكانت هذه المجالس دائمة، ولما انتقلوا إلى البلاد التي فتحوها نقلوا عنهم هذه الأحوال التي تؤدي إلى دوام القرب والرضا من الواحد المتعال ﷻ.

فكان إذا تفلَّت واحدٌ منهم عن هذه الجلسات، أو غاب عن هذه المجالس كانوا يخاطبونه برفقٍ ولينٍ أولاً، ثم يهددونه ثانياً حتى يكون معهم ليدخلوا في قول الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣الزمر) يعني جماعات فلا يدخل وحده، لأن من يدخل وحده فهو الآخر: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ (٩٤الأنعام).

وجاء سلفنا الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم فوصلوا هذا المنهج النوراني النبوي وجعلوه الأساس لتزكية النفوس، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

**تلك النفوس قويةٌ في فعلها كم تحجب الأفراد كم أردت سجين**
**في الشيب جاهد كالشباب وحافظاً فالنفس شيطانٌ يبيد السالكين**

ويقول أيضاً:

**نفسي تميل إلى الحظوظ بطبعها والقهر والإفساد كل مناها**
**والجسم آلات لها تسعى به وبريدها الحسنُ الذي أرداها**

---

٢ سنن ابن ماجة والدارمي عن عبد الله بن عمرو ﷺ
٣ الفقيه والمتفقه للخطيب عن عبد الله بن عمرو ﷺ

كثيرٌ من الأحبة تركوا العنان للنفس:

والنفس شهوة مطعمٍ أو مشربٍ أو ملبسٍ أو منكحٍ فاحذر بها الداء الدفين

فهذه نفس، وهناك نفسٌ أخرى:

**والنفس داعية الرياسة فاحذرن فرعونها تنجوا من الداء الدفين**

نفوسٌ موجودة في الإنسان!!!

فمالت النفوس عن حضرة المليك القدوس وشغلت نفسها بالمضمون، ونسيت أن لها يوماً ستكون مع ربها وجهاً لوجه: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٤١الدخان).

فركنوا إلى الدنيا، وبدأوا ينسجون لأنفسهم الحجج والبراهين في الإبتعاد عن مجالس الأحبة، مع أنها دوماً تحت نظر سيد الأحبة، فإذا نظر إلى مجلسك الذي أنت مُسجَّلٌ به ولم يرك؛ قطع ﷻ عنك مددك وسلَّمك لحظك وهواك.

فتمشي في الدنيا تركض فيها كركض الوحوش في البرية!!!!

ولا تنال إلا ما قُدِّر لك من الدنيا الدنية!!!!!

لكنك تُحرم من العطاءات الربانية، والإمدادات النبوية!!!!

كأنك سرت وراء حظك وهواك، وأعماك ذلك بسيرك في دنياك عن حظوظك العالية التي يريد بها مولاك أن يرقيك وأن يعليك وأن يجعلك دوماً من:

﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء).

## المجالس النورانية

فحرص ساداتنا الصالحين على هذه المجالس النورانية التي فيها تلاوةً لكتاب الله، والصلاةً على سيدنا ومولانا رسول الله، وأدعيةٌ منتقاة من كتاب الله، وحلقات ذكر تحضرها ملائكة الله السياحين الذين يغشون المجلس ويُقول لهم الله في النهاية:

**{ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُون: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ }** [٤]

وسبحان الله!! أرى رجالاً لا يريدون هذه المغفرة كأنهم قد استغنوا عنها، ولا يريدون هذه النظرات التي تطل عليهم من لدن سيد السادات ﷺ كأنهم في غير حاجةٍ إليها، ويزعم كل واحدٍ منهم أنه قد وصل إلى درجات عالية ومناصب راقية فلا يحتاج إلى هذه الأمور الدانية، مع أن ساداتنا الصالحين قالوا لنا أجمعين: ينبغي على المريد حتى ولو وصل إلى مقام الكشف أن يتنزَّل ويجالس إخوانه المبتدئين ليأخذ بأيديهم ويعلمهم.

لا أحد يستغني، ومن يستغني قال فيهم سيدنا أبو الحسن الشاذلي ﷺ:

**أنـــاسٌ أعرضـــوا عنـــا بـــلا جُـــرمٍ ولا معنـــى**
**فـــإن كـــانوا قـــد اســـتغنوا فإنـــا عـــنهم أغنـــى**

إذا كان الفقير يظن أن إخوانه هم الذين يحتاجون إليه فليعلم أنه قد وقع في خطأٍ كبير يباعد بينه وبين البشير النذير بعد المشرقين، المريد دوماً يقول له الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه: ((مريدنا يطلب الدواء وليس طبيبٌ يستشفى به، وهو جاهلٌ يريد أن يتعلم، وليس عالماً يريد أن يُعلم الناس بعلمه)) يدخل المريد دائماً مهما علا شأنه يريد أن يتعلم ولو من أحد إخوانه.

كان الصالحون يتعلمون حتى من الحشرات، فسيدنا أبو الحجاج الأقصري حدث له تعبٌ ومللٌ وكللٌ في طريق الله ﷻ، وكان جالساً في ليلة مع الله وأمامه شمعة، فوجد جُعراناً – يعني خُنفسة – تريد أن تصل إلى النور، فتصعد على الشمعة، وكلما اقتربت من النور انزلق قدمها ووقعت، فأخذ يعد لها مائة مرة حتى وصلت إلى النور، فقال: يا

[٤] البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

أبو الحجاج إذا كانت هذه الحشرة تجرب مع الله مائة مرة حتى تصل إلى هذا النور، فما بالك يحدث لك الكسل والفتور وأنت لم تجرب مثل هذه الحشرة؟!! تعلم من الحشرة، ويقول إمامنا أبو العزائم ﷺ: ((من لم يستفد من كل كائن فليس بكائن)).

فأنا أُنبِّه نفسي وإخواني أجمعين: إياك أن تظن في يومٍ من الأيام أن مجلس الإخوان لست محتاجاً إليه، أو أن مجلس الإخوان لو تركته لن يحدث لك شيء، بل سيحدث لك عقوباتٌ قلبية قد لا تعلمها إلا إذا قيل لك: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢ق) فتقول: ﴿ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ (٢٤الفجر).

هذه المجالس هي التي يقول فيها الله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ أين؟

﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٥٥القمر) ومقعد الصدق هو الجلوس مع الإخوان في الصدق والصفاء في طلب حضرة الحنان المنان ﷻ.

## أدب المجالس

ومجالس الصدق هذه ينبغي أن تكون كما علَّمنا ساداتنا، فبعد صلاة العشاء إذا جاء حتى رجلٌ واحد نبدأ فوراً المجلس، فلا تستطرد في أحاديث جانبية حتى يحضر فلان أو علان، لا بل نبدأ المجلس، إذا انتهى مجلس الصلاة على حضرة النبي نبدأ مجلس الذكر والقرآن.

والأخ الذي يعطي درس العلم لا يطيل، كان إمامنا أبو العزائم ﷺ يقول لنا: ((لأن نتركهم راغبين خيرٌ من أن يتركونا زاهدين)) فالحكمة تحتاج إلى القليل، والدرس إذا كان يحتاج إلى إطالة، نقسمه إلى حلقات، لأن الإخوان منهم من عنده مصلحة، ومن عنده أمرٌ ضروري، فلا تثقل عليهم.

لو أن عندك البوصلة النورانية فستستريح، لكن ليس عندك البوصلة فقسِّم الدروس واسترح، لأنه لو عندك البوصلة فعندما يقف التيار تقف عن الكلام، ولكن ليس معه البوصلة فلا يزيد الدرس عن عشر دقائق، والمؤمن يكفيه قليل الحكمة، شيء

مركَّز بسيط يستفيد به الأخ، حتى لا نطيل على الناس ونجعل الناس لا تحضر أو لا تأتي.

وبعد الدرس نسمع قصيدة لنروِّح عن القلوب، ثم الفواتح، ثم ينقلب كلٌّ إلى عقبه حتى نقوم الفجر لنصلي لله ﷻ.

ليس عندنا في المجالس وقتٌ للقيل والقال، ولا الكلام في السياسة، ولا الكلام في شئون الدنيا، لكن إذا كانت مصلحة لأحد الأحباب فلنناقشها في وقت قصير فلا مانع، فالمؤمن طبيعته الصمت، وأول أدب من آداب المسلم:

**{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ }** [٥]

فلا أسأل أحد عن حالاته الخاصة مع زوجته وأولاده، إلا إذا عرض عليَّ أمر من هذه الأمور أجيبه باقتضاب قصير، لكن لا شأن لي بما بينه وبين زوجته وبين أولاده، فهذه ليس من دعوة الله ﷻ، دعوة الله أن تعلمهم أدب من آداب كتاب الله، أو سُنَّة من سنن رسول الله، لكن لا تتدخل فيما لم يأذن لك بالتدخل فيه، في أي أمر، فأنت ليس مسئول عن هذا؟!!.

أنت مندوب عن الحضرة المحمدية فيكون كل كلامك في الأمور المحمدية الإلهية الشرعية، لا تسأل عن الأحوال الخاصة لفلان ولا علان وهذه بدايات المبتدئين:

**{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ }** [٦]

هذه الأمور تشغل المبتدئين، وبها يُحجبوا حجاباً مطلسماً عن طريق الصادقين، لكن الإنسان الصادق مع الله يسأل عن كيف كان رسول الله ﷺ يعمل هذا الأمر؟ وأصحاب رسول الله كيف كانوا يفعلون هذا الأمر؟ والصالحين كيف كانوا يتناولون هذا الأمر؟.

٥ جامع الترمذي وسنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ
٦ جامع الترمذي وسنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

## وظيفة مجالس الأحباب

ولذلك مجالس الأحباب فائدتها أننا نذكر فيها هذه الأشياء، نستعرض فيها شيئاً من كتاب الله لنعمل به، ونستعرض فيها شيئاً من هيئات وأقوال رسول الله لنتشبه به، ونستحضر فيها أحوال الصحابة والتابعين أو السلف الصالح من الأولياء والعلماء العاملين حتى نتعلم منهم.

ونبدأ في هذه المجالس بالأوراد لنزكي أنفسنا، لأن كل المشاكل تأتي من عدم تزكية النفوس، فنعمل الأعمال قبل تزكية النفس، فلا نحس بخشوع في الصلاة، ولا نحس بصفاء، ولا نحس بنقاء، ولا نحس بفتح ولا إلهام، لأن النفوس غير صافية.

أول خطوة يفعلها الإنسان أن يزكي نفسه وأن يطهرها: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ (٩الشمس) ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ ﴾ (الأعلى) فإذا صلى يجد الخشوع والخضوع وتنزل عليه الإلهامات في الآيات التي يسمعها أو يقرأها، ويأتيه الإلهام من الله حتى في الأشياء المشغول بها، فإذا كان يشغله أمر يأتيه الإلهام في الصلاة فيحل له كل هذه المشاغل.

إذاً لا بد من تزكية النفس، ولذلك الأوراد وهذه المجالس لتزكية النفس: ((زَكِّ نفسك قبل السماع تُشرق عليك أنوار الكلام)) لذلك عليكم بالأوراد، ومن ترك الأوراد فليرجع لها:

**وأديموا لذكر الله فالذكر نوره لأهل الهدى والغير لا شك فارق**

من ترك الجماعة ومجالس الجماعة فليعلم أن يد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، فالبعيد عن الجماعة فإن نفسه ستركبه، وستسيره كما تريد، ولن يأخذ منها شيئاً، وسيخرج وقد خسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله ﷻ.

## ٢ـ محبة الله للعبد

كلنا نريد أن يحبنا الله، فماذا نفعل حتى يحبنا الله؟ هناك أمر وارد في الأحاديث

القدسية الواردة عن حضرة الله، والتي رواها سيدنا رسول الله ﷺ يوضِّح طريقين لنيل محبة الله ﷻ.

## التقرب إليه بالنوافل بعد المحافظة على الفرائض

الطريق الأول:

التقرب إليه بالنوافل بعد المحافظة على الفرائض، يقول الله ﷻ في الحديث القدسي الصحيح:

**{ مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ }** [٧]

إذاً من يُرد محبة الله لا بد أن يحافظ على الفرائض أولاً، وبعد ذلك النوافل، لقوله ﷺ لسيدنا عبد الله بن مسعود عندما سأله: يا رسول الله ما أحب الأعمال إلى الله؟ قال:

**{ الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }** [٨]

فالصلاة هي الأساس الأول، بعد ذلك يتقرَّب إلى الله بالنوافل، فالنوافل ستكون تكملةً للفرائض، لأنه لن يُوفِّي الفرائض، فتحتاج للنوافل لتكملها.

سيؤدِّي الفرائض في وقتها، لكن لن ينال رضا الوالدين، فكل الطُرق الظاهرية والباطنية والأُخروية مغلقة أمامه، يريد أن يفتح الله له الباب، فرضا الوالدين به تُفتح كل الأبواب.

بعد ذلك يكون بالنوافل، من قيام الليل، وصيام الأيام الفاضلة، وصلاة الضُحى، وتلاوة القرآن، وأنواع الأذكار، والصلاة على النبي المختار، والاستغفار،

٧ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
٨ البخاري ومسلم

وأقواها وأعلاها وأرقاها الإنفاق والتصدق.

وباب الإنفاق وقف كثير من الناس في زماننا عنده، وليس عندهم استعداداً ليفتحوا أيديهم، مع أن الله قال في القرآن بصريح العبارة: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٩الحشر) ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (٣٨محمد) ليس على نفسه، ولكن (عن نفسه)، وهذا يدل أن نفسه من داخله بخيلة، فهذا لا ينتظر كرماً من الله، والله ﷻ قال في حديثه القدسي:

{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ } [٩]

لا تريد أن تنفق فكيف يعطيك؟!!

وهذه هي المصيبة التي وقف عندها كثير من العباد وأصحاب الصالحين، يُنفق على أولاده بما لذَّ وطاب، وكلما رأى شيئاً يشتريه، ويقول: لا أريد أن أحرم الأولاد من شيئ، فيشتري هذا وهذا ويلقون في البطون .... والبطون تُلقي .... والباقي يلقون به في المذابل!!!

وتسأله شيء للآخرة، فيقول لك:

من أين؟ ليس معي وليس لي شيء، وأنا مدين .!!!!

هذا ليس له نصيب في محبة الله ﷻ.

فأول طريق لمحبة الله هو:

طريق النوافل والسنن، وإذا قَبِلها الله فماذا يفعل؟

((حتى أُحبه)). [١٠]

## الحب في الله

٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

١٠ راجع كتابنا (كيف يحبك الله) اوقد طبع ثلاث مرات.

الطريق الثاني:

يقول فيه الله ﷻ في الحديث القدسي:

**{ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ }** [١١]

ووجبت ليست بين بين، ولكنها هنا مؤكدة فهذه غير الطريق الأول، فهناك (حتى أحبه)، ولكن في هذه يقول فيها: (وجبت محبتي) يعني انتهى الأمر، لمن فيه هذه الشروط.

(للمتحابين فيَّ) حبٌ لله، لا لدنيا، ولا لغرض، ولا عرض، ولا مصلحة، ولا لمنفعة، وإنما لله ﷻ.

وشرط الأخوة لكي تتم لابد: **(وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ)** لا بد أن أُوفِّي بهذه الشروط، أنا أُحب هؤلاء القوم الصالحين، ولكن نفسي تجعلني غير قادر على زيارتهم، فبذلك لا أكون منهم:

**من كان منهم يرأهم ويودُّهم ويفوز منهم بالصفا ويوالي**

أنا أُحب هؤلاء القوم ولكني أُحب الجنيه، وأُحب أن آخذ منهم نفحة، ولكن لا يهون عليَّ أن آتي بنفحة ولو مرة واحدة، فكيف لي أن أطلب نفحات الله، ومن أين تأتني وأظن أنني أخدعهم؟!! أنا أخدع نفسي: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ (٩البقرة).

أنا أحبهم، ولكني أُحب أن أجلس إلى الفيس بوك ساعتين أو ثلاثة، وألعب هنا، وألعب هناك، وهؤلاء القوم لو جلستُ معهم يقولون لي: تعال نصلي على رسول الله، أو نذكر الله، أو نسمع درس علم، وأنا مشغول عن ذلك بالفيس بوك فهو أهم عندي من هذا كله!!.

فهل أنا منهم في هذه الظروف؟ لا، وهذا ما جعل الصالحين عملوا اقتداءً بسيد

---

١١ مسند أحمد وموطأ مالك عن معاذ بن جبل ﷺ

الأولين والآخرين مجلساً في كل بلد، يجتمع فيه المحبون ليحظوا بهذا الحديث ومدده، يجلسون مع بعضهم، ويزورون بعضهم، وإن كنت أرى أن زيارة بعضهم هذه قد وقفت قليلاً، بماذا انشغلوا؟ ﴿ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا ﴾ (١١الفتح).

مع أنها التي ستساعد الإنسان على التخلص من المشاغل، فالإنسان إذا نزلت به شغلة وتورَّط فيها ولا يستطيع الخروج منها، فيجلس مع الأحباب ويسألهم أن يدعوا له ويقرأوا له الفاتحة ليتيسَّر له هذا الأمر، فيتيسَّر.

فيستعين بدعاء إخوانه الصالحين على تيسير هذا الأمر، ويزورون بعضهم، ويودون بعضهم، ويساعدون بعضهم في البذل، فلو كنا في مكان عددنا عشرة أفراد فكل واحد عليه النفحة مرة، فنساعد بعضنا على البذل، فأنت عليك النفحة هذه المرة، والآخر عليه المرة التالية وهكذا.

وما مقدار هذه النفحة؟ ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ (٧الطلاق) فكل واحد يأتي بما يستطيعه، ولا فرض على أحدٍ بما لا يستطيع، مثلاً لو أتي أحدنا بقطعة حلوى صغيرة فلا مانع، فهذا حسب طاقته، أو كعكة صغيرة فلا مانع فهذه طاقته، أو لكل واحد سندوتش فلا مانع، فكلٌ حسب طاقته: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ (٢٨٦البقرة) المهم أن يبذل كل ما في وسعه، والجهاد بذل ما في الوسع.

إذا الإنسان نفَّذ هذا الحديث بمحتواه، فوراً أوجب الحق على نفسه – ولا يُوجب عليه شيء – – حبه ورعايته وإمداده بما يحبه الله ويرضاه.

إذا كان الحب لله لا لعلة ولا لغرض، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، وهذا الكلام ترونه ومنهم كثير معنا، نجد أن أحدهم يمشي معنا سنة وسنتين أو عشر سنين ثم ينقطع، فتسأل: أين فلان؟ يقولون: لقد أخذ ما يريد وانتهى الأمر، كان يصحبنا للمصلحة الفلانية وأخذها!! هذا لم يأت لله.

فلو كانت صحبته لنا لله لداوم عليها، ولماذا ينقطع؟ فمن جاء لله لا ينقطع أبداً، لكن من جاء لمصلحة وانتهت المصلحة فلماذا يأتي مرةً ثانية؟! فالمحبة لله لكي تدوم في

الدنيا ونكون في الآخرة يوم لقاء الله ندخل في قول الله في الآخرة: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ (٨٥مريم) أي جماعة، وماذا عن الجنة؟ ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣الزمر) أيضاً جماعة مع بعضنا ولن نترك بعضنا أبداً.

إنسان مشى معنا ثم خدعته نفسه وغافله الشيطان ووسوس له، يجب أن نسأل عنه: فنقول: يا رب إن فلاناً كان معنا وملازماً لنا، فيقول لنا: إنه لم يعمل بعملكم، فنقول: يا رب إنا كنا نعمل لنا وله – يعني خذ رصيدنا ووزِّعه علينا كلنا – فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة كما ورد بالإحياء للإمام الغزالى:

**{ قيل: إن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له: ادخل الجنة، فيسأل عن منزل أخيه، فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله، فإن قيل له: لم يكن يعمل مثل عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي وله، فيعطى جميع ما يسأل لأخيه، ويرفع أخوه إلى درجته }** [١٢]

يعينون بعضهم هناك، لأن الأمر كله لله، لكن حتى تتم لا بد أن يكون فيها بذل وتزاور وتجالس، وأقل المجالسة أننا نجلس معاً كل أسبوع مرة، فإذا لم نجلس معاً كل أسبوع مرة فما فائدة الأخوة؟!! فقد كان أحباب الصالحين الصادقين لا يفوتهم يوم إلا إذا جلسوا مع بعضهم، فإذا غابوا عن بعضهم يوماً يسألون: أين فلان؟ وأين فلان؟ وما أحواله؟ وماذا جرى له؟ لأن هذه الجلسة تُسجَّل عند حضرة الله، وعند حضرة النبي ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القمر).

أنا عرفت اليوم الذي نجلس فيه، فأُعرِّف كل من حولي وكل من لي أن هذا اليوم أنا مشغولٌ فيه، فمن كان له مصلحة أقول له تعالى في يومٍ آخر لأنني مشغولٌ في هذا اليوم، لأن هذا يومٌ لله، أفلا نستطيع أن نجعل لنا ليلة في الأسبوع؟! كلنا ماذا بقي لنا من أيام الدنيا؟ والبركة في حُسن الختام، وإنما الأعمال بخواتيمها، فماذا ننتظر؟!.

---

١٢ تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، وفى صفة الجنة أبي نعيم الأصبهاني ورد مثل ذلك عن سعيد بن جبير ، قال: « يدخل الرجل الجنة فيقول: أين أمي؟ أين والدي؟ أين زوجي؟ فيقال: لم يعملوا مثل عملك. فيقول: كنت أعمل لي ولهم ثم قرأ {جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم} الآية»

جاء لي ظرفٌ طارئ وضروري، أتصل بالأحباب ليعذروني ويدعون لي لهذا الأمر، فتكون الرابطة مع بعضها.

لكننا الآن كل واحد منا يترك نفسه على هواه ويحضر في الوقت الذي يعجبه، وإذا لم يحضر لا يعتذر لأحد وليس له شأنٌ بأحد، إذاً أنت لستَ محسوباً عليهم، ولست في الفصل، ولست معنا في مدرستنا والتي يقول فيها الله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة).

لكن لا بد لكل واحد أن يكون له يوماً على الأقل كل أسبوع، فيكون مع أحباب الله، وماذا يفعلون؟ يصلون على رسول الله، ويقرأون ما تيسَّر من آيات كتاب الله، ويجلسون مجلس ذكر حتى ينطبق عليهم قول النبي ﷺ:

{ هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ } [١٣]

فيخرجون من هذا المجلس وقد غفر الله ﷻ لهم، ويسمعون من أحدهم ما أفاض الله على قلبه من كلمة حكمة أو درس علم ولو صغير، فيخرج الواحد منهم وقد نال شُحناتٍ روحانية تقيه من الأمراض العصرية والتي سببها الرئيسي التوترات النفسية والإرهاقات العصرية.

نلت جلسة تقوّي روحانيتي لهذه الأشياء، واستعنت بهؤلاء على الله لكي يقضي حاجاتي ويستجيب دعواتي، فهذا وضعنا، فلا بد للمتجالسين فيَّ.

ونحن شباب لم نكن نهدأ، كنا نزور إخواننا في كل مكان، لماذا؟ لأن النباتات لا يوجد ما يُقوّيها ويُنميها ويُحلي ثمارها إلا التلقيح، وهذا التلقيح لا يأتي إلا من الرياح، فتحمله من هنا لهناك، فهي نفس الحكاية، فما الذي يُقوّي روحانية الإنسان؟ عندما يُكثر من زيارة الإخوان في شتَّى البُلدان.

لكنه مغلق على نفسه، فأنت كما أنت لا تريد أن تذهب هنا أو هناك، فتظل نباتاً ضعيفاً يأكلك الشيطان، أو لا تستطيع أن تقف أمام مكائد النفس والشيطان،

---

١٣ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

لأنك ضعيف من الناحية الشكلية.

فنجعل دائماً الزيارات مع بعضنا، لكي نفوز بمحبة الله، فيخرج الواحد منا من الدنيا وقد أحبَّهُ الله، فإذا أحبه الله فياهناه، وإذا أحبه الله فيكفيه أن الله سيحاسبه بالفضل وليس بالعدل، ليس كالآخرين الذين يمشون على الصراط، ويقفون على الميزان، ويكون حسابهم شديد، لكن الحبيب لله حسابه فيما بينه وبينه، وهذا إذا كان سيحاسبه حساباً يسيراً لأنه حبيبٌ للعلي الكبير ﷻ.

يجد هناك كثيراً من الشفعاء كلما وقع في أرض الموقف في بلاء، فهذا يقول: يا رب من أجلي، وهذا يقول: يا رب من أجلي، ولذلك قال حضرة النبي ﷺ:

**{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فُلانٌ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ " قَالَ الْحَسَنُ: اسْتَكْثِرُوا مِنَ الأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }** [١٤]

تجد شفعاء كثيرين، فكلما وسَّعت الدائرة كلما أكثرت من الشفاعة، فلان مع فلان، وفلان مع فلان، وفلان مع فلان، وأعظمهم وأكرمهم النبي العدنان ﷺ.

فهذا هو السبب الرئيسي الذي دعا من أجله الصالحون إلى إقامة المجالس، مجالس الصلاة على حضرة النبي، ومجالس ذكر الله، ومجالس العلم في البلاد لنفع العباد الذين يريدون أن يُقال لهم في الميعاد: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الزخرف) من هم هؤلاء؟ الأخلاء المتقين الذين تحابوا في الله، وتوادُّوا في الله، وكانت اتصالاتهم وعلاقتهم كلها في الله ولله جل في علاه.

---

١٤ معالم التنزيل تفسير البغوي عن جابر ﷺ

# ٣ـ درجات المقربين في الآخرة

الناس مشغولة بالدرجات الدنيوية، والمناصب الفانية، وكل إنسان يبحث له عن شخص مسئول حتى يرتقي في مناصب الدنيا !!!

وبعد أن يصل إلى ختام المناصب سيتم إحالته إلى التقاعد أو عزله، وهل يوجد أحدٌ دام في منصبٍ من مناصب الدنيا؟ لا.

لكن المناصب الباقية يلفت الله ﷻ نظرنا إليها في آيات القرآن، لماذا تريد أن تكون في الدنيا مدير عام، أو رئيس مجلس إدارة، أو نائب في مجلس النواب، أو كذا أو كذا، ولست ملتفتاً للدرجة التي تريدها عند الله في الدنيا وفي الآخرة؟! مع قول الله: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١٦٣آل عمران).

عندما تتأمل في الآية: لم يقل الله (لهم درجات عند الله) ولكن هم أنفسهم درجات، درجات في مقام العندية، وهناك أناسٌ في مقام اللدنية، وآخرين في مقام المعية، وهؤلاء كلهم الذين قال فيهم الله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ ﴾ (الواقعة).

في أى شيء سابقين؟ سابقين في حُسن المتابعة لحبيب الله ومصطفاه، سابقين في الإخلاص في الأقوال والأعمال والأحوال، وجعلوها كلها لله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ (الأنعام) سابقين في التخلق بالأخلاق النبوية والقرآنية التي يحبها الله، سابقين في التعلُّق بحضرة الله وبحبيب الله ومصطفاه ... هذا هو سبقهم، والإشارة إليه في قول الله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ﴾ (الواقعة).

ولأن هؤلاء منهجهم راق وعالي قال الله تعالى فيهم: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ ﴾ (الواقعة) لم يصلوا إلى حتى ثُلة، لكن الدرجة الأعلى منهم وأهل اليمين قال الله فيهم: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٠ ﴾ (الواقعة).

فيُعرفنا الله ﷻ أن هؤلاء القوم عزيزون، لهم عزّة ومعزَّة عند رب العزّة ﷻ، حتى

نحرص أن نكون معهم أو منهم، إما معهم ونتهنَّى بالهناء العالي الذي يتهنون به، أو منهم ليكون لنا نصيباً من الإرث النبوي والفضل الإلهي الذي عمَّهم الله ﷻ به: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (٢٦المطففين) وهذا التنافس كان يتنافس فيه أصحاب رسول الله، والصالحين من عباد الله من بعدهم إلى يوم الدين.

## طريق محبة الله

ما ملامحهم؟ وما ملامح غيرهم؟ نسأل القرآن: ملامح المقربين الأسمى: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (٢٨الكهف) لا يريدون غير وجه الله جل في علاه.

وعندنا طريقين يؤديان إلى محبة الله، الطريق الأول إسمه طريق العمل المنزَّه عن العلل، والطريق الثاني اسمه طريق الفضل الإلهي، ولكي يحبني الله ماذا أفعل؟ نسأل الله: يقول رب العزة ﷻ في حديثه القدسي:

**{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ }** [١٥]

لا بد وأن أحافظ على الفرائض في وقتها في جماعة في بيت الله، ولا أتلمَّس لنفسي أى عُذر، سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ :

**{ سأل رسول الله ﷺ : أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فقَالَ ﷺ : الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا }** [١٦]

أين؟ في الأماكن التي خصَّصها الله لأدائها في بيت الله، فلو كان من يصلي في بيته كمن يصلي في بيت الله لصلَّى كل واحد منا في بيته وانتهى الأمر، لكن هناك حديث لسيدنا رسول الله ﷺ يقول فيه:

**{ صَلاةُ أَحَدكُمْ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاتِهِ فِي سُوقِهِ، وَبَيْتِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً }**

---

١٥ البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

١٦ البخاري ومسلم

الله ﷻ ينادي فلا بد وأن أجيب: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَدۡعُوكُمۡ ﴾ (١٠إبراهيم) هل أقول له: انتظر بعد نصف ساعة؟ أو انتظر بعد ساعة؟ وهو الذي قال: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ (١٠٣النساء).

وأصحاب رسول الله كانوا كما يُروى عنهم: كان من يتأخر عن تكبيرة الإحرام يعزُّوه ثلاثة أيام من الفضل الذي حُرم منه، ومن تفوته الجماعة الأولي يعزُّوه أسبوعاً، فأين نحن منهم؟! ألا نريد أن نكون مثلهم؟! فهذ فضل الله، حتى قال سيدنا عبد الله بن مسعودٍ ﷺ: أتى علينا زمانٌ ما كان يتخلف عن الجماعة إلا منافق ظاهر النفاق.

والمؤمنون درجات، منهم من يريد أن ينال درجة الرضوان، فهذا من يُصلي في الوقت الأول، ومنهم من يريد درجة المرابطين، فهذا من يذهب إلى المسجد مبكراً قبل الصلاة بقليل وينتظر الآذان وإقامة الصلاة، قال ﷺ:

**{ أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ }** [١٧]

ومن يذهب في نصف الوقت فهذا في رحمة الله، ومن يذهب في آخر الوقت فهذا في عفو الله جل في علاه، فهل يستوي هؤلاء وهؤلاء؟

## العمل لمحبة الله

إذاً المؤمن الذي يريد محبة الله عليه أولاً أن يحافظ على الفرائض في أوقاتها في جماعة في بيت الله، إلا لعُذرٍ شرعيٍ موجودٌ بنصِّه وفصِّه في شريعة رسول الله، فلا يكلف نفسه الأعذار، ولا يتلمس لنفسه الأعذار!!!

لا بد وأن يكون عذراً شرعياً وهو يعرفه.

لكن أنا جالس في البيت، ولست مشغولاً بشيء، فما الذي يؤخرني عن صلاة

١٧ صحيح ابن حبان عن جابر بن عبدالله.

الفريضة في أول الوقت في جماعة في بيت الله؟! ولو كنت أتكلم مع فلان الذي جاء ليجلس معي، أقول له: هيا لنصلي أولاً وبعدها نكمل الحديث، وأصحابي وغيرهم يعرفون عني ذلك، فمن وافقني فلا مانع، ومن خالفني فلا داعي لصحبته، فلا تصاحب إلا من يعينك على طاعة الله.

فليس لي عذرٍ أن أتخلَّف عن الجماعة، إلا إذا كنت مثلاً في القطار ولكن عندما أنزل من القطار أصلي فوراً، ولا أقول حتى أصل إلى البيت لأنني لا أضمن ذلك، فأُصلي في الوقت الذي أملكه سواء في الطائرة أو في غيره.

أو طبيب يُجري عملية لإنسان فلا يتركه ليصلي لأن له عذرٌ شرعيٌّ، أو أنا موظف في مكتب ومسموح لي بالصلاة فلِمَ لا أُصلي؟ ولكن أُصلي على قدر الصلاة حتى لا أُعطِّل مصالح الخلق، فلا أقوم للوضوء قبل الوقت بساعة، وأقرأ قرآن وبعد الصلاة أعمل درساً أو أسمع درساً لمدة ساعة ومصالح الناس معطَّلة.

فمن يصلي في العمل يكون في الجماعة فقط، فيكون جاهزاً بالوضوء وعندما يسمع الإقامة ينزل فيصلي وبعد السلام يُصلي ركعتي السنة ثم ينصرف فوراً للعمل.

فلا يوجد عذر لأهل المحبة في ترك الفريضة في جماعة في أول الوقت في بيت الله ﷻ، فما عُذرك عندما تقف أمام رب العالمين؟ فيُقال: ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (٣٦المرسلات) وما عذر المؤمن يأتي للمسجد يوم الجمعة والخطيب على المنبر؟ ما عذره؟ وأمر الله صريح: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ (٩الجمعة) اترك كل ما في يدك واذهب للجمعة، وبعد الصلاة: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (١٠الجمعة).

لكن ما الذي يجعلني أدخل بعد صعود الإمام للمنبر؟ وبعد ذلك يقول: لماذا لا يحبني الله؟! أنا أريد أن الله يحبني، فهذا هو الطريق:

**{ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ }** [١٨]

١٨ البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

وبعدها:

{ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ } [١٩]

أحافظ على أداء الفروض في وقتها فقد ضمنتُ أنني أديت الفريضة، لكن أصلي في الجماعة ووُجد في الجماعة رجلٌ صالحٌ يتقبل الله صلاته فيقبل صلاة الجميع من أجله، فأكون قد ضمنت القبول، فما أُصليه قبل أو بعد فهو نوافل، لكن صلاتي وحدي بمفردي فتُوزن الصلاة:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلا عُشْرُ صَلاتِهِ تُسْعُهَا ثُمْنُهَا سُبْعُهَا سُدْسُهَا خُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا } [٢٠]

آخذ النصف أو الثُلث أو السُدس، ويوم القيامة يقول رب العزة:

{ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ } [٢١]

فإن لم يكن له تطوع فلن يكمل له الفريضة، ولا ينال فضل الله ﷻ.

هذه طريق تحتاج أهل الجِدّ والإجتهاد وأهل الإلتزام بمنهج أهل القرب والوداد والأفراد الذين مشوا على منهج الحبيب المختار وأصحابه المجملين بهذه الأنوار.

وهناك طريق آخر لمحبة الله، وهذه بفضل الله، لأن الطريق الأول يقول فيه الله: (حتى أُحبه) يعني جائز أحبه وجائز لا، لكن هذا الطريق يقول فيه:

## وجوب المحبة الإلهية

{ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ،

---

١٩ البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

٢٠ سنن أبي داود والنسائي عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما

٢١ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ

وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ } [٢٢]

يحبون بعضهم لله، لا لعلة ولا لغرض، وحضرة النبي ﷺ قال عنهم أنهم أولياء، قال ﷺ:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ ﷻ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ! انْعَتْهُمْ لَنَا يَعْنِي: صِفْهُمْ لَنَا، فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [٢٣]

فعلامة الذين شملهم الله بفضله، ويحبهم ويمنحهم وصله؛ الحب لله، لا لعلة، والعلة أننا نريد أن نجلس مع بعضنا لنأتنس ببعض، فهذه علة، لأن المؤمن لا يأنس إلا بالله، أو بكتاب الله أو بالحديث الطيب العذب عن أحباب الله من الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين، فلا أأنس بالأحاديث الدنيوية، لأن الدنيا مَيْتة، وذكر الميتة يأتي بالروائح العفنة، قال ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَصَلاةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلا قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ جِيفَةٍ } [٢٤]

لابد أن يُعطِّر المجلس بذكر الله، أو بآية من كتاب الله، أو بالصلاة على حبيب

٢٢ مسند احمد وموطأ مالك عن معاذ بن جبل ﷺ
٢٣ مسند أحمد عن أبي مالك الأشعري ﷺ
٢٤ شعب الإيمان للبيهقي والنسائي عن جابر ﷺ

الله ومصطفاه ﷺ، فالحب يكون أولاً لله، قال ﷺ:

{ مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ } [٢٥]

هؤلاء القوم كل عبادتهم قلبية، يصححون النية أنهم لا يعملون عملاً إلا إذا كان لله، إن كان عمل الجوارح، أو عمل اللسان، أو عمل ما يملكه من فضل وخير الحنان المنان، فكل ما يعمله يكون في الله وبالله ﷻ.

هذا الحب له علامات وبراهين ودلالات، ما هذه الدلالات؟ أننا نحب بعضنا فنجالس بعض، وما الذي جعل الصالحين يعملون جلسات لذكر الله وتلاوة كتاب الله والصلاة على رسول الله في الأسبوع مرتين أو مرة على الأقل؟ ليحققوا الحديث، وندخل في المتجالسين فيَّ، لماذا يجلسون مع بعض؟ لنقرأ كتاب الله، والصلاة على رسول الله، وذكر الله وسماع العلم فكلها لله.

فمن يقول أنا مشغول ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ (١١الفتح)، فالله نعى على هذا في القرآن: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١١الفتح).

ألا تستطيع أن توفر ساعة في النهار مع الله؟ فأنت طوال النهار مع نفسك، أو مع أهلك وولدك أفلا تستطيع عمل ساعة في الأسبوع لله وتحافظ عليها؟! والمعارف والأحباب عندما يعلمون أن هذا الوقت لا أُفرِّط فيه سيبعدون عني من أنفسهم.

كنا في البداية يأتيني أحد في اليوم الذي حددته لله فيقول: لي مصلحة ما يوم كذا، أقول له: في هذا اليوم لا، فمرة والثانية والثالثة والرابعة يعلم أن الأمر جدٌّ فلا يأتي لي في هذا اليوم، فيسألني: هذا اليوم تخرج فيه؟ أقول له: هذا اليوم لا أخرج فيه.

فلا بد وأن تكون أنت صاحب عزيمة، تريد أن ترى فلان، وهذا الذي حددته، فهل فلان أولى أم الجلوس مع الرحمن؟ قال الله:

{ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي } [٢٦]

---

٢٥ سنن أبي داود والطبراني عن أبي إمامة ﷺ

٢٦ بحر الفوائد للكلاباذي، وأحاديث أبي الحسين الكلابي عن علي بن أبي طالب ﷺ

هل أستكثر على نفسي الجلوس مع الله؟! لكن لا بد أن نجالس بعض، فإذا جالسنا بعضنا فلا بد أن:

## { تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ } [٢٧]

فالدرس ليس كل شيء، فنعمل جدولاً لنتزاور فيما بيننا، اليوم نزور فلاناً، وغداً نزور فلاناً، ونتفقد أحوال بعضنا، ونعين بعضنا: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (٢المائدة).

اليوم نقول: يا أهل البلد تعالوا نزور إخواننا في البلد الفلانية، وهذا ماكان يحدث في الزمان السابق، فلماذا تركناه؟ وماذا لو جعلنا يوماً في الشهر لهذه الزيارة؟ نجتمع عند فلان في بلده على الخير والبركة لكي ننفذ:

## { وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ } [٢٨]

أنا رأيت بعض الفقراء الأميين في بدايتنا وكنا صغار، كانوا يتنافسون في النفحات أي الطعام والشراب الذي يُقدَّم لإخوانهم في مجالس الذكر والحضرات، أما الآن تجد الكل ينسحب ويتراجع وهو يأكل ما لذَّ وطاب، ويُنفق بغير حساب، وعند تقديم نفحة لله تقول له نفسه: تعالى إلى أين أنت ذاهب؟ فهؤلاء غير محتاجين ولا يستحقون، سيدنا علي قال: ((لأن أُنفق درهماً على إخواني، خيرٌ من أن أُنفق مائة درهم على الفقراء والمساكين، ولأن أُنفق مائة درهم على إخواني خيرٌ من أن أعتق رقبة)).

أنت تريد أن تعمل بحديث: (والمتباذلين فيَّ) فلمَ لا تبذل؟ فما الذي استفدته من العلم الذي تعلمته؟ لا شيء أبداً.

---

٢٧ صحيح ابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَعِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ " . قِيلَ : مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ ؟ قَالَ : " هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلا أَنْسَابٍ ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ ، وَهُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ، ثُمَّ تَلا: أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ سورة يونس آية ٦٢

٢٨ مسند احمد وموطأ مالك عن معاذ بن جبل ﷺ

عندما ننفِّذ الشروط الأربع مع المحافظة على الفرائض في وقتها فعلى الفور فستشعر وتُحسُّ ظاهراً وباطناً في نفسك وفي قلبك وفي روحك وفي مالك وفي ولدك وفي وقتك وفي كل أحوالك بفتح الله ورضوان الله وحب الله ﷻ.

تجد عناية الله تحيط بك من كل الجهات، وتوفيق الله ﷻ معك في كل الحركات والسكنات، وتأييد الله ﷻ لك في كل الأعمال، وصلاح الأحوال من الله ﷻ يأتيك بما لا يخطر على البال، لماذا؟ لأنك عملت بحديث الله الذي ذكره لنا رسول الله:

**{ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ }** [٢٩]

وهذه هي التي جعلت أهلينا القدامى يسارعون إلي ذلك، ولذلك كنت تجلس مع أحدهم فتسمع منه رؤيات كأنها كرامات، وتشعرك أن معه أحوال الصالحين الكُمَّل، يقول لك: في المنام الفلاني رأيت كذا، وفي الليلة الفلانية رأيت كذا، والآن تسأل: ماذا رأيت يا بني؟ يقول لك: لا شيء، لماذا؟ لأنه يعيش في الدنيا ونائم فيها، ومشغول بها، فماذا يأتيه في المنام غير الدنيا والكوابيس؟!.

نسأل الله ﷻ أن يُبلغنا جميعاً هذه الأمنية، وأن يجعلنا من أهل حضرات القرب من حضرته، وأن يجعلنا من أهل قربه ومودته، وأن يشملنا بعنايته وحفظه وصيانته، وأن لا يتخلى عنا بفضله وجوده ورحمته طرفة عين ولا أقل

**وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم**

---

٢٩ مسند احمد وموطأ مالك عن معاذ بن جبل ﷺ

# الوصل الرابع
# الجهاد المُوصِّل

- وجاهدوا في الله حق جهاده
- داعي العناية
- اصطفاء الله لعباده
- أنواع الجهاد
- جهاد العدو الخارجي
- العدو الداخلي
- جهاد النفس
- الاستجابة لله ولرسوله
- دسائس النفس الخفية

# الوصل الرابع: الجهاد المُوصِّل[1]

## وجاهدوا في الله حق جهاده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي اصطفى نفراً من عباده، ورباهم على عينه، ورزقهم حسن الاقتداء بحبيبه وصفيه سيدنا مُحَمَّد ﷺ، وأعانهم بفضله ومنه وجوده وكرمه على جهاد أنفسهم حتى إليه وصلوا، وبه اتصلوا، وفتح الله ﷻ عليهم فتوح العارفين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين، والصلاة والسلام على السراج المنير، والشمس التي هي كالضحى في قلوب العارفين، والروح الهفهافة التي تغمر أفئدة السالكين، سيدنا مُحَمَّد الحصن الحصين لنا في الدنيا، والشفيع الأعظم لنا يوم الدين، وآله وصحبه أجمعين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (١٧٨الحج) هذا خطاب من الله ﷻ لكل من يرغب أن يدخل في دائرة الاصطفاء، فإن الله اصطفى قوماً في الأزل القديم، قبل خلق الخلق، وقال فيهم في قرآنه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران).

وحتى لا يظن نفر من المسلمين أو المؤمنين بأن فضل الله ﷻ الكبير قاصر على هؤلاء المصطفين فإن الله ﷻ وسَّع دائرة الاصطفاء، وفتح الأمر وجعله ممدوداً إلى يوم العرض والجزاء، وقال فيه سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى ﴾ (١٧٥الحج) وكلمة (يصطفي) بالمضارع المستمر أي أن الاصطفاء ما زال مستمراً في يومنا هذا وبعد يومنا هذا إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (١٧٥الحج).

ومن عجيب أن الله ﷻ لم يقل (من المؤمنين) أو (من المسلمين) بل قال: (ومن الناس) لأن العبد قد يكون في ظلمة ظالمة؛ في ظلمة الكفر، أو في ظلمة البعد، أو في

---

١ المعادي – الخميس ٢٣ من محرم ١٤٣٦هـ ٢٠١٥/١١/٥م

وادي الصد والهجران، ويريد الله ﷻ أن يُخرجه من ذلك إلى حيث الكرم والجود والإحسان من حضرة الرحمن، فيتفضل عليه ﷻ بعطاءه وهو في هذه الظلمات، ويُخرجه من الظلمات إلى النور: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (٢٥٧البقرة) الظلمات كثيرة، والنور واحد.

وقيل في ذلك: ((قطرة من بحر جودك تجعل الكافر ولياً والشقي تقياً)) لو قطرة من بحر جود الله أنزلها الله ﷻ – ولا يُسأل عما يفعل – على قلب رجل وهو في أعتى ظلمات الكفر، فإن الله ﷻ يُبدل أحواله وأطواره، ويجعله في نَفَس وأقل ولياً لله ﷻ، ويقول في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه للمجالسين للصالحين والعارفين وأئمة المتقين:

كم جاهل نال علماً من مجالسهم أضحى حكيماً عليماً بالإشارات
أضحى ولياً له قلب ومعرفة يرى النبي عياناً حال خلوات

## داعي العناية

﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ (٢٣الأنبياء) وإذا نظرت وتصفحت في أحوال الصالحين في دواوينهم ترى في ذلك الباب العجب العجاب، فكم قاطع للطريق أصبح في طرفة عين بعناية من مولاه للحبيب الأعظم ﷺ رفيق، وأصبح لغيره دليل في الطريق:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

ويذكر شيخنا الشيخ عبد الحليم محمود رحمة الله عليه في حديثه عن الصالحين، وكان يتحدث عن كتاب (الرسالة القشيرية) وقال فيه: بدأ القشيري رسالته بالحديث عن الصالحين الذين كانوا في بدايتهم في مهاوي القطيعة والبعد عن رب العالمين، ليُرغِّب الطالبين، ويُؤلف العصاة والمذنبين، حتى لا يظنوا أن هذا شيء عزيز، أو أنه شيء في غير مقدورهم.

فبدأ بذكر الفضيل بن عياض ﷺ، والفضيل بن عياض كان زعيم عصابة تقطع الطريق، بين بلد إسمها أبيور في بلاد فارس الآن، يقطعون الطريق على الذاهب والراجع، وفي يوم كانوا على سطح منزل، وكلف كل رجل من عصابته بدور، وهو في هذا الوقت سمع من يقول: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (١٦الحديد) فخارت قواه، وجلس ولم يستطع النهوض أو القيام وقال: (آن يا رب) والتف حوله رفقاءه وأنزلوه، وسألوه عما جرى له، فقال لهم: التوبة إلى الله ﷻ، وتاب إلى الله ﷻ وأناب، وقال:حتى تصح توبتي لا بد أن أهجر كل ما كنت فيه، وأذهب إلى بيت الله الحرام وأختلي فيه؛ أتعبد لله ﷻ.

وذهب إلى البيت الحرام، واختلى في طاعة الله ﷻ، وجاء هارون الرشيد حاجاً إلى بيت الله الحرام!!!!

وكان الملوك راشدين، فكان هارون له من إسمه نصيب!

فكان عندما يذهب إلى هذه الأماكن يأمر وزيره وامراءه أن يبحثوا له عن الصالحين ليجالسهم، فعرضوا عليه ثلاثة من العلماء وجالسهم، وبعد مجالستهم أعطى كل رجل منهم ما يسمح به، وما تجود به نفسه من المال، وقال لوزيره: أريد رجلاً صالحاً يُرضي نهمي، قال: لم يبق إلا الفضيل، والفضيل لا يخرج لمقابلة أحد، قال: نذهب إليه، فذهبوا إلى الفضيل في الليل، وكان الفضيل في ذاك الوقت يوقد مصباحاً ويقرأ كتاب الله ﷻ.

فدقوا الباب – واسمع العجب العجاب – فقال: من بالباب؟ قال الوزير: أنا الربيع وزير الخلافة، وهذا هارون الرشيد أمير المؤمنين يريد زيارتك، قال: انتظر، فأطفأ المصباح، ثم فتح لهم الباب، فقال له: لِمَ أطفأت المصباح؟ قال: حتى لا أرى وجه ظالم!!، وكانوا لا يخافون في الحق لومة لائم!

فقال هارون: امدد يدك أصافحك، فمد يده إليه، فمس يده ثم قال: ما ألين هذه اليد لو نجت من عذاب الله ﷻ غداً، ثم جلس معه ينصحه، ثم قال هارون: يا ربيع

اترك له هذه الصرة، قال الفضيل: أنصحك وتغشني، قال: وكيف؟ قال: أنصحك أن تعطي مال المسلمين للمستحقين من المسلمين، وتعطيني من مال المسلمين، وتترك بقية المسلمين!!، لا حق لي في هذا المال إلا إذا تساوت فيه كل الأمة الإسلامية، انظر كيف كان حاله؟! وكيف تبدل حاله؟!

**ما بين طرفة عين وانتباهتها يبدل الله من حال إلى حال**

## اصطفاء الله لعباده

فالإصطفاء لله ﷻ ومن الله ﷻ لا يوجد فيه أمر مستبعد، فإن الله ﷻ هو الذي قال في قرآنه: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (١٧٥الحج) ومن الناس يعني اختيار الله ﷻ.

رأينا في زماننا الماضي رجلاً كان فرنسياً، ودرس الإسلام، وأعجب بالتصوف، وجاء إلى مصر، وتفرغ لطاعة الله ﷻ وعبادته، وكان الدكتور عبد الحليم محمود لا يستطيع أن يدخل عليه إلا بعد مدة طويلة من الاستئذان، لأنه كان مشغولاً بالله ﷻ بالكلية، مع ان أصله كان فرنسي وغير مسلم!.

إذاً لا تجعل هذه الأشياء عوائق، فإن الله ﷻ خلق الخلق بقدرته، ويُسيرهم بحكمته، وهو ﷻ الذي بيده مقاليد الأمور، وبيده مقاليد السماوات والأرض، لحكمة يعلمها لا يكشفها إلا لأحباءه.

ما أريد أن أقوله: لا ينبغي لأي رجل منا أن يستصعب شيئاً على مولاه، إياك أن تُيئسك نفسك وتقول: ومن أنا حتى أكون ولياً لله؟ ومن أنا حتى أكون من الأصفياء والأتقياء؟ ومن أنا حتى أكون من المجتبين الأخيار، ومن أصحاب الكشف والكرامات والعلوم الإلهامية؟ لا يمنعك من ذلك إلا نفسك، فلا حظر على أمر الله، ولا على فضل الله ﷻ: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١٧٨الحج).

فالذين يُيئسون الخلق من ولوج هذه المقامات هم أبعد الناس عن هذه المقامات،

لأن هذه المقامات مفتوحة للكل، وتدار بفضل الله، وليس لعبد من الأولين أو الآخرين تدخل فيها؛ اختصاص إلهي، لا يُقبل فيها غير شفاعة حضرة النبي ﷺ.

لكن الله ﷻ يختار على عينه من يريد من عباده، ويؤهله لمقام الولاية الذي اجتباه واختاره له، فإن الله إذا شاء وأراد جهَّز وأهَّل العبد لما يريده منه ﷻ، لكن هذا العبد لا بد أن يكون له جهاد: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت).

## أنواع الجهاد

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) وأنا أختصر الكلام في هذه الآية بحسب رؤية الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه حتى لا نوسع آفاق الكلام، فالجهاد نوعين: جهاد لعدو داخلي، وجهاد لعدو خارجي.

## جهاد العدو الخارجي

جهاد العدو الخارجي لا يكون إلا لمن كفر بالله ورسوله:

لكن لا يجوز لمن يؤمن بالله ورسوله، فلا أُعلن عليه حرب، ولا أرفع عليه سلاح، ولا أحادده بأي أمر من الأمور.

ويجوز لي أن أترك هذا الجهاد لأمرين، إما تأليفاً له إذا طمعت في تأليفه ودخوله في الإسلام، فاخاطبه بالحسنى، ولا أعلن عليه الحرب ابتداء، وإما إذا كنت في حالة ضعف وهو أقوى مني فيجب ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ ﴾ (١٢٨آل عمران) فأنسحب في هذا الظرف إلى أن أقوى وأستقوى ثم أبدأ الحرب.

## العدو الداخلي

لكن العدو الأخطر؛ العدو الداخلي، وبيَّن الحبيب ﷺ ذلك عندما كان راجعاً من إحدى الغزوات وقال لأصحابه:

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ } [٢]

جهاد النفس والهوى هو الجهاد الأكبر!!!

وعندما سُئل ﷺ عن ألد الأعداء للإنسان قال:

{ أَعْدَى عَدُوَّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ } [٣]

أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك، حتى من الشيطان: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء٧٦) فبمجرد أن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم يقول له المولى الكريم: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (الحجر٤٢) لكن النفس التي بداخلك هي العدو الأكبر للإنسان.

## جهاد النفس

والنفس – باختصار – جهادها في بابين: جهاد الشهوة، وجهاد الطمع، والشهوة هي شهوة البطن أو شهوة الفرج، ومعظم رسوب الناس في زماننا في الجهاد بسبب شهوة البطن، يستبيح لنفسه الغش، يستبيح لنفسه التدليس، يستبيح لنفسه الظلم، يستبيح لنفسه بخس الكيل والميزان، يستبيح لنفسه الخديعة، يستبيح لنفسه الكذب ... كل ذلك من أجل شهوة البطن، ولذلك إذا أحكم الإنسان بطنه أصبح فوراً ولياً لله ﷻ، سيدنا سعد يقول:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ }

فما الأوراد التي أعطاها له؟

لا شيء، ولكن قال له ﷺ:

يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ" } [٤]

---

٢ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وذم الهوى لابن الجوزي عن جابر بن عبدالله

٣ الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس ﷺ

لم يطالبه بزيادة عن الفرائض والنوافل بكذا وكذا، لكن الأساس المطعم الطيب، وهذا كما كان في عصر النبي ففي عصرنا أشد، ولذلك كل من يأكل حلالاً في عصرنا فهو من الصالحين على يقين، ودعاءه مستجاب لا يُرد، وقد لا يعلم هو ذلك.

لأن الناس جعلت الولي له هيئة كذا، وشكل كذا، وهذه أوهام موجودة عند كثير من الناس، فأنا يأتيني كثير من الناس يقولون: سمعنا عنك ونريد أن نجلس معك، ثم يقولون: كنا نحسبك على هيئة كذا، وشكل كذا ... يريدون المظاهر، والمظاهر ما لها وولاية الله؟! الممثل يفعل ذلك فهل يكون ولياً لله؟!.

الولاية محلها القلوب التي طهرت لحضرة علام الغيوب ﷻ، فقد يكون الإنسان ولياً لله ودعاءه مستجاب وهو لا يدري، ولذلك أحذر أي أخ يتحرى الحلال أن يدعوا على أحد، أو على نفسه، أو على ولده، أو على ماله، أو على غيره، لأنه ربما يدعوا وهو مستجاب الدعاء، فتتحقق الإجابة ويندم ولا ينفع الندم، لكن كل رجل يتحرى الحلال في عصرنا أو قبلنا أو بعدنا هو ولي لله ومجاب الدعاء كما أنبأ سيدنا رسول الله ﷺ.

الشهوة الثانية هي شهوة الفرج، والفرج إذا قيل فإنا نطلقه على جملة الفتحات والفروج التي في الإنسان، لأن الله عندما وصف المؤمنين قال في شأنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾ (٥المؤمنون) والفروج هنا تشمل كل الفتحات، العين والأذن والأنف والفم ... كل الفتحات التي في الإنسان هي فروج ينظر منها إلى الأكوان.

لأن الله ﷻ خلق الإنسان حقيقة نورانية إلهية معنوية، وأخذ عليها العهد في عالم المثال؛ في هذه الحالة النورانية: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف) وأراد الله ﷻ امتحان الإنسان في الخطاب الذي ردده أمام حضرة الرحمن، فخلق الله له هذا الكيان، وجعل هذا الكيان من طينة الأرض ليناسب ما على الأرض، يأكل من الأرض، ويلبس من الأرض، ويتعالج بأي شيء

٤ معجم الطبراني عن ابن عباس ﷺ

موجود على الأرض، ويستخدم بيتاً من عالم الأرض، لكن يتحرك في عالم الأرض من خلال الفتحات الإلهية التي أوجدها فيه رب البرية ﷻ.

ينظر من هذه العين، لكن هل هذه العين بذاتها ترى؟! يسمع بهذه الأذن، لكن هل الأذن بنفسها تسمع؟! لو كان ذلك فإن الإنسان عند مفارقته الدنيا لا يفقد عضواً من هذه الأعضاء، العين كما هي لكنها لا ترى، والأذن كما هي لكنها لا تسمع، واللسان كما هو لكنه لا ينطق، والجسم كله كما هو لكنه لا يتحرك، لماذا؟ خرج منه السر الإلهي الذي هو أنت أيها الإنسان، وهو حقيقة الإنسان، ولا يعلم حقيقتها، ولا يطلع عليها إلا الله ﷻ.

## الاستجابة لله ولرسوله

هذه الأشياء التي في الإنسان ما هي إلا وسائل يأكل بها، ويشرب بها بعالم الأكوان، أدوات يستخدمها في هذا الكون، فالحواس هي المطلوب الجهاد بشأنها، والجهاد بشأنها لا يتم إلا بعد الإستجابة التي وضح الله ونوَّه بشأنها في قرآنه للنبي، أو لورثة النبي.

ينادي الله على المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ لبيك اللهم ربنا وسعديك، ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ للإثنين ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ لم يقل (إذا دعاكما) من الذي يدعوا هنا؟ الرسول، وإلى أي شيء يدعوا؟ ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال) وهل نحن ليسوا بأحياء الآن؟ نحن الآن نعيش، كل الذي لم يحتيي الحياة الإيمانية القرآنية فهو عايش، يقول الله في شأنه: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ (٣٦الزخرف) ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (١٢٤طه) معيشة وليست حياة.

فكل الذي أعرض عن ذكر الله ولم يحتيي الحياة اليقينية فهو عايش، ولكنها معيشة كبقية الأشياء: ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ (١٢محمد) ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (١٧٩الأعراف) لأن الأنعام تذكر الله.

ولكن الحياة لمن استجاب لله، الحياة الإيمانية، ثم بعد ذلك يرتقي إلى الحياة الإحسانية في مقام الإحسان، ثم يرتقي إلى الحياة اليقينية في مقام اليقين، ثم يرتقي إلى الحياة الشهودية، فيشاهد بعين قلبه ما غاب عن عينه الدنيوية، لأنه ارتقى في العوالم القدسية، ودخل في قول الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (١٧٥الأنعام) ليس وحده.

إذاً لا يحتبي الإنسان الحياة الحقيقية إلا بعد الإستجابة للرسول أو من ينوب عن حضرة الرسول من الورثة الأتقياء الذين قال فيهم ﷺ:

{ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ } [٥]

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ } [٦]

الذي معه العلم فقد ورث العلم ونطلق عليه عالم، والذي ورث النور فهو ولي في نفسه، لكن الولي المرشد لا بد أن يكون معه العلم والنور، وهذا هو الوارث الكلي، أو الوارث الجامع، أو الغوث الفرد الذي به تطيب القلوب، وبه تصفوا من الذنوب، وبه يصفوا له طهور المشروب، وبه يرتقي في الدرجات العلى، ويكون بعدما كان طالباً هو مطلوب لحضرة علام الغيوب ﷻ.

إذاً لا بد أن يستجيب أولاً لله ورسوله، والإستجابة للرسول ﷺ لا تكون إلا بإحياء سنته، والمشي على منهجه، فنُحي ما اندثر من السُنَّة، قال ﷺ:

{ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا } [٧]

٥ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء ﷺ
٦ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي الدرداء ﷺ
٧ جامع الترمذي وابن ماجة عن عمرو بن عوف ﷺ

نحي السنُة التي اندثرت، والسُنة التي تخلت عنها الناس وتركتها، والسُنَّة التي هجرتها الناس، فهذه هي الإستجابة الحقيقية للرسول ﷺ، وهي عين الإستجابة لله ﷻ.

ولذلك كان ﷺ داخلاً المسجد فوجد رجلاً من المؤمنين يُصلي، فناداه، فمكث الرجل حتى انتهى من الصلاة ثم أتى، فقال ﷺ:

{ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟ قَالَ كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﷻ: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾؟ }[٨]

ما دمت تُصلي نافلة فإجابة الرسول فرض، فتترك النافلة وتجيب الرسول ﷺ، وأخذها العلماء وسحبوها على الآباء والأمهات، فلو أن الإنسان يُصلي نافلة في المنزل ونادى عليه الأب أو الأم، يُسلم من النافلة ودعاء الأب ونداء الأم فريضة، فيجيب الأب أو الأم، إلا إذا كان يعلم علم اليقين أنه إذا رفع صوته، وعلموا أنه في الصلاة فلم يحزنوا، فلا بأس في ذلك.

فالإستجابة لله والرسول أولاً ليحتيي الإنسان، وبعدما يستجيب الإنسان فإن الله يحي قلبه، وإذا أحيا الله قلبه منع كل هذه الفتحات من مخالفة الله ﷻ.

ما الذي يمنع الإنسان من النظرة المحرمة؟ ما الذي يمنع اليد أن تمتد للحرام؟ ما الذي يمنع اللسان من نطق الكلام الذي لا يُرضي الله؟ ما الذي يمنع ذلك كله؟ الرقابة الإيمانية التي وُجدت في باطن القلب نتيجة الحياة الإيمانية التي استجابها لله والرسول، لكن إذا لم توجد هذه الحياة الإيمانية في القلب، فما الذي يمنع هذه الأعضاء أن تذهب هنا وهناك؟!!.

إذاً الجهاد الأعظم يحتاج إلى ذلك، قد يقول أحدهم سأراقب عيني، بم ستراقبها؟ سأراقب يدي؟ بم ستراقبها؟ موطن المراقبة القلب التقي النقي الذي عمر بحب الله والنبي، واحتيا الحياة الإيمانية، ولذلك الذكر الأعظم لله هو مراقبة القلب لله، وعلمه علم اليقين أن الله يطلع عليه ويراه، وهذا هو الذكر الأعظم عند الصالحين.

---

٨ سنن النسائي عن أبي سعيد بن المعلى

فلو أمسكت بالمسبحة وقلت خمسة آلاف مرة أو عشرة آلاف مرة (لا إله إلا الله) وعينك تنظر هنا وهناك، فما الذي فعلته؟!

لكن الذكر الحقيقي :

مراقبة القلب لله جل في علاه؛!!!

- أن يشعر الإنسان أن الله منه على بال!
- وأن الله ﷻ ينظر إليه في كل الأحوال!
- وأن الله يطلع على سره ونجواه!
- وأنه ﷻ يرى جميع خفاياه!
- فيخشى أن يقع في مخالفة تُغضب الله جل في علاه!!!

وهذا هو الذكر الأكبر، وهو ذكر الصالحين والعارفين والمتقين.

كثير منا يعتقد أن ذكر الصالحين والعارفين هو ذكر إسم من أسماء الله عدد معين، وذكر إسم آخر عدد معين، لكن هذا ذكر العابدين، يريد به حسنات، ومنازل في الجنات، وسيعطيه الله، لكن الذكر المُقرب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨النحل) معهم، ويستشعرونه على الدوام، يشعرون في كل أوقاتهم أن الله ﷻ لا يغيب عنهم طرفة عين ولا أقل، وهذا هو الذكر الأكبر، الذي يقول فيه الله: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١٥٢البقرة) ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (٢٨فاطر).

## دسائس النفس الخفية

بعد جهاد البطن ....

وجهاد الشهوة ....

يأتي الجهاد التالي المهم وهو جهاد الطمع !!!

، فإذا انتهى من هؤلاء ودخل وسلك في طريق الله يتبقى عنده بعض شهوات نفسية خفية، يسمونها (دسائس النفس الخفية) ولا بد أن يتطهر منها باطنا حتى يصل إلى مرحلة الكمال في التعامل مع الواحد المتعال ﷻ.

أخطر هذه الدسائس الطمع، فما الذي أخرج أبونا آدم من الجنة؟

معصية ليست في نظرنا شهوانية ولا حيوانية، لكنه طمع الخلود في الجنة حتى يكون في جوار الله ﷻ ويتمتع به في الجنة!!!

أكل من الشجرة ليخلد في الجنة!

ليس من أجل الجنة، ولكن ليكون قريب من الله ﷻ!

وكونه وجدت هذه الشهوة عنده فكانت النتيجة أن خرج من الجنة.

كحال بعض المريدين:

إذا انخرط في العبادة، وسلك الزهادة، ويبغي من وراء ذلك الحصول على مقام عند الله، يريد أن يكون من الواصلين، أو من المكاشفين، أو يرى الرؤيات الصالحة، أو يريد أن يكون من المقربين، لكن لماذا نعبد الله؟

فاعبدنه لذاته، أنا أعبد الله لأنه أحق أن يُعبد، ولانه أهل للعبادة، ولا أنتظر شيئاً مقابل ذلك، إلا فضل الله، ورحمة الله، وإكرام الله التي يختارها لي الله ﷻ، ولذلك عبادة الصالحين لا يحددون لأنفسهم مكانة ولا مقام ولا درجة، لكن أعبد الله لأنه أهل للعبادة، وقد قال لبعض العُبَّاد كما ورد في الأثر: "لو لم أخلق جنة أو ناراً أفلم أكن أستحق العبادة لذاتي " !!!

وقال لبعض آخر وهو يعاتبه: " عجباً لمن رآني دون مكوناتي، قال: وكيف ذاك يارب؟ قال: من اتخذ عبادتي وسيلة لدخول جنتي فقد رآني دون مكوناتي "

هل ستعبد الله حتى يُدخلك الجنة؟

وهل الجنة أكبر من الله ﷻ؟

حاشا لله!

لكن نفعل كأصحاب رسول الله الذين أمره الله أن يتصبر معهم وقال له:

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ (١٢٨الكهف).

فالذي يعبد الله ليعطيه الله علماً فهو عبد للعليم، والذي يعبد الله ليعطيه نور فهو عبد للنور، والذي يعبد الله لكي يؤتيه الحكمة فهو عبد للحكيم، لكن الذي يعبد الله ﷻ لذاته فإن الله ﷻ يتفضل عليه بكل خيره وخزائن جوده وفضله وبركاته لأنه عَبَد الله ﷻ، ولا يرجوا من الله إلا إحسان الله ﷻ.

هذه العلل تأتي للسالك، ومثلها أن يعبد الله ليكون شيخ، ويريد أن يكون حوله مجموعة من المريدين يلقنهم ويعلمهم، وتفرح نفسه إذا اجتمعوا حوله وعظموه وكبَّروه، فهذه عبادة ليست لله، ولكن للمنصب الذي اختاره لنفسه في دنياه، وسيتخلى عنه إن عاجلاً أو آجلاً يوم يلقى الله جل في علاه.

كل هذا من شهوة الطمع، ولذلك ينبغي للمرء في هذا المقام أن يسلم نفسه لعبد أعلم في طريق الله منه حتى يجنبه هذه العثرات، ولا يقع في هذه الوحلات، وينطلق إلى الله ﷻ فراراً، فيصل بفضل الله إلى مقام قربه ورضاه.

نسأل الله ﷻ أن يمن علينا بالجهاد الأعظم الموصل لمراضيه، وأن يكشف عنا حجاب التناء حتى نكون من أهل وده وقربه، وأن يوصلنا بحضرة النبي وصولاً نورانياً إلهياً، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

**وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**

# الوصل الخامس

# الصمت

- الصمت عنوان السالكين
- حفظ اللسان لعباد الرحمن

# الوصل الخامس: الصمت[1]

## الصمت عنوان السالكين

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي إذا أنعم على عبد برضاه وفَّقه في دنياه لما يحبه ويرضاه، وجعله دوماً رهن إشارة حبيبه ومصطفاه، وجرَّده من حظه وهواه، ولم يجعل له مُنى في الكونين غير وجه مولاه، اللهم صل وسلم وبارك على ألف البداية وياء النهاية وسر العناية سيدنا مُحَمَّد وآله الأبرار وصحابته الأخيار، وكل من سار على هديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين ... آمين آمين يارب العالمين.

سنتحدث عن علامة رسَّمها النبي ﷺ على مظهر أحبابه الصادقين، كيف نعلم أن هذا الرجل من الصادقين؟ هناك علامات كثيرة ذكرها الله وصف بها الصادقين، وهناك علامات لا تعد وجَّه النبي ﷺ أصحابه إلى العمل بها ليكونوا من الصادقين.

وأول هذه العلامات، وأهم هذه السمات أن الإنسان يملك زمام لسانه، ويكون الصمت هو عنوانه، ولذلك يقول سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه: ((كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام)) فإن هناك دروس من حضرة النبي ﷺ لهم في معرض المليك القدوس يعلمهم فيها كيفية الصمت، الذي يطابق كتاب الله، ويكون لهم فيه أسوة لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

والصمت لا يستطيع الإنسان أن يتخلق به إلا إذا امتلأ قلبه بالكلية بالحب لربه، والحب لحبيبه، وأقبل ظاهراً وباطناً على الله ورسوله؛ يرجو رضاء الله ﷻ.

لأنه في هذا المقام يريد أن تنضبط أقواله وأفعاله وأحواله على قدم الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وكان ﷺ يقول عن حضرته، وهو الكلام المعبر عن خيار أحبته:

**{ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ يَكُونَ نُطْقِي ذِكْرًا ، وَصَمْتِي فِكْرًا ، وَنَظَرِي عِبْرَةً }**[2]

---

١ المعادي – الخميس٢١ من صفر ١٤٣٧هـ ٣/١٢/٢٠١٥م

هذا هو المنهج، وهذا المنهج الكريم تطبيق عملي لقول الله ﷻ في الذكر الحكيم: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ﴾ (١١٤النساء) وعندما يقول الله: ﴿ لَّا خَيْرَ ﴾ ينبغي للمؤمن أن يتحسب عند هذه النجوى، ويعد على نفسه هذه الكلمات، ويتحسب من الوقوع في هذه الآفات، وأن لا ينطق إلا بما يسمح الله ﷻ في هذا النص القرآني المقدس: ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١١٤النساء).

وما شابه ذلك، وما شاكل ذلك لا بد أن يأخذه المرء من الحبيب المختار حتى لا يدع للهوى في نفسه قرار، فيخرج من حصون الواحد القهار ﷻ، هذه الحصون الإلهية يقول فيها رب البرية: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (٤٢الحجر).

كان أهم خصلة يتهذب بها أصحاب الحبيب عملياً بعد المحاضرات النظرية من حضرته، وبعد الآيات القرآنية من مقام العزة الإلهية دخلوا إلى الحياة العملية والتطبيقية، فكان أول تطبيق لهم الصمت، والصمت فضيلة في مكانها وفي مقامها الذي حبذه الله ﷻ ونبيه ﷺ، لكن قبله هناك قول هو خير من الصمت يقول فيه ﷺ مبيناً الفارق بين المقامين:

## { مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ } [٣]

إذاً الكلام الذي فيه خير خيرٌ من الصمت، والصمت خير من زلات اللسان ووقوع الإنسان في آفات اللسان التي نهى عنها النبي ﷺ، وحذرنا منها في القرآن حضرة الله ﷻ.

وقد قال سيدي أبو العباس المرسي ﷺ وأرضاه: ((لا يُكتب الرجل في ديوان العارفين حتى لا يكتب عليه الحافظان معصية لسانية لمدة اثني عشر عاماً)).

وقد كان تلميذه النجيب سيدي مكين الدين الأسمر ﷺ يصنع كما صنع السلف الصالح، وأصحاب حضرة النبي؛ كان يجعل له كراس يُسجل فيه كل ما يتفوه به اللسان

---

٢ مسند الشهاب

٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

منذ صلاة الصبح إلى أذان المغرب، ثم يجلس عند الغروب يحاسب نفسه على ما يتفوه به، ومع أنه كان يعمل ترزياً، وكان محل الترزي مكان يكثر فيه الكلام، لكنه يقول في ذلك ﷺ وأرضاه: ((عند غروب الشمس أعد ما تكلمت به في هذا اليوم فأجده بين ثلاث عشرة كلمة أو خمس عشرة كلمة فأنظر فيها، فما وجدت فيها من خير حمدت الله عليه، وما وجدت فيها غير ذلك استغفرت الله ﷻ منه وسألته الإقالة)).

لأن النبي ﷺ نوَّه في أحاديثه التي لا تُعد ولاتُحد على أن الخير في الصمت، إلا سؤال عن علم، أو إصلاح بين الناس، أو تقديم نصيحة بقدرها، أو مواساة لمنكوب، أو من عنده متوفي، أو ما شابه ذلك، أو رفع الروح المعنوية لإنسان أشرف على اليأس أو القنوط، وهذه الحالات تتضح لأهل القلوب، ويناول الله ﷻ أهلها المطلوب، فلا يزيد ولا ينقص عن المطلوب لأنه يريد أن يُرضي علام الغيوب ﷻ.

وليس كمن يأخذ كلمة وينسج منها رواية تحتاج إلى وقت طويل، فهؤلاء فارغين، وينسون أنهم مقبلون على الله والعمر قصير والمطلوب عظيم، فإذا ضيع وقته في الكلام ساعتين مع هذا وساعتين مع ذاك، فماذا يتبقى له من الوقت ليناجي فيه مولاه جل في علاه؟! وهو الذي يقول لنا: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ (١٥٢البقرة).

وسُئل رجل من الصالحين: هل في الإنسان عيوب؟ قال: في الإنسان عيوب لا تعد ولا تُحصى، ولكن يستطيع أن يسترها كلها بشيء واحد، قالوا: بماذا؟ قال: بالصمت.

بالصمت يستر الإنسان كل العيوب، فإذا تكلم الإنسان، فالكلام كما قال الرحمن: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق) كما قال بعض السلف بأن رقيب هو ملك اليمين، وعتيد هو ملك الشمال، لكن لو أن ملك اليمين يسمى رقيب وملك الشمال يسمى عتيد لكان بينهما واو، لكن لم يقل الله ﷻ (رقيب وعتيد) لكنه رقيب واحد، والرقيب هو الله ﷻ، وهو عتيد في مراقبته لأنه لا يوجد كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، ويعلم مع فلتات اللسان النوايا التي تصحب هذا الكلام في قلب هذا

الإنسان، لأنه يحاسب الإنسان على نواياه، قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى } [٤]

فكان سلفنا الصالح ﷺ وأرضاهم يعلمون أن هذا المريد سلك الطريق، ووضع قدمه على قدم أهل التحقيق، إذا أمسك لسانه، ولم يتفوه إلا في الضرورات التي ذكرنا أمثلة لها، وأباحتها الآيات، ووضحها سيدنا رسول الله ﷺ، وإذا نطق لا ينطق إلا بعد روية، فقد قيل: ((قلب المؤمن وراء عقله)) يفكر أولاً ثم يعرض على القلب، فإذا وافق القلب بعد موافقة العقل ينطق اللسان، وإذا وجد اشمئزازاً في دائرة العقل، أو عدم رضا في دائرة القلب، يعلم أن هذا الكلام عليه لا له، وقد قالوا في روضات الصالحين في بدايات السالكين ((من عد كلامه من عمله قل كلامه)).

المصيبة الكبرى أن الناس لا تعد الكلام عمل، وكأنهم لا يُحاسبون على الزلل، مع أن آفات اللسان هي المصيبة الكبرى في الدنيا والآخرة لأي إنسان إن كان مع الخلق أو مع الخالق ﷻ يوم لقاه.

فكان ﷺ أول شيء يُعلمه لأصحابه الصمت، وكان تلميذه الأول سيدنا أبو بكر الصديق يضع تحت لسانه حصاة، فقال له سيدنا عمر: ما هذا يا أبا بكر؟ قال: أمنع لساني من الكلام، قال: ولِمْ؟ فأمسك بلسانه وقال: هذا الذي أوردني الموارد.

كل آفات الإنسان مع الخلق ومع الرحمن تأتي من قِبَل اللسان، فوجَّه النبي ﷺ الجميع إلى الصمت، وهناك أحاديث عظيمة في هذا المجال لا أستطيع عدها ولا حدها، وهذه نصوص بعض الأحاديث العظيمة لنرى فضل وفضيلة الصمت عند الله سبحانه وتعالى، قال ﷺ:

{ مَنْ صَمَتَ، نَجَا } [٥]

وعن أَبَي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

٤ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

٥ سنن الترمذي والدارمي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

{ أَلا أُعْلِمُكَ بِعَمَلٍ خَفِيفٍ عَلَى الْبَدَنِ، ثَقِيلٍ فِي الْمِيزَانِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هُوَ الصَّمْتُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَتَرْكُ مَا لا يَعْنِيكَ } [٦]

وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه:

{ أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَحْسَنِ الْعَمَلِ وَأَيْسَرِهِ عَلَى الْبَدَنِ؟ قَالَ: بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَطُولُ الصَّمْتِ، عَلَيْكَ بِهِمَا فَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِهِمَا } [٧]

وقال ﷺ:

{ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا تَجَمَّلَ الْخَلائِقُ بِمِثْلِهَا } [٨]

وجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أَوْصِنِي، قَالَ:

{ عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلاوَةِ كِتَابِهِ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ، وَاخْزُنْ لِسَانَكَ إِلا مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ } [٩]

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ } [١٠]

{ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود أَنَّهُ ارْتَقَى الصَّفَا فَأَخَذَ بِلِسَانِه، فَقَالَ: يَا لِسَانُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍ تَسْلَمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ } [١١]

---

٦ الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا
٧ الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا
٨ مسند أبي يعلى الموصلي عن أنس رضي الله عنه
٩ معجم الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
١٠ جامع الترمذي ومسند أحمد
١١ معجم الطبراني وابن حبان

## حفظ اللسان لعباد الرحمن

ولذلك قلنا أن علامات التربية النبوية، أو ما تسمى بالتربية الصوفية، لا تظهر إلا في حركات اللسان:

وكما قال الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه:

((جعل الله ﷻ لكل شيء قفلاً واحداً وجعل للسان قفلان؛ الشفتان والأسنان)).

حتى نعلم أن هذا هو الأمر الجلل الذي ينبغي أن نراعيه إن أردنا أن نكون من عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان.

وقلنا أن النبي ﷺ كان يُلقن أصحابه دروساً عملية في الصمت، يقول فيها سيدنا أبو بكر ﷺ: ((كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام)).

فإذا نطقوا علَّمهم التأني والحلم في انتقاء واختيار الكلام، وتعقّله قبل أن ينطق به اللسان، وفي ذلك يقولون:

((كنا ننتقي أطايب الكلام كما تنتقون أطايب الطعام)).

هذا حال الأولين، وهذا حال المقربين من الآخرين، فعلامة المقربين صون اللسان عن الآفات التي حذر منها النبي العدنان ﷺ.

وما ثمَّت مشاكل ملأت حياة الناس في دنياهم، إن كان في داخل البيت، أو مع الجيران، أو مع زملاء العمل، أو مع الغير، إلا وتجد السبب الرئيسي فيها هو ألفاظ نطق بها اللسان !!!

قد تكون بلا مبالاة، وقد تكون عن عجلة، وقد تكون عن تسرع ،وقد تكون عن غير روية، ولذلك بيَّن النبي ﷺ أنه يبغض المُكثر من الكلام.

ناهيك ببغض النبي لمن يُكثر الكلام فكيف يُكثر منه إنسان بعد علمه أن هذا

يؤدي إلى غضب النبي ﷺ عليه؟! قال ﷺ:

**{ إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ }** [١٢]

والثرثارون هم الذين يُكثرون من الكلام في أي أمر وأي واد، وما أكثرهم في هذا الزمان، لكن لا ينبغي أن يكون من بينهم رجل تربى في دائرة الصالحين، لأنه يسيء إلى من رباه، ونحن قلنا: ((اجعل من رآك يدعوا لمن رباك)).

والمتشدقون هم الذين يحاولون أن يُظهروا الفصاحة والتشدق في الكلام والبلاغة، في وجود غيرهم، بينما النوايا التي في قلوبهم قد تكون غير خالصة نحو ربهم ﷻ، والكلام يُحاسب به المرء على النوايا التي سبقته في قلب الإنسان.

والمتفيهقون أي المتعالون الذين يدَّعون العلم والمعرفة بغير أصل استندوا إليه، وما أكثرهم في هذا الزمان، بل إن الناس يجعلون أنفسهم متفيهقون في كل الميادين الفنية والعلمية والرياضية والسياسية وغيرها.

ومن هنا نوجه الأحبة إلى أن نلفت نظر أنفسنا نحو ألسنتنا، ونحاول أن نتبرأ من الآفات التي نبهنا إليها نبينا ﷺ، وذكرنا قبل ذلك قول النبي ﷺ:

**{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ }** [١٣]

**وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**

---

١٢ جامع الترمذي ومسند أحمد عن جابر ﷺ

١٣ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

# الوصل السادس

# آفات اللسان

- ☒ خطورة اللسان
- ☒ آفات اللسان

١: الكلام فيما لا يعني

٢: فضول الكلام

٣: الجدال والمراء

٤: سؤال المرء عما لا يعنيه

٥: الخصومة

٦: الكلام الفاحش والسب واللعن

٧: ذو الوجهين

٨: إفشاء السر

٩: عدم الوفاء بالعهد

## آفات اللسان المحرمة[1]

- ☒ الكلمة الطيبة
- ☒ أولاً: الغيبة
- ☒ ثانياً: اللمز
  - مواهب ذوي الاحتياجات الخاصة
  - مواضع يباح فيها الغيبة
  - كفارة الغيبة
- ☒ ثالثاً: النميمة
  - آفة ثقل الكلام
  - فضيلة كتمان الأسرار
- ☒ رابعاً: الكذب
  - الكذب المباح
  - المعاريض
- ☒ خامسا: اليمين الكاذبة

١ المعادي – ٢٥من ربيع الثاني ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/٤م

# الوصل السادس: آفات اللسان[1]

## خطورة اللسان

اللسان سبب كل المشاكل العاجلة والآجلة إن كان بين الناس، أو عند رب الناس ﷻ، والأحاديث في هذا الباب لا تعد ولا تحد، ولا بد من الاطلاع عليها لكي نبدأ عهد جديد مع الله ﷻ، ونتوب إلى الله ﷻ من أن نكون داخلين في قوله الذي نعى على أهله: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾ (٤٥المدثر).

ومدح الله ﷻ في القرآن رجلاً نوبياً سمي لُقمان الحكيم!

وسُمي الحكيم لأنه كان لا يتكلم إلا لحكمة، والبعض نسبه إلى النبوة، والبعض نسبه إلى الولاية، يروي عن نفسه أنه ذهب إلى سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، عندما ألهمه الله بصنع الدرع، فقال: قلت في نفسي أأسأله عما يفعل، ثم قلت لنفسي: ولِمَ أسأله؟! إن كان هذا شيء سيخصني فسيخبرني بغير سؤال، وإن كان هذا شيء لا يخصني فلِمَ أسأله؟! قال: وإذا به بعد أن انتهى من صنعه أمسك به وقال لي: هذا درع يقي الإنسان من ضربات السيوف والرماح في ساحة القتال، قال: فحمدت الله تعالى على نعمة الصمت.

ولذلك يروي سيدنا عبد الله بن سفيان قال: قلت:

**{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ فِي الإِسْلَامِ لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا، قَالَ: اتَّقِ اللَّهَ، ثُمَّ اسْتَقِمْ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ }** [2]

وفي حديث آخر عن معاذ بن جبل ﷺ، قال له رسول الله ﷺ:

**{ أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ**

---

١ المعادي – الخميس٢١ من صفر ١٤٣٧هـ ٢٠١٥/١٢/٣م

٢ سنن الدارمي ومسند أحمد

بِمَلاك ذَلكَ كُلِّه؟ " قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّه، فَأَخَذَ بِلِسَانه قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّه وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِه؟ فَقَالَ: ثَكلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ } [٣]

وقال سيدنا رسول الله ﷺ:

{ أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِه } [٤]

## آفات اللسان

خطايا اللسان أكثر من أن تُعد، لأنه لا ينبغي لمريد سالك طريق الآخرة أو يرجوا فتح الله أن يكون متخلقاً بواحدة منها.

أول جهاد:

جهاد آفات اللسان.....

حتى يكون اللسان لا ينطق إلا بما يحبه حضرة الرحمن ﷻ،

وعندما تكلم رسول الله ﷺ عن الزمن الذي نحن فيه الآن، وبيَّن علاماته الواضحات، وقيل له: وما النجاة؟ قال:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ } [٥]

إذاً أول درع للنجاة من فتن هذا الزمان هو إمساك اللسان، وآفات اللسان كثيرة، منها المذمومة، ومنها المكروهة، ومنها المحرمة، وسنحاول أن نشير لبعضها وأهمها حتى يكرمنا الله ﷻ بالخروج منها، ..... ويجعلنا من الذين ينطبق عليهم قول الحبيب ﷺ:

{ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ يَكُونَ نُطْقِي ذِكْرًا، وَصَمْتِي فِكْرًا، وَنَظَرِي عِبْرَةً } [٦]

---

٣ جامع الترمذي ومسند أحمد

٤ معجم الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٥ جامع الترمذي والطبراني عن عقبة بن عامر ﷺ



الكتاب من المطبوع

# الآفة الأولى:

# الكلام فيما لا يعني

أول آفة من آفات اللسان، والتي لا ينبغي أن تكون في سالك لطريق الرضوان، يقول فيها ﷺ:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ } [٧]

ترك ما لا يعنيه من القول، ولذلك قال الصالحون: ((إذا دخلت بيتاً فادخل أعمى واخرج أخرس)) لا تشغل عينيك في داخل البيت لتتعرف على ما فيه، ولا تكشف أسرار وأستار أصحاب البيت بالكلام عما حدث بينك وبينهم، أو بينهم وبين بعضهم.

آفة هذا العصر، التدخل في شئون الآخرين، والطامة الكبرى أنها وصلت إلى كثير من السالكين، رجالاً ونساءاً، والنساء أكثر في هذا المجال.

وهذه بعض النماذج التي لا غنية لنا عنها: بنت في سن الزواج، ولا يأتيها خُطَّاب، فتأتيها من تقول لها: لماذا لا يأتيك خُطَّاب؟! ماذا يمنعهم؟! وهكذا، ماذا تفعل؟!! وقد تقول لها إذا كانت تعمل: هل لا يوجد أحد أعمى يراك؟! وهذا معناه أنها غير جميلة، هذه البنت عندما تسمع هذا الكلام تصاب بالمرض، وقد تحجب نفسها عن الناس، وذلك بسبب الكلام الذي تسمعه من التدخل فيما لا يعني الإنسان.

بنت مخطوبة، فتأتيها من تقول لها: ألم تجدي غير هذا؟! ألم تجدي أفضل منه؟! الواجب أن تساعديها على الرضا، والرضا يقول فيه الحبيب ﷺ:

{ وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ } [٨]

---

٦ مسند الشهاب

٧ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

٨ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

الأصمعي والذي كان مشهوراً في الدولة العباسية كان يمشي في البرية ليتعلم الفصاحة من العرب، فقال: وجدت امرأة جميلة وزوجها دميم، لكنها امرأة عاقلة وتقية، فقال لها: من هذا؟ فقالت: زوجي، فقال: لِمَ رضيت به؟ قالت: لعلي أخطأت فيما بيني وبين الله، وأحسن فيما بينه وبين الله فكافأه الله ﷻ بي.

لكن بناتنا عندما تسمع هذا الكلام من أحد يؤثر فيها وقد ترفض هذا الخاطب، وقد يؤدي هذا الكلام إلى أن البنت قد ترفض كل من يتقدم لها، وكل ذلك بسبب تدخل الإنسان فيما لا يعنيه.

لو تزوجت، تأتيها من تقول لها: لماذا لم تنجبي بعد؟! هل العيب عندك أم عنده؟! لا شأن لنا بهذا الأمر، لماذا نتدخل في هذا الأمر؟! هل أمرنا أن نتدخل فيه نبينا؟! هل أباح الله ﷻ لنا أن نتدخل فيه؟! لا، هذه خصوصيات، ولا شأن لنا بالخصوصيات.

لو أنجبت بنات، تأتي من تقول لها: لماذا لا تأتي له بولد؟! وما شأنها بذلك؟! نسأل الله، والعلم الحديث يطابق كلام الله، من منه سبب الذكر أو الأنثى؟ قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ (٣٩القيامة) الذي يتحكم في الذكورة والأنوثة جينات الرجل، ولا دخل للمرأة في ذلك من قريب ولا من بعيد.

هذه الأمور دارت في المجتمع، وأصبحت كأنها أخلاق إيمانية، لأن أهل المجتمع لا يعيبون على من يفعل ذلك، ومن يفعل ذلك لا يرى أنه آثماً أو ارتكب جرماً يحاسبه عليه الله.

ويتدخلون في كل الأمور، ماذا لكم؟ وماذا عليكم؟ ولماذا رضيتم بهذه الشروط؟ ولماذا لم تفعلوا هذا؟ وكل صغيرة وكبيرة يريد أن يتدخل فيها الإنسان!!.

إنسان سالك يدخل بيت أخيه في الله، فينتابه الفضول، وعينه لا تستقر، لكن معشر الصالحين يقولون:

إذا كان القلب مشغولاً بالله فالعين لا تستقر على شيء سواه.

رجل من الصادقين كان له خادم أمرد أي ليس له لحية، فجاءه رجل وقال له:

خادمك هذا الأمرد يفعل كذا وكذا، فقال له: أين خادمي هذا الأمرد؟ قال له: ها هو، فقال: والله لا أعلم أنه أمرد إلا عندما سمعت منك!! لأنه مشغول بالله فينظر بنور الله، والذي ينظر بنور الله لا يرى شيء غير القلوب.

أسمع كثير من بعض الأحبة يقولون فلان كان يرتدي كذا وكذا، فأقول لهم: لا أعلم، المهم ما يلبسه بداخله، وهو لباس التقوى: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ (٢٦الأعراف) لا شأن لي بما يلبس على جسده إن كان صوف أو حرير أو غير ذلك، فكل إنسان يلبس طاقته ووسعه.

فيدخل الإنسان بيت أخيه، ويُرسل عينيه في كل أرجاء البيت، ويسأله عن سعر هذه وهذه، ومن أين اشتراها؟! وغير ذلك، ما شأنك وهذه الأمور؟! هذا دليل على أن القلب فارغ ليس فيه إلا الدنيا ومتعها وزخرفها وزهوتها، وأن صاحب هذا القلب إن كان له قلب مشغول بما حوله من زينة الحياة الدنيا، والحبيب ﷺ لم يقل ذلك، لكنه قال:

**{ انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ }** [٩]

والبعض الآخر يسأله عن عدد أولاده، وكم بنت عنده وكم ولد؟ وما سنهم؟ وفي أي مرحلة تعليمية؟ ... هذه الأمور لم يكن يسأل عنها السابقين والصادقين في أي عصر، إلا إذا هو عرضها بنفسه.

والأدهى والأمَر أنه إذا حدثت مشكلة يريد أن يعرف جذورها وأسبابها، مع قوله ﷺ فيما معناه:

**{ إذا اختلف الرجل مع أهله فلا تسألوهما عن السبب }**

لا شأن لك بالسبب، ولا يجب أن تعلمه، ولكن تجد من يلح حتى يعرف السبب ويذيعه، فينتشر السبب هنا وهناك، أين السلوك إلى الله ﷻ؟!!.

---

٩ معجم الطبراني عن أبي ذر ﷺ

ينبغي على السالك في طريق الله ﷻ أن يجاهد الجهاد الأعظم في كف نفسه عن ما لا يعنيه، كان سلفنا الصالح يجاهد الرجل منهم نفسه – وربما تعجبوا من هذا – يجاهد نفسه أن لا يعلم من على يمينه ولا من على يساره في صف الصلاة.

وأنا والحمد لله كنت أجاهد نفسي على ذلك، فكنت أذهب إلى مسجد سيدي أحمد البدوي يوم الجمعة الساعة العاشرة وأجلس بالصف الأول، وأحاول إلى أن تنتهي الصلاة أن لا أعلم من على يميني ولا من على شمالي ولا من خلفي لأستغرق بالكلية مع الله ﷻ.

**{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ }** [10]

لا يتدخل الإنسان في شئون غيره بالمرة، لا من بعيد ولا من قريب، ويعمل بقول الحبيب ﷺ:

**{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ }** [11]

طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ...

وأمسك الفضل من لسانه ....

وهل أنا انتهيت من عيوبي حتى أنظر إلى عيوب غيري؟!

وكل الكاميرات الداخلية والخارجية يجب أن أوجهها لنفسي، حتى أصلح عيوب نفسي، وحتى أرتقي وأنال عند الله ﷻ ورسوله أنسي، وأبلغ درجات المقربين، وهنا أعمل بقول رب العالمين مع الآخرين:

﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٨٣البقرة)... ومع المؤمنين:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج).

---

١٠ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

١١ شعب الإيمان للبيهقي والبزار عن أنس ﷺ

## الآفة الثانية:

# فضـــــول الكلام

قلنا أن أول آفة من آفات اللسان أن يدخل الإنسان بنفسه فيما لا يعنيه، ولا دخل له فيه، وهذا لا يليق بالأدب الذي أمرنا النبي ﷺ أن نستند عليه في الوصول إلى رضاء الله ﷻ.

والآفة الثانية فضول الكلام، والفضول هو الكلام الذي لا يعني الإنسان في دنياه ولا في أخراه، وإنما يأتيه ليستقطع به وقته مع هذا أو ذاك، والمؤمن ليس عنده وقت لذلك، لأن النبي ﷺ قال لنا في ذلك:

{ **اخْزُنْ لِسَانَكَ إِلا مِنْ خَيْرٍ** } [١٢]

اللسان ما دام لم ينطق ببر أو خير فيجب أن أخزنه ولا أطلقه، وقال ﷺ:

{ **رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ** } [١٣]

ماذا يضرني لو سكت عن ما يضرني؟!

أخشى قول الناس عني أن هذا كذا وكذا، ويصفوني بأوصاف قبيحة، لكن أتخشى الناس ولا تخشى رب الناس؟!!.

هذه هي الحجة الواهية التي يستند إليها كثير من القوم، لِمَ لا تصمت؟ يقول: سيقولون على مثل أبو الهول لا ينطق أبداً، لكن ما قيمة كلامهم؟ أنا أريد أن أكون كما قال الله ﷻ: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج).

كلام الخلق لا يضرني فقط، بل يؤخرني سنوات وأزمنة ودرجات في القرب من رفيع الدرجات ﷻ، واسمع إلى الحبيب ﷺ وهو يقول:

---

١٢ معجم الطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

١٣ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ } [١٤]

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لا يَرَى بِهَا بَأْسًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا } [١٥]

كلمة واحدة لا يأخذ باله منها يهوي بها في جهنم سبعين سنة، لذلك ينبغي على المؤمن أن يتحرى ألا يتكلم في كلام باطل يخوض فيه، حتى لا يُقال له ويقول: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾ (٤٥ المدثر).

وكان ﷺ كما وُصف: طويل الصمت، ومن أراد أن يتأسى بحضرته فليتصف بأوصاف حضرته، وكان شديد الوجوم، أي الحزن فيما بينه وبين مولاه، لأنه يفكر فيما هو مقبل به على الله ﷻ، فإذا رأى الناس تبسم، وكان جل كلامه مع الخلق يفتر عن مثل حب الغمام، أي أسنان بيضاء كالفضة من شدة نصاعتها، عند حديثه مع الخلق صلوات ربي وتسليماته عليه.

ووصف الله ﷻ المؤمنين فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾ (المؤمنون) واللغو في عرف السادة الأئمة الكرام العلماء الكلام الذي لا يفيد، فيقطع الوقت في الكلام في السياسة والإنتخابات والأحزاب والكلام في الأمور التي تسوقها الصحف السيارات، والفضائيات، وهذا كلام لا يفيد الإنسان من قليل ولا كثير.

وإنما المؤمن يوظف لسانه في ذكر الله خير من الكلام الذي لا ينفعه ولا يفيده ولا يرفعه لا في هذه الحياة ولا عند مولاه ﷻ، يقول فيه ﷺ في شأن المؤمنين الصادقين،

١٤ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
١٥ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

عندما قيل له: أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟ قَالَ:

**{ مَنْ ذَكَّرَكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَكُمْ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ }** [١٦]

عندما تراه تجد لسانه ذاكر فيذكرك بذكر الله، لكن لا تصاحب من يذكرك بالسياسة والأحزاب والكلام الذي لا يفيد، لأننا لسنا متفرغين لهذا الكلام.

## الآفة الثالثة:

## الجدال والمراء

أدب النبي ﷺ صحبه الكرام، وسلفنا الصالح أتباعهم العظام على عدم الجدال في حق ولا باطل، لأن الجدال يثير الشحناء في الصدور، ويبعث الكراهية في النفوس، ويجعل كل إنسان يريد أن ينتصر لرأيه ولو خطأ، وهذا سبيل غيّ لا ينبغي أن يكون عليه مؤمن صادق مع الله، فقال ﷺ مبيناً لعاقبة الجدال للقوم الذين وجد فيهم:

**{ مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الْجَدَلَ }** [١٧]

إذا وجدت قوم يتجادلون في أي أمر، إن كان سياسة أو دين أو كرة أو غيره فاعلم علم اليقين قول الصادق أن هؤلاء غضب الله ﷻ عليهم.

ثم حببهم ﷺ في ترك الجدال فقال صلوات ربي وتسليماته عليه:

**{ أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا }** [١٨]

وفي رواية أخرى:

**{ وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ }** [١٩]

---

١٦ الأحاديث المختارة ووالمطالب العالية لابن حجر عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٧ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي إمامة ﷺ
١٨ سنن أبي داود والبيهقي عن أبي إمامة ﷺ
١٩ معرفة الصحابة لأبي نعيم عن أوس بن الحدسان ﷺ

إذاً تارك الجدال يُبنى له بيت في الجنة، ولذلك يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ في أوصاف أحبته: ((ومدامهم يُجلَى بغير جدال)).

وقد ذكرت قبل ذلك مراراً أني لا أحب الجدال ولا المجادلين، لا في المجالس، ولا في المساجد، ولا في أي موضع، لأن الجدال لا يؤدي إلى خير.

والذي يؤدي إلى خير إسمه المناظرة، نتدارس في موضع، وأنا أدلي برأيي وأنا غير متعصب له، إن ظهر على الحق على لسان أخي اتبعته، لكن الجدال أن أدلي برأيي وأتعصب له، وأزعم أنه وحده هو الصحيح، وهذا لا يجوز للسالكين ولا للصالحين ولا للعارفين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فأنا لا أحب الجدال، لأن النبي ﷺ كرَّهنا في هذا الأمر، حتى الجدال بين الرجل وزوجه، وبين الرجل وأبناءه لا ينبغي، إذا وجدنا الأمر سينتهي إلى جدال نوقف الكلام ثم نُعلن أننا سنستأنفه فيما بعد إذا راقت الأحوال وصلحت النفوس.

لأن الإنسان إذا جادل مع زوجه في أمر ربما يتطور إلى تهور، وربما يحتد عليها، وربما تتسبب في إثارته، فيقول كلمة لا ينبغي أن تُقال، قد يدفع في سبيله حياته كلها ولا يُغني ما معه من مال، وكل ذلك سببه الجدال.

ولذلك لا ينبغي أن يكون في حياة السالك أي مخرج ولو قليل لجدال في أي أمر، حتى وصل بنا الأمر أني لا أحب الفصال لأنه نوع من الجدال في البيع والشراء، فأبحث عن المحلات التي ليس فيها فصال حتى لا أدخل في هذا الجدال الذي يُدخلني في مجال منعنا عنه نبينا ﷺ.

والجدال قد يكون في الحق، أما المراء فهو الذي يجادل وهو يعلم علم اليقين أنه على غير حق، وما أكثر ذلك في زماننا هذا.

علينا أن نبتعد عن هؤلاء حتى لا نُعدى منهم، فمرضهم أشد من الجرب بالنسبة للجسم والعياذ بالله ﷻ، وهؤلاء قوم موجودون إن كان في الأحزاب السياسية أو في غيرها، فالمؤمن لا يجادل قط، وإنما يبين على قدره، وإذا لم يصل مع السامع إلى مستوى

من التسليم يقول له: نرفع الأمر إلى من هو أعلم منا في هذا الأمر، ونرضى بحكمه، إن كان في العلم يرفعونه إلى رجل أعلم، وإن كان في أي مجال يُصعِّدون الأمر إلى رجل ذوي خبرة في هذا المجال عنهم، وبذا تنتهي الأمور وتُحل المشاكل، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (٨٣النساء) وانتهت المشاكل وحُلت الخلافات بأيسر الأمور.

فالمؤمن لا يجادل ولا يماري لا باطلاً ولا صادقاً، أعرض بضاعتي، وأنا أعلم علم اليقين أني صادق، فإذا وجد من يكذبني فهذا حظه، فإن لم يقتنع برأيي أتركه وأتخلى عنه، وأتحول إلى أمر آخر في درسي، أو إلى غيره، لأني أعلم علم اليقين أن التوفيق للتسليم أمر من رب العالمين ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء).

## الآفة الرابعة:

## سؤال المرء عما لا يعنيه

أن يسأل الإنسان في أمر لا يعنيه، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ﴾ (١٠١المائدة) هناك عفو لأن الآيات نزلت، فلا ينبغي للإنسان أن يسأل في أمور لا تعنيه، والفارق بين هذه الآفة والآفة الأولى التي تحدثنا عنها في ترك ما لا يعني، أنه هنا يجب عدم الخوض في الأمور الغير واردة في الشريعة الإلهية.

لا ينبغي للمسلم أن يخوض في هذه الأمور ويسأل عنها، نحن نسأل فيما تطيقه العقول، أما ما لا تتحمله العقول فنرجع إلى صحيح النقول، ونُسَلم لما ورد في كتاب الله وأقوال الرسول، ولا نتعدى ذلك، كان ﷺ يتحدث ذات مرة وأثاره أصحابه بمثل هذه الأمور، فعن أنس بن مالك ﷺ قال:

**{ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ غَضْبَانُ وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ مَعَهُ جِبْرِيلَ، قَالَ:**

**فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيًا مُتَقَنِّعًا مِنْهُ، فَقَالَ: "سَلُونِي فَوَاللَّهِ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إلا أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفِي الْجَنَّةِ أَنَا أَمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: لا، بَلْ فِي النَّارِ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبِي؟ قَالَ: أَبُوكَ حُذَافَةُ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ آخَرُ، فَقَالَ: أَعَلَيْنَا الْحَجُّ فِي كُلِّ عَامٍ؟ قَالَ: لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ مَا قُمْتُمْ بِهَا، وَلَوْ لَمْ تَقُومُوا بِهَا لَعَذَّبْتُمْ، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، فَلا تُبْدِ سَوْآتَنَا وَلا تَفْضَحْنَا لِسَرَائِرِنَا وَاعْفُ عَنَّا عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنْهُ"}** [٢٠]

فمثل هذه الأمور لا ينبغي البحث عنها، ولا السؤال عنها، لأنها أمور لا تعني الإنسان من قريب ولا من بعيد، كالأسئلة التي يثيرها الملحدون في زماننا، والشريعة المطهرة أوجدت الردود الشديدة الصارمة عن هذه الأسئلة للصادقين والموقنين، فيقول لك أحدهم: من الذي خلق الخلق؟ فتقول: الله، فيقول: من الذي خلق الله؟ ولكن ما شأننا وهذا الأمر؟! شيء لم أطلع عليه، ولم أكتشفه، ولم يخبرني عنه الدين، فهذا أمر أُسلمه لرب العالمين ﷻ، ولا ينبغي لي أن أذكره أو أتحدث فيه، قال ﷺ:

**{ إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا }** [٢١]

سيذكرون القضاء والقدر، ويقولون: مادام الله قدر لي الذنب فلماذا سيحاسبني عليه؟ ولو قدر لي الهداية سأصلي، ولو لم يقدر لي الهداية فلماذا يحاسبني؟ ومثل هذه الأسئلة يجب أن لا نخوض فيها، ونمنع ألسنتنا عن الحديث عنها، ونمنع كل من حولنا، وكل من يلوذ بنا، وكل من يسمع لنا عن الكلام فيها، والإمام الغزالي ألف كتاباً عن ذلك سماه (إلجام العوام عن علم الكلام).

هذه الأشياء يجب أن نلجمهم عنها، لأنها أمور إلهية، ونحن ينبغي أن نسلم لما سمعناه من كتاب الله، أو من رسول الله ﷺ.

---

٢٠ مصنف ابن أبي شيبة

٢١ الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

## الآفة الخامسة:

# الخصومة

ورد في الإسلام أن يختلف الإنسان مع أخيه، لكنه لا يخوض فيه، ولا يتحدث في عرضه بشيء يشينه أو يهينه، وهذا أدب الإسلام، أما الذي يخوض في عرض أخيه لأنه حدث بينه وبينه خصومة، فهذه صفة وصفها سيدنا رسول الله ﷺ .. بأنها من أوصاف المنافقين:

**{ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ }** [٢٢]

وفَجَرَ معناها أنه قد يعيبه بشيء فيه أو ليس فيه، أو قد يتغامز بعينيه أو بأعضاءه عليه، أو قد يلمزه بكلام يوحي لغيره بأن هذا الإنسان فيه صفات كذا وكذا من الصفات المذمومة التي لا يحبها الخلق، وقد يشنع عليه بما ليس فيه، وهذه طامة كبرى يقول فيها ﷺ:

**{ مَنْ أَشَاعَ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ كَلِمَةَ بَاطِلٍ لِيُشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذِيبَهُ بِهَا مِنَ النَّارِ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَاذِهَا }** [٢٣]

وفي رواية أخرى:

**{ مَنْ أَشَادَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً لِيُشِينَهُ بِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ شَانَهُ اللَّهُ بِهَا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }** [٢٤]

لأنه كيف يعيب أخيه، والله يقول في القرآن: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ (١١الحجرات)؟!! وتلمزوا أي تعيبوا، وهل هناك أحد يعيب نفسه؟! فأخوك هو أنت، فإذا عبت أخاك فكأنك عبت نفسك، وقال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ

٢٢ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٢٣ الجامع في الحديث لابن وهب عن أبي الدرداء ﷺ
٢٤ الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا عن أبي ذر الغفاري ﷺ

أَنفُسِكُمْ ﴾ (٦١النور) فهل أنا عندما أدخل بيت أخي أقول السلام على نفسي؟ لا، ولكن كوني أسلم على أخي فقد سلمت على نفسي، إذاً الإنسان المؤمن لا يعيب إخوانه:

وستراً لعورات الأحبة كلهم وعفواً عن الزلات فالعفو أرفق

وماذا نفعل في حالة الخلاف؟ نعمل كما قال الحديث:

{ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ } [٢٥]

ولا يجوز أن يكون الخصام ممتداً، قال ﷺ:

{ لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ } [٢٦]

الذي يخاصم أخيه سَنَة فكأنه قتله والعياذ بالله، لأنه لا ينبغي لمؤمن – كما قال الحبيب – أن يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام، وبعد الثلاثة أيام أفضلهم عند الله الذي يبدأ بالسلام.

لكن في هذه الأيام ..... لا يتهامز عليه، ولا يسخر منه، ولا يستهزيء به، ولا يعرض به، ولا يعيبه ولا يشينه بأمر، وإنما يقول فيه ما يعرفه!!!

لأن المؤمن دائماً قوله كله شهادة يحاسبه عليها الله، ففي كل قول يردد قول الله: ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ (٨١يوسف) !

لا يقول إلا بما يعلم، حتى ولو كان هذا الإنسان أساء إليه إساءة بالغة، لأنه طبيعته الإيمانية وفطرته التوحيدية تقتضي ألا يقول إلا ما يعلمه ويتيقن منه، لأنه تربية رسول الله ﷺ وأصحابه المباركين ومن تبعهم من العارفين الصادقين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

## الآفة السادسة:

٢٥ البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ
٢٦ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي خراش السلمي ﷺ


الكتاب من المطبوع

# الكلام الفاحش والسب واللعن

لا ينبغي لمؤمن أن يخرج من لسانه كلمة فاحشة أياً كانت، إذا كان الله بذاته كان يُكَنِّي، والحبيب ﷺ كان يُكنِّي، فلا ينبغي على مسلم أن يقول قولة صريحة تدل على الفحش والتفحش، بل لا بد له أن يكني.

واسمع إلى الله وهو يقول: ﴿ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ (٤٣النساء) وصف مقاربة النساء بأنها لمس، ولذلك نجد العلماء الأخيار عندما تناقشوا في مسألة السلام على النساء وقفوا عند هذه الآية، فأخذ الإمام الشافعي بظاهر اللفظ، وقال:إن اللمس ينقض الوضوء، وأخذ الإمام أبو حنيفة بحقيقة اللفظ واستشهد بقول السيدة مريم: ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾ (٤٧آل عمران) فقال: المس هنا يعني الجماع، فالمرأة لا تنقض وضوء الرجل إلا إذا جامعها زوجها.

فكانوا كما علَّمهم الرسول ﷺ ورب العزة ﷻ يكنون، وانظر إلى الله وهو يقول: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (٢٢٣البقرة) ما هذا الجمال وهذا الكمال الإلهي؟!.

وانظر إلى هذه الآيات كلها والحديث عنها في كتاب الله، لم يذكرها الله إلا بلفظ الكناية، وكذلك نبينا صلوات ربي وتسليماته عليه.

فينبغي أن يتحفظ لسان المسلم التقي النقي الذي يسلك طريق الصالحين من النطق بأي لفظة يعيبها عليه من حوله، وتكون فاحشة في نظر الله، ونظر حبيب الله ومصطفاه، كذكر العورات، وذكر المضاجع وما شابه ذلك.

وأنا أقول ذلك وكلي أسى لما نسمعه الآن في موطن الإسلام من ألفاظ تصك الآذان في كل مكان، ويختلط معها السب والشتم، يعني لا يكتفي بذكر اللفظ، بل معه السب والشتم، وهذا لا يليق بأحوال المؤمنين الذين يريدون رضاء رب العالمين ﷻ، والمؤمن كما قال ﷺ:

{ لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلا اللَّعَّانِ، وَلا الْفَاحِشِ، وَلا الْبَذِيءِ } [٢٧]

أيضاً ينزه لسانه عن الألفاظ البذيئة، وكرَّم الله الإنسان، وكل بني آدم: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (١٧٠الإسراء) فلا ينبغي أن أقول لعبد من عباد الله كما يقول البعض: أنت حمار أو أنت جاموسة أو أنت كلب ... كيف أضع الصورة العلية التي وضعها الرحمن في أبهى المراتب العلية في القرآن في صورة دنية في صورة حيوان لا يصل مهما ارتقى إلى شعرة من شعرات الإنسان الذي كرَّمه الرحمن ﷻ؟!!.

قد يقول البعض: إني لا أنطق بذلك إلا في حالة الإنفعال، ونقول له: الرجل من يملك حاله لا من يملكه حاله، متى أصل إلى مقام الرجال؟ إذا سيطرت على نفسي في المواضع التي تدفعني بشدة إلى الخروج من الطبيعة البشرية، والسب والشتم، كالمعاصرين والمحيطين، والمؤمن لا يليق به ذلك أبداً.

وقد علَّمنا النبي ﷺ في درسه العملي مع الصديق ﷺ، عندما كان رجل يشتم أبي بكر، وأبو بكر صامت:

{ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِه، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِه، غَضِبْتَ وَقُمْتَ؟! قَالَ: "إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ" } [٢٨]

فيُعلم المؤمن نفسه، ويحفظ نفسه من الوقوع في هذه الأخطاء، لأنه مثال يمثل جمال الإسلام، وكمال الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، ولا يلعن حيوان، ولا طير، ولا جماد، ولا آلة، كان ﷺ سائراً مع أحبابه فِي سَفَرٍ، وبينا امرأة من الأنصار على ناقتها فضجرت منها فلعنتها، فقال ﷺ:

{ خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ } [٢٩]

---

٢٧ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٢٨ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

٢٩ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عمران بن حصين ﷺ

أمرهم أن يتركوه يهيم في الصحراء ..... لأنه لا يريد أن يكون معه جمل ملعون، وأيضاً :

**{كانت السيدة عائشة مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَعَنَتْ بَعِيرًا لَهَا، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُرَدَّ، وَقَالَ: " لَا يَصْحَبُنِي شَيْءٌ مَلْعُونٌ "}** [٣٠]

أما من يلعن الإنسان، إن كان إنسان لعنه الله فهذا أمره مباح، كمن يلعن أبو جهل، أو يلعن إبليس، أو يلعن اليهود، لأن الله لعنهم في كتاب الله، أما إذا كان مؤمناً فقد قال ﷺ:

**{ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالا فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلا وَإِلا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا }** [٣١]

ترجع اللعنه على قائلها، وأمرنا ﷺ أن ننهي أنفسنا بلطف عن أن نكون سبباً في لعنة من نحن منسوبين إليهم، إن كان الأب في النسب، أو الأب في طريق الله، وهذه أشد، فقال ﷺ:

**{ إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ }** [٣٢]

إذاً المؤمن لا يسب قط، ولا يلعن قط، حتى الآلة التي يستخدمها، كالسيارة، فتجد من تتعطل سيارته فيلعنها!!، هي بها عيب يريد الإصلاح!!، وبدلاً من لعنها اسأل لها الهداية مثلاً، قال ﷺ:

**{ إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: قَبَّحَ اللَّهُ الدُّنْيَا، قَالَتِ الدُّنْيَا: قَبَّحَ اللَّهُ أَعْصَانَا لِرَبِّهِ }** [٣٣]

وقال أبو الدرداء ﷺ: **((ما لعن أحد الأرض إلا قالت الأرض لعن الله**

---

٣٠ مسند احمد والطبراني عن عائشة ﷺ
٣١ سنن أبي داود والبيهقي عن أبي الدرداء ﷺ
٣٢ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٣٣ الحاكم في المستدرك عن طارق بن الأشيم ﷺ

**أعصانا لربه ))**[٣٤].

والأرض ليست عاصية، بل مطيعة لله ﷻ على الدوام، وكذلك الحيوانات والطيور والجمادات.

إذاً يجب على المؤمن دائماً أن يعمل بقول الله: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (١٨٣البقرة) فلا يخرج منه إلا الكلام الحسن.

## الآفة السابعة:

## ذو الوجهين

وحذر النبي ﷺ من آفة عظيمة من آفات النفاق، وهي أن يكون للإنسان لسانين، لسان يمدح به المرء في مواجهته وعند الجلوس معه، ولسان يذمه به ويقدح فيه عندما يغادره أو يتركه، وقال في ذلك ﷺ:

**{ ذُو اللِّسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }** [٣٥]

وقال ﷺ:

**{ شَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَلْقَى هَذَا بِوَجْهٍ وَهَذَا بِوَجْهٍ }** [٣٦]

وفي رواية أخرى:

**{ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ }** [٣٧]

لكن المؤمن كلامه واحد، وهذه آفة من آفات المنافقين انتشرت في هذا الزمان، أن يمدح الإنسان الإنسان في مواجهته، فإذا تخطاه يبدأ يذم فيه، وليست هذه من عادة المؤمنين، ولا من أوصاف المتقين، وإنما أوصاف المتقين كما قال فيهم رب العالمين:

---

٣٤ ذكر في الإحياء

٣٥ ذم ذي الوجهين واللسانين لابن عساكر عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٣٦ فوائد أبي بكر النصيبي عن أبي هريرة ﷺ

٣٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) صادقاً في كل أحواله.

## الآفة الثامنة:

## إفشـــــــــاء السر

هناك آفات أخرى، وقد تكلمنا فيها قبل ذلك كثيراً، وأولها: إفشاء السر، فلا ينبغي لمؤمن أن يبيح سر مجلس من مجالسنا هذه، أو أي مجلس جالس فيه أي جالس، فلو جالست أي إنسان في أي زمان ومكان، هذا المجلس خُتم بختم الأمانة، يقول فيه ﷺ:

{ الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَاتِ } [٣٨]

فلا ينبغي أن تبيح شيئاً من هذا المجلس إلا إذا عرفت وتأكدت رضا الجالس معك عن هذا الأمر، كيف أعرف أن هذا المجلس لا يذاع سره؟ قال ﷺ:

{ إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ } [٣٩]

أخاك يتكلم معك ثم التفت ليرى هل أحد قادم أم لا، فتعلم أن هذا الكلام أمانة ولا يذاع هذا الكلام.

وهذا الأمر يحتاج إلى درس طويل وأصيل مع زوجاتنا وبناتنا وأولادنا، حتى يحفظوا أمانة الكلام ولا يذيعونه إلى الآخرين، كما كان ﷺ يُعلِّم رجال ونساء وصبيان المسلمين، والكلام في ذلك يطول، وقد تكرر الكلام فيه أكثر من مرة وخاصة في حادثة الهجرة.

فإفشاء السر يمنع البر عن الإنسان، قال إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه: ((أول ما نأتمن عليه السالك في طريقنا أن نذكر له بعض أسرارنا الخاصة، فإذا أباح بها فهو غير

---

٣٨ اعتلال القلوب للخرائطي ومسند الشهاب بصيغة (المجالس بالأمانة) عن علي بن أبي طالب ﷺ

٣٩ جامع الترمذي وأبي داود عن جابر ﷺ

أهل لحمل الأسرار الإلهية)) إذاً حتى يحمل الأمانة لا بد أن يكون متصف بصفة المرسلين وهي الأمانة.

لو حدثك أخاك بحديث وليس معكما جليس فيكون كما قيل: ((نحن قوم إذا قمنا من المجلس فكأننا لم نجلس)) كتماناً للسر وحفظاً للعهد ووفاءاً بالبر الذي علَّمنا إياه سيدنا وإمامنا ورسولنا صلوات ربي وتسليماته عليه.

كتمان السر سبب كل بر يأتي من الله، وكل وصل يأتي من لدن حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

## الآفة التاسعة:

## عدم الوفاء بالعهد

أيضاً من الآفات المذمومة عدم الوفاء بالعهد، فالمؤمن إذا وعد وفَّى، حتى ولو كان شيئاً بسيطاً إذ يروي سيدنا عبدالله بن عامر ﷺ فيقول:

**{ : دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّه ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ: " وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيه، قَالَتْ: أُعْطِيه تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذِبَةٌ "}** [٤٠]

إذا وعدت أولادي بشيء فلا بد أن أوفي، فإن لم أستطع أن أوفي فلا أعد، وزوجتي حتى أكون صادقاً معها لا بد أن أوفي ما وعدتها به، فإن لم أستطع أن أوفي فلا أعد، ولكن يكون كلامي عام.

لا أقول لإبني إذا نجحت سأحضر لك كذا، ولكن أقول له: إذا نجحت وأكرمني الله ربما أحضر لك كذا، وبذلك أكون قد خرجت من الوعد، لكن إذا وعدت فلا بد أن أوفي.

٤٠ سنن أبي داود والأحاديث المختارة

وكذلك مع الأحباب، لا يجوز أن يقول الإنسان في وعد وعده لأخيه إني كنت أمزح، سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ كان يحج بيت الله الحرام ويطوف بالبيت، وجاءه سيدنا عروة بن الزبير وخطب منه ابنته، فلم يرد على الكلام لأنه كان في الطواف، وكان يقول عن الطواف: ((إنا نترائى ربنا في طوافنا)) فذهب إلى المدينة فجاءه مرض الموت، فجمع أولاده وقال لهم: إني كنت قد وعدت عروة بالزواج من ابنتي فلانة، وأخاف أن ألقى الله بثلث النفاق فزوجوه، إذاً الإنسان لا بد أن يوفي بالوعد.

## آفات اللسان المحرّمة[41]

لنا وللصالحين علامة في العبد الموفق، والعبد الموفق هو الذي يوفقه مولاه في القول الذي يرضي به من حوله من خلق الله، لأن الناس تألفه وتحبه وتنجذب إليه، ولذلك علامة السالك الحق في طريق الصالحين أن تجد كلامه كسيد الأولين والآخرين ﷺ، فقد قيل في شأنه: ((كان كلامه نذراً)) أي قليلاً.

لا يتكلم كثيراً ولكن ينطق بحساب، وكان كلامه ﷺ ومَن بعده ممن نهج على نهجه بلسم شاف لكل من حوله، لأنه يتخير كلامه، ولا ينطق إلا بما يحب أن يسمعه من غيره، ولو وزن الإنسان أقواله بهذا الميزان لصح وصدق في البرهان وكان من الصادقين في طريق الحنان المنان ﷻ.

لا تنطق لغيرك إلا بما تحب أن تسمعه من غيرك، كلام تتأفف إذا سمعته من إنسان لماذا تقوله لغيرك من بني الإنسان؟! والبعض قد ينساق إلى ذلك، ويدَّعي أن ذلك من باب المزاح والمداعبة، قد تكون الكلمة التي تظن أنها مداعبة جارحة لمن تُحَدِّثه!! ولك الاسوة الطيبة في رسول الله ﷺ عندما كان يداعب، فكان ميزانه صلوات ربي وتسليماته عليه وميزان الصالحين:

**{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }** [42]

٤١ المعادي – ٢٥من ربيع الثاني ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٢/٤م
٤٢ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

والمزاح إذا انزلق قليلاً يصير سخرية فيتأذى منه مستمعه، فيحتاج إلى ميزان دقيق حتى يكون المزاح عاماً في أمر عام، وليس خاصاً في أمر خاص، ولذلك كان الصالحون – ولا يزالون – يُقيِّمون السالكين بما ينطقون.

## الكلمة الطيبة

أحياناً تكون كلمة من اللسان أشد من طلقة من بندقية، لأن الطلقة تصيب الجسم، أما الكلمة فتصيب القلب، وتهزم الروح المعنوية في الإنسان، والكلمة قد تدمر الإنسان من داخله، ولذلك نحتاج في مجتمعنا جميعاً الآن إلى الرجوع إلى مجتمع الحبيب المختار، وأصحابه المزينين بالأنوار في اختيار الألفاظ التي تسر الإنسان وترفع روحه المعنوية، وتُعلي إرادته، وتوقظ همته.

ولعل ذلك ما كان عليه ﷺ منتحياً إياه في دعوته حيث يقول لصحبه الكرام:

{ **يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا** – وفى رواية ( **وسَكِّنُوا** )- **وَلا تُنَفِّرُوا** }[٤٣]

لا يسوق الناس إلى الله ﷻ وإلى العمل الصالح إلا البشريات والكلمات الطيبات، أما الذين يستخدمون القهر والشدة وجهنم والعذاب فإنهم يصيبون الناس بالإحباط واليأس، وإذا كانوا يعملون قليلاً يدفعونهم إلى ترك العمل بالكلية، أهكذا كان الحبيب ﷺ؟! كلا والله: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ (١٥٩آل عمران) شفوق وعطوف ورحيم وودود صلوات ربي وتسليماته عليه.

فأكبر جهاد للنفس جهاد آفات اللسان، على سبيل المثال: عندما أريد أن أكلم إنساناً كلمة أفكر فيها كثيراً قبل أن أقولها، حتى أختار الكلمة المناسبة له، فالأمر يحتاج إلى الروية.

والجهاد الأعظم في إمساك اللسان في ساعة الغضب، لأن الإنسان إذا تكلم وهو

٤٣ رواه البخارى عن أنس والرواية الثانية لمسلم عن أنس.

غضبان، أفلت الزمام من يده، ويطلق الألفاظ، ثم بعد ذلك يفكر، ويقول: أنا أخطأت في هذه وهذه؟! لماذا؟!! احكم الرمية أولاً.

الجندي الماهر هل يضرب أولاً أم يصوب ثم يضرب؟! يصوب أولاً، وكذلك الكلمة، لا بد أن أفكر فيها قبل أن أقولها، لمن أقولها، ولماذا؟ ولا بد أن يكون في وقت روية وحلم، حتى لا يخرج من اللسان شيء يعاتبني عليه القلب والجنان، فالإنسان أحياناً ينطق بكلمة ثم يظل يلوم نفسه ليالي متتالية على هذه الكلمة، لماذا قلتها؟!.

المؤمن السالك في طريق الله ﷻ لا يصل إلى ذلك، لكن يتدبر ويتفكر ويتروى قبل أن ينطق بأي كلمة، حتى يسير على منهج الله الذي يقول فيه الله في الصادقين من عباد الله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ إذا وصلوا إلى هذا الهَدْي فيكون: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (٢٤الحج).

لماذا؟ لأن ما بينك وبين الله شيء هين أمره، فالله غفور ورحيم وحليم وتواب وكريم، ويقول دوماً:

**{ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً }** [٤٤]

فعندما تسارع في التوبة يقول:

**{ غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي }** [٤٥]

وعندما يأتي يوم القيامة ينادي مناد من بطنان العرش ويقول:

**{ يا أمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي }** [٤٦]

---

٤٤ صحيح مسلم والترمذي عن أنس ﷺ

٤٥ كتاب الدعاء لأبي طاهر السلفي عن أبي ذر ﷺ

٤٦ " وإسناده ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ " نادى مناد يا أهل الجمع تداركوا المظالم بينكم وثوابكم علي"، وله من حديث أم هانئ " ينادٍ مناد: يا أهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلي الثواب" اسم الكتاب: تخريج أحاديث الإحياء العراقي

إذاً العثرة التي ستوقفنا هناك هي ما بيننا، فالحكيم الذي يخرج من الدنيا للقاء العزيز العليم وليس عليه مطالبات من الناس أجمعين، إلا الحاقدين والحاسدين وهؤلاء كفيل بردهم ورد غيظهم في نحورهم رب العالمين ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨الحج).

لذلك هناك آفات للسان محرمة على الإنسان تحريماً باتاً، لا يتسامح مع نفسه ولو مرة واحدة في محرم من هذه المحرمات، لأنه قد يكون العائق له من دخول الجنة يوم الميقات، فصاحبه يريد حقه، والله ﷻ وعدنا ووعد الكل أنه لا يظلم أحداً: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦فصلت).

## أولاً:

## الغِيبَة

أول هذه الآفات الغِيبَة، والبعض ينطقها الغَيْبَة، لكنها في اللغة الغِيبَة، والغيبة عندما سُئل رسول الله ﷺ عنها قال:

{ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ } [٤٧]

إذا تكلمت سواء في وجوده أو في غيابه بكلام لا يحب سماعه عن نفسه، وبيَّن الرسول ﷺ أثر هذا الكلام في مواقف عدة، فالسيدة عائشة ﵂ تحكي إحدى هذه المواقف فتقول: كان النبي ﷺ يتحدث عن السيدة صفية زوجته، فقلت: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ ﷺ:

{ لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ } [٤٨]

فما بالكم بالكلام الذي نسمعه في هذه الأيام؟! إنسان يتكلم وأنا أسمعه لكن لم أنهه أو أغادر المجلس، فهذا يجعلني شريك متضامن معه في الإثم، قال ﷺ:

---

٤٧ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﵁

٤٨ سنن أبي داود والترمذي

{ الْمُغْتَابُ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الإِثْمِ } [٤٩]

وعندما وصف الله اليهود بالصفات التي لا يحبها فيهم قال: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ (٤٢المائدة) إذاً ماذا أفعل؟ ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام) إما أن تنهاه، أو تذب عن أخيك الغيبة، قال ﷺ:

{ مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغِيبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ } [٥٠]

يقيه من النار لأنه وقى عرض أخيه المؤمن، وبالله عليكم تصوروا لو وُجد مجتمع طبق هذه القاعدة فقط، مجتمع ليس فيه غيبة، كيف يكون حاله؟.

## ثانياً:

## اللمـــــز

والغيبة قد تكون باللسان، وقد تكون بالحركات، كما نرى بعض الناس يشير إلى إنسان ويصدر منه حركة بعينه أو بلسانه أو بيده، فهذه غيبة حركية لا يرضاها الإسلام، وحذر منها نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

حتى العيوب التي في أخي طبيعية أمرني الله ﷻ ونبيه ﷺ أن لا أذكرها لأنها تكون معايرة له بما لا دخل له فيه، معايرة للصانع ﷻ.

رجل أعمى، أو رجل أعور، أو رجل أعرج، أو به أي عيب من العيوب، ما ذنبه؟! فالذي يعيب يعيب على الصانع ﷻ، وحاشا لله سبحانه وتعالى.

والذي يعيب على اللون، مَن الذي يلوّن نفسه؟! والذي يعيب على التقاطيع، فمن الذي يرسم نفسه؟! ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٦آل عمران) وقال الله ﷻ في هذه جميعها وأشباهها: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا

٤٩ ذُكر في الإحياء ولم يُخرجه العراقي

٥٠ مسند أحمد والطبراني عن أسماء بنت يزيد ﷺ

أَنفُسَكُمْ﴾ (١١الحجرات) وتلمزوا أي تعيبوا، لكن هل هناك أحد يعيب نفسه؟! نعم فأخوك هو نفسك، فإذا عبت أخاك فكأنك عبت نفسك.

جعل الله ﷻ في القرآن أخوك هو أنت، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ (٦١النور) وهل أنا عندما أدخل بيتاً أقول السلام على نفسي؟ لا، لكن إذا دخلت بيت أخيك فسلمت عليه فكأنك سلمت على نفسك، وكذلك إذا عبته فكأنما عبت نفسك.

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ (١١الحجرات) فلا يجوز أن نعيب بعض بهذه الألقاب؛ فلان الأعمش، أو فلان الأعور، أو فلان كذا، فهذه أشياء لا تنبغي، وأظن أن الإسلام سبق البشرية كلها في هذا الحق لأصحاب الإعاقة في المجتمع كله قبل أن تظهر حقوق المعاقين، وجمعيات المعاقين في هذا الزمن المعاصر، لأن هذا من لحظة نزول القرآن، وكان النبي ﷺ وصحبه الكرام مضرب المثل في ذلك.

## مواهب ذوي الاحتياجات الخاصة

كان النبي ﷺ عندما يخرج إلى الغزوات ينيب مكانه في ولاية وحكم المدينة رجل أعمى وهو عبد الله بن أم مكتوم، ينوب عن حضرة الرسول في الصلاة بالمسلمين وفي حكم المدينة، ولذلك أصر عبد الله بعد انتقال حضرة النبي في الفتوحات الإسلامية أن يذهب مع المسلمين في فتح العراق، وطلب منهم أن يمسك باللواء، مع أن الذي يمسك باللواء قائد الجيش، وأن يوقفوه على صخرة، فقالوا: لِمَ؟ قال: أنا أعمى وإذا أوقفتموني على الصخرة فلن أتحرك من مكاني فيصمد الجيش في مواجهة الأعداء.

وعندما أراد الوليد بن عبد الملك أن يفتح بلاد الأندلس رأى في منامه أن قائد الفتح رجل أعرج، فانتدب الناس للجهاد فجاءه موسى بن نصير وكان أعرج، وقال: أنا الذي رأيتني في المنام وأنا الذي سيكون الفتح على يدي.

صفحات ناضرة مليئة في الإسلام بهذه النماذج الطيبة، اهتموا بها فأظهرت المواهب الكامنة، لأن الله ﷻ جعل في كل إنسان مواهب خاصة به أعدها له حضرة

الرحمن ﷻ.

فالغيبة بالكلام، والغيبة بذكر العيوب التي لا يخلوا منها إنسان، فمن الذي لا يخلوا من العيوب؟!! من الكامل؟ فقط رسول الله ﷺ، وكل من سواه لا يخلوا من العيوب، وكل ما في الأمر أننا نطلب من الستار أن يستر هذه العيوب.

وكما يقول بعض القوم: ((لو تخلت عنا عناية الستار لرجمنا الخلق بالأحجار)) عناية الله ﷻ وستر الله ورعايته.

## مواضع يباح فيها الغيبة

فالغيبة لا تنبغي لأي مؤمن إلا في بعض مواضع أباح العلماء فيها الغيبة، منها إذا تظاهر إنسان بالفسق وأعلن به، وأخذ يجاهر به ويباهي به، وكلما يجلس في مكان يقول: أنا أفعل كذا وكذا، هذا قال فيه ﷺ:

{ **لَيْسَ لفاسِقٍ غيبَةٌ** }[51]

لأنه بدأ بنفسه، ولم يستر نفسه، أو إذا كنت أقدم واقعة حدثت بيني وبين إنسان للحاكم، أو للقائد ليأتي لي بحقي، فأذكر تفاصيل الواقعة على سبيل التظلم، وكذا الاستعانة على تغيير المنكر، وأيضاً ذكر الأمر للمفتي للإستفتاء ومعرفة الحكم الشرعي، وأيضاً إذا ذكر المسلم أمراً لإخوانه المسلمين ليُحذرهم من الشر الذي فيه، قال ﷺ:

{ **حَتَّى مَتَى ترعونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاسِقِ؟ هَتِّكُوهُ حَتَّى يَحْذَرَهُ النَّاسُ** }[52]

وفي رواية أخرى:

{ **أَتَرْعَوُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ؟ اذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ كَيْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ وَيَحْذَرَهُ النَّاسُ** }[53]

---

٥١ عن معاويةَ بن حيدة رواه الطبراني في الكبير، مجمع الزوائد

٥٢ معجم الطبراني

٥٣ سنن البيهقي والطبراني

وإذا اشتهر امرؤ بين الناس بلقب كالأعمى والأعرج؛ فذكره بهذا الإسم ليس بغيبة، لكن غير ذلك لا يحل لمسلم أن يستبيح عرض مسلم:

{ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ } [٥٤]

## كفارة الغيبة

نفرض أني اغتبت إنساناً في طور كنت لا أستطيع فيه جهاد نفسي، كيف أكفر عن ذلك؟ بأن أندم على ما قلت، وأتوب إلى الله ﷻ، وأتأسف على ما فعلته، ثم أستحل من المغتاب وأستغفر له، فإذا استطعت أن أجعله يسامحني ويعفو عني فقد أحسنت، وإذا كان الأمر أمراً لا أستطيع أن أخبره به – وإلا زادت الجفوة – فعليَّ أن أتصدق وأستغفر له، وأدعوا الله ﷻ له حتى أتأكد من أنني كافأته مقابل الذنب الذي وقعت فيه نحوه، حتى أدخل في هذا الحديث النبوي، قال ﷺ:

{ رَجُلانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ، خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلطَّالِبِ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، فَلْيَحْمِلْ مِنْ أَوْزَارِي، قَالَ: وَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ، يَحْتَاجُ النَّاسُ أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ بَصَرَكَ، فَانْظُرْ فِي الْجِنَانِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَرَى مَدَائِنَ مِنْ ذَهَبٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ، لأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا، أَوْ لأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا، أَوْ لأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ، قَالَ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: فَخُذْ بِيَدِ أَخِيكَ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: اتَّقُوا اللهَ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ } [٥٥]

---

٥٤ سنن ابن ماجة وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ

٥٥ الحاكم في المستدرك عن أنس ﷺ

بذلت ما في وسعي، وبذلت ما في طاقتي حتى أصحح خطأي، لأن آفة الغيبة أنها تدمر حسنات الإنسان وتنقلها إلى غيره، فلو اغتبت إنساناً فإنه يوم القيامة يؤخذ من حسناتك ويضاف إلى حسناته حتى يرضى، ولذلك ذهب رجل إلى الحسن البصري ﷺ وقال: فلان زعم أنك اغتبتني، قال: وهل أنا غافل حتى أعطيك حسناتي؟! لن يحدث ذلك أبداً.

ومَثل المغتاب ويجتهد في العبادات كمثل رجل يكسب في اليوم آلاف الجنيهات، ويدمرها في لحظات، ويبيت مديناً، لأن حسناتك تذهب إلى من اغتبتهم أو تكلمت في حقهم كما أنبأ القرآن، وكما بين النبي العدنان ﷺ.

إذاً المؤمن يحرم على نفسه تحريماً باتاً الغيبة لأي مسلم، أما الأمور العامة التي نسمعها، إذا لم تشهد عيني فلا يُخطيء لساني، وهذه غيبة منتشرة بين الناس، يقول أحدهم فلان حرامي، أو فلان ظالم، فهل رأيته؟! فالسماع ليس بحجة، وما دمت لم تره فلا تقع في عرضه، ويجب أن أنزه لساني عن مثل هذه الأقوال.

إذاً المسلم والمؤمن إما أن ينطق بذكر الله، أو ينطق بنصيحة لعباد الله، أو يسكت: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١١٤النساء).

ولي رجاء عند الأحبة أتمنى أن يأتي يوم وأجد الكل لا يسمع من الكل إلا الألفاظ التي يحبها، والكلمات التي يعجب بها، فمعظم الإحن في الصدور، وما يحدث من غل وغيره في القلوب سببه كلمة، فيجب أن تزن الكلام حتى تكون على خير اقتداء بالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

## ثالثاً:

## النميمة

أما النميمة :

فهذه من أخلاق الشياطين، لان النميمة هي الكلام الذي يُنقل من إنسان إلى إنسان على سبيل الوقيعة، نحن ننقل الخير، والكلام الذي يسر، والكلام الذي يُفرح، اما الكلام الذي يُغير تقاطيع الوجه، والكلام الذي يسيء، والكلام الذي يبدل المحبة بين الأحبة فهذا عمل الشياطين، ولذلك قال ﷺ:

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ } [٥٦]

والقتات هو النمام!!

وهذا لا شأن له بالجنة، لأنه كيف ينقل كلام من مؤمن لمؤمن حتى يوقع بينهم؟! وحتى يصنع فتنة بينهم، وحتى يُحدث قطيعة بينهم!!.

نحن نؤلف بين الأحبة ..ونزيد المحبة بين أهل المحبة، ونزيل الجفا ...

حتى يكون أهل المحبة كلهم في صفا ونقا ووفا، لكن لا نعكر القلوب بهذه الكلمات التي نهى عنها علام الغيوب ﷻ.

فلا يوجد سالك في طريق الله ﷻ مبتدئ وفيه خُلق النميمة، لأن هذه من الأخلاق الذميمة، والتي من مشى عليها فهو من ورثة الشيطان والعياذ بالله ﷻ، يقول فيهم ﷺ:

{ شِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ } [٥٧]

## آفة ثقل الكلام

آفة الآفات في هذا العصر نقل الكلام، لا بأس إذا نقلنا الكلام الحسن، والكلام الحلو، والكلام الذي لا يضر، لكن الكلام الذي يقطع بين الأحبة المؤمن منه بريء وبعيد منه بعد المشرق والمغرب، فلا بد للإنسان أن يعاهد نفسه أن لا ينقل إلا ما يحب

٥٦ البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان ﷺ

٥٧ معجم الطبراني ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

أن يُسمعه غيره.

## فضيلة كتمان الأسرار

ودائماً صدر المؤمن واسع، وأنا أرى أن السالكين الصادقين أطباء بارعين نفسيين لأهل المجتمع أجمعين، فالناس مهمومة وموجوعة من كثرة المشاكل، وتريد من ينصت لها ويسمعها، وتبث له شكواه، وتعرض عليه مشاكلها، وتستشيره وتستنيره ولا يسمع بذلك أحد، ولن يجدوا ذلك إلا عند الصالحين والصادقين من أتباع الصالحين.

الصالحين والصادقين من أتباعهم شعارهم ((صدور الأحرار قبور الأسرار)) وهذا كمهنة الطب، لكنه طب راقي، طب نفسي، وطب قلبي، وطب روحاني، فأنا أسمع أخي هذا وأهدأه، وأسمع أخي هذا واطمأنه، وأسمع أخي هذا وأعطيه روشتة من كتاب الله، واسمع أخي هذا وأعطيه روشتة من كلام سيدنا رسول الله، وأستل الضغينة التي عنده من أخيه أو من غيره، لكن من يعرف بأمره؟ أنا وهو والله ﷻ، وكانوا يقولون: السر بين اثنين فإذا ذهب إلى ثالث شاع.

لا أخبر زوجتي ولا غيرها، فإني إذا أخبرتها وقلت لها أن لا تخبر أحد، وهي قد تكون غير مسيطرة على نفسها كما ينبغي، لأن السالكات من النساء أقل من القليل، قال ﷺ:

{ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا أَرْبَعٌ } [٥٨]

فقد تهمس في أذن أمها أو أختها أو ابنتها أو جارتها، وتقول لها لا تخبري أحد، والأخرى نفس الأمر، فيذيع السر.

لكن الرجال غير ذلك، فالسر الذي أسمعه يندفن، ولذلك يأتيني أحدهم ويقول لي لقد قلت لك موضوع كذا، فأقول له: لا أذكر، ذكرني به، لأني أدفنه بعد سماعه مباشرة، لأن هذه أسرار الرجال، والذي لا يؤتمن على أسرار الرجال في الدنيا كيف

٥٨ ابن عساكر عن أنس ﷺ

يؤتمن على أسرار الواحد المتعال ﷻ؟! كيف يأتمنه الله على أسراره؟ وكيف يجعله الحبيب صلوات ربي وتسليماته عليه مستودع أنواره؟!.

إذاً لا بد أن نعاهد أنفسنا أن لا ننقل الكلام خاص أو عام، إلا ما يسر الأنام حتى نفرح وتبيض وجوهنا يوم الزحام؛ يوم العرض على الملك العلام ﷻ.

## رابعاً: الكذب

إذاً هذه الآفات ينبغي أن يكون مبرءاً منها كل المسلمين وليس السالكين فقط، لقوله ﷺ عندما سأله أحد أصحابه:

**{ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَلْ يَزْنِي الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: قَدْ يَكُونُ ذَاكَ، قَالَ: هَلْ يَسْرِقُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: قَدْ يَكُونُ ذَاكَ، قَالَ: هَلْ يَكْذِبُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: لا : (( إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ )) }.** [٥٩]

والله ﷻ عندما نادانا قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) وأرفع المقامات وأعلى الدرجات بعد مقام النبوة مقام الصديقية.

ما الروشتة التي ينال بها المرء إن كان رجل أو امرأة هذا المقام؟ فهناك امرأة قال الله في شأنها ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ (٧٥المائدة) قال الخبير ﷺ في هذا الوصف:

**{ إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا }** [٦٠]

المؤمن دائماً وأبداً صادق القول، حتى في المزاح يقتدي بقول رسول الله ﷺ:

**{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }** [٦١]

---

٥٩ تاريخ دمشق لابن عساكر وتهذيب الآثار للطبري

٦٠ البخاري ومسلم وأبي داود عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٦١ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

لا يبيح لنفسه حتى في المزاح أن يصل إلى الكذب، وكان العرب – سبحان الله– أكبر وصمة عار يتبرأون منها جميعاً هي الكذب، فإذا كذب الرجل بينهم مرة هزل شأنه، وضاعت هيبته بين العرب جميعاً، فكانوا محافظين على الصدق حتى قبل بعثة الحبيب ﷺ.

حتى أن أبا سفيان عندما استدعاه هرقل عظيم الروم وسأله عن النبي ﷺ، قال بعد هذه المداخلة: لولا أن يؤثر العرب عني كذبة لكذبت في هذا اليوم!! يخاف من الفضيحة أن فلان هذا كذاب، فضيحة عظمى ليس لها علاج.

وطريق الله ﷻ يحتاج إلى الصدق في الأقوال، والصدق في الأفعال، والصدق في الأحوال، والصدق مع الرجال، والصدق مع كتاب الله، والصدق مع حبيب الله ومصطفاه في كل شأن من شئون الإنسان في هذه الحياة، ليكون مع الصادقين الذين قال فيهم الله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ (٦٩النساء) ولذلك لا يكذب المؤمن البتة.

## الكذب المباح

وما أبيح من ألوان الكذب التي ذكرها السادة العلماء الأجلاء، وهي الكذب في الحرب لأن الحرب خدعة، أو الكذب في الصلح بين متخاصمين، وهذا الكذب معناه أن يثني عليه بلسان الآخر وإن كان الآخر يذمه، والكذب على زوجته ليرضيها، وقد قلنا سابقاً أن الكذب على الزوجة ليس معناه الكذب في دخله من المال مثلاً، لكن الكذب هنا أن يحاول دائماً أن يستأثر بها فيمدحها، فيقول مثلاً: لا يوجد مثلك، أنت أجمل من رأيت، وأنت كذا وكذا .. كلمات الحب والوداد التي تقرب قلوب النساء، لأنه لو لم يقل لها هذا الكلام فربما تود أن تسمعه من غيره.

حتى هذه الكذبات قال عنها السادة العلماء الأجلاء أنها لا تكون إلا في الضرورة القصوى التي ليس له باب غيرها، والضرورات تبيح المحظورات، كبعض مدَّعين العلم يقولون كلام وينسبونه لرسول الله على أنه حديث، وإذا قيل له: ليس هذا بحديث،

فيقول: أعلم ولكني أريد أن أحبب الناس في ذلك!! هل تريد أن تكذب على رسول الله لتحبب الناس في الحديث؟!! ألم تسمع حديث رسول الله ﷺ:

**{ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ }** [٦٢]

وبعضهم يكذب على الصالحين ليحقق مصلحة، وهذه آفة منتشرة بين الذين في قلوبهم مرض من مدَّعي السلوك في طريق الله ﷻ، يريد مصلحة من أخيه فيقول له: قال لي الشيخ اذهب إلى فلان وقل له كذا وكذا، والشيخ لم يقل له شيء!! لكنه يريد مصلحة له.

ولذلك أنا نوهت كثيراً في هذا الأمر، من يقل لك الشيخ يقول كذا، لا بد أن ترجع إلى الشيخ أولاً، لأن هذه الأمور في المعاملات، كالبعض يريد أن يستدين مبلغاً، فأقول له: ابحث عمن يعطيك هذا المبلغ، ولا شأن لي بذلك، فيذهب إلى أحد الأحباب ويقول له: الشيخ أمرني أن أذهب إليك لتعطيني مبلغ كذا، فيصدقه ويعطيه، وبعد مدة من الزمن يأتيني يقول لي: فلان الذي أرسلته لي أعطيته المبلغ ولم يرد، فأقول له لم يحدث، لماذا لم ترجع لي أولاً؟!.

قد كان منتشر بين المسلمين في كل بلاد الله في السابق القرض الحسن، وهو الذي قضي المصالح، ما الذي جعله ينتهي؟ هذه الأساليب من الكذب، فقد قتلت الثقة، وأساس الثقة بين المسلمين في أي أمر إن كان بيع أو شراء أو قرض أو أي تعامل الصدق، لكن الرجل الكاذب كما قيل: يُقرب إليك البعيد، ويُبعد عنك البعيد! لأنه خادع، وقال ﷺ:

**{ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }** [٦٣]

ولا يوجد منافق سالك في طريق الله ﷻ.

## المعاريض

٦٢ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٦٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

كيف كان يخرج الصالحين من هذه المطبات؟ كما فعل سيدنا رسول الله ﷺ، وكما فعل سيدنا إبراهيم بشيء إسمه المعاريض، يقول فيها ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ } [٦٤]

والمعاريض كلمة يقولها المرء تحتمل معنيين، فأنا أقصد معنى وهو يفهم معنى آخر، وبذلك أكون غير كذاب، وحتى في المعاريض قال العلماء: لا يلجأ الإنسان إليها إلا إذا لم يجد بد منها.

سيدنا إبراهيم دخل مصر وزوجته السيدة سارة كانت أجمل نساء الأرض بعد حواء، وملك مصر كان رجلاً ظالماً، وإذا سمع عن امرأة جميلة يأخذها، فبلَّغه أعوانه عن السيدة سارة، فأرسل ليأخذها، وكان من عادته أنه إذا كانت المرأة معها زوجها يأخذها، وإذا كانت معها أخوها لا يأخذها، فقال لها إبراهيم أخبريه أنك أختي، هي زوجته ولكنها أيضاً أخته في الدين، فهل هذا كذب؟ لا، ولجأ لذلك للضرورة القصوى.

وأيضاً طلب منه قومه أن يخرج معهم عند أصنامهم في عيدهم فقال لهم: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ (١٨٩الصافات) سقيم من أفعالهم التي يفعلونها عند الأصنام، فهل هو صادق أم لا؟ صادق، ولكن الكلام فيه تورية، واضطر لذلك لأن الدعوة كانت في بدايتها وإذا خرج لن يستطيع أن يبلغ رسالة الله ﷻ.

وأيضاً كسَّر أصنامهم، فقالوا لم يفعل ذلك إلا إبراهيم لأنه يذكرهم: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ (٦٠الأنبياء) فسألوه: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾ (الأنبياء) وأشار بأصبعه الكبير على الصنم الأكبر، هو يقصد أن من فعل ذلك أصبعه أو يده، وهم فهموا أنه يقصد الصنم، لذلك هو لم يكذب، لكن ورَّى بالكلام للضرورة، والضرورات تبيح المحظورات.

إذاً حتى المعاريض لا نأخذها في أي أمر، ولكن نعمل بقول الإمام علي ﷺ: ((إن كان الكذب ينجي فالصدق أنجى)).

---

٦٤ سنن البيهقي والشهاب عن عمران بن الحصين ﷺ

## خامسا: اليمين الكاذبة

والكذب الأشد والأشنع إذا كان في يمين، لأنه يكون يمين زور، واليمين الزور كبيرة من الكبائر تُخَلِّد صاحبها في النار إلا إذا تاب عليه العزيز الغفار ﷻ.

فلا ينبغي لمؤمن مهما كانت الظروف أن يحلف بالله ﷻ، أو يشهد شهادة كاذباً، فأشد الجرائم في المجتمع سببها شهادة الزور، قال رسول الله ﷺ:

**{ أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاثًا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ }** [٦٥]

أكبر الكبائر قول الزور لأنه يغرر الناس، ويضيع ثقة الناس في بعضهم، لذلك المؤمن لا يقول إلا صدقاً، ولا يشهد إلا حقاً، ولا يشهد إلا ما رأت عيناه، وسمعت أذناه، حتى تكون شهادة حق، ولا يكتم الشهادة لقول الله: ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ (٢٨٣البقرة).

**وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**

---

٦٥ البخاري ومسلم عن نقيع بن مسروح ﷺ

# الوصل السابع

# مفاتيح كنوز فضل الله

- المفتاح الأول:

**تركه ما لا يعنيـــــــه**

- المفتاح الثاني:

**تطـــــــــهير القلب**

- المفتاح الثالث:

**الصمـــــــت**

- المفتاح الرابع:

**الإكثـــــار من ذكر الله ﷻ**

- ذكر اللسان
- ذكر القلب
- ذكر الجوارح (ذكر العين)
- ذكر الأذن
- ذكر اللسان
- منزلة الذاكر لله
- ضرورة الورد للمريد
- آداب ذكر الله للمنفرد
- آداب الذكر في جماعة
- الذكر والتصفية
- من كنوز أحاديث الذكر

# الوصل السابع:

# مفاتيح كنوز فضل الله[1]

نختم هذه الدروس من آداب المحبين لرب العالمين بوصية جامعة، وهي روشتة تحتاج إلى العمل لمن يريد تحقيق الأمل، فقديماً قالوا:

**العلم يهتف بالعمل فاعمل تنل كل الأمل**

والشيء الذي نعاني منه في هذه الأيام كثرة المتحدثين، وهمجية المستمعين، وقلة العاملين، وهذا كلام الله ﷻ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡ ﴾ (٢٤ص) ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (١٣سبأ).

ولذلك كان بعض الصالحين يحذر كثيراً مريديه وأحبابه من قولة (مثلي مثل الناس) ومعنى ذلك أنه مثل الأكثرية، ولو نظرنا إلى الأكثرية في كتاب الله نجدها ضالة: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (١١٦الأنعام).

لكن أهل الله، وأهل فضل الله وكرم الله وعطاء الله: ﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ (الواقعة) نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

## مفاتيح كنوز فضل الله

فهذه الروشتة جامعة:

فمن أراد أن تُفتح له كنوز فضل الله، وأن ينال من الله ﷻ قربه وعطاياه، وأن يكون قريباً قرباً قلبياً في مشاهد روحانية مع حبيب الله ومصطفاه؛ عليه أن يعمل بهذه الوصية الجامعة المجموعة في أربع نقاط أو قل أربع مفاتيح في أربع أحاديث لسيدنا رسول الله ﷺ.

---

١ المعادي – ٢٢من جماد الآخر ١٤٣٧هـ ٢٠١٦/٣/٣١م

# المفتاح الأول

# تركه ما لا يعنيه

لا يتدخل في شئون غيره،!

ولا يُدخل نفسه في أمر ليس له فيه شأن ...

لأنه مشغول بالله، وقيل: (المشغول لا يُشغل) .

والأساس في هذا البند العمل بالقول النبوي:

**{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ }** [٢]

# المفتاح الثاني

# تطهير القلب

فعليه أن يُطهر قلبه – وهو موضع العطايا الإلهية، وسر الإجتباء، وسر الإصطفاء، وسر تنزل عالم النور والضياء والبهاء – من كل ما يشغله عن الله ﷻ:

حتى يكون قلبه خالصاً بالكلية لرب البرية سبحانه وتعالى.

وصاحب هذا القلب يقول فيه الله: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١٨٩الشعراء) سليم من الحقد والحسد والبغض والكره والشح والأثرة والأنانية ...!

وكل الصفات الإبليسية والشهوانية والحيوانية التي حذَّرت منها ونبهت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، حتى يصل في هذا إلى مقام:

**{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }** [٣]

---

٢ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

٣ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

# المفتاح الثالث

## الصمت

إذا تناول هذا الدواء!

ثم زاد وتعاطى هذا الدواء فإنه – إن كان صادقاً – سيصل إلى مقام يجد فيه نفسه صامتاً لا يتكلم إلا للضرورات!

ولذلك كان بعض الصالحين يقول:

إذا رأيت بعض المريدين يكثر من الكلام فلا تعبأ به لأنه لا يُرجى منه نفع!

فالطريق إلى الله ﷻ يحتاج – على الأقل – إلى العمل بقوله ﷺ:

**{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ }** [٤]

وعندما سُئل ﷺ عن علامة النجاة لمن أراد أن ينجو من ظلمات هذه الدنيا ومضائق هذه الحياة، فقال ﷺ:

**{ مَنْ صَمَتَ، نَجَا }** [٥]

نجا من المطالبات، أو المحاسبات!!

أو الغفلات، فإذا وقع في غيبة أو نميمة أو سب أو شتم أو لعن أو غيره كان عليه مطالبات، وإذا تحدث حديثاً ولو لغواً كان من أهل الغفلات، ولكن طالب الله ﷻ وطالب رضاه يبخل أن يخرج من فيه كلمة واحدة لا تكون موجهة لحضرة الله ﷻ، أو ينال بها على الأقل رضاءه سبحانه وتعالى.

فالصمت دأب العارفين، وسلوك المتقين، وحال السالكين المستقيمين الذين يرجون فضل رب العالمين ﷻ.

---

٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٥ سنن الدارمي ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

## المفتاح الرابع:

## الإكثار من ذكر الله ﷻ

وذكر الله ﷻ؛ الكلام فيه والحديث عنه لا نستطيع أن نوفيه وقته في هذا القدر القليل، ولكن حسبنا أن نقف مع بعض الآيات القرآنية التي وصفت ذكر الله ﷻ، الذي طالب به الصادقين من عباده الصالحين.

قال الله تعالى:

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ (١٥٢البقرة) هذه الآية توضح أن الذكر ذكران، ذكر بالقلب، وذكر بالقلب مع الجوارح، ولا شأن لنا بذكر اللسان لأنهم قالوا: (ذكر اللسان حسنات) وأهل القربات يريدون الذكر الذي ينالون به القربات والنفحات والعطاءات من الله ﷻ.

فقد كان الأكابر من القوم كسيدي أحمد البدوي ﷺ، وهو الذي يقول فيه تلميذه النجيب سيدي عبد العال: خدمت سيدي أحمد البدوي أربعين عاماً فما وجدته غفل عن ذكر الله طرفة عين.

كان يقول هذا الرجل: (ذكر اللسان شقشقة) ذكر اللسان ستأخذ عليه حسنات، ولا بد منه لأهل البدايات، لكن لا أقف عنده إن أردت أن أصل إلى العنايات في النهايات، أبدأ به لكن لا بد أن أُشرك معه القلب والجنان حتى يُثمر ويُعطي الإنسان ما يتمناه من حضرة الرحمن ﷻ.

إذاً هناك:

ذكر للسان...

وهناك ذكر للقلب ....

وهناك ذكر للقلب مع الجوارح.

# ذكر اللسان

ذكر اللسان هو المحدد في سُنَّة النبي العدنان، وفي كلام الله ﷻ ووصاياه في القرآن: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (١٣٠طه) هناك وقت محدد، ويقول فيه الله في الحديث القدسي:

**{ ابْنَ آدَمَ، اذْكُرْنِي بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مَا بَيْنَهُمَا }** [٦]

وهناك ذكر محدد بعد الصلاة، يقول فيه ﷺ:

**{ مَنْ سَبَّحَ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَخَتَمَ الْمِائَةَ بِلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ }** [٧]

فهذا ذكر اللسان، وهو محدد بوقت، أو محدد بصيغة، كقول النبي ﷺ:

**{ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ }** [٨]

كل ذلك وأشباهه وأمثاله هو ذكر للسان: كالذكر عند الخروج من المنزل، والذكر عند الدخول للمنزل، والذكر عن بدء الطعام، والذكر عقب الإنتهاء من الطعام، والذكر عند هبوب الريح، والذكر عند نزول المطر، والذكر عند ركوب الدابة أو المواصلة في السفر، والذكر عند دخول المسجد، والذكر عند الخروج من المسجد ... وغير ذلك.

هذه الأذكار جمعناها في كتابنا (أذكار الأبرار) جمعنا فيه الأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ، وهذه لا بد منها في البداية حتى يتولى الله ﷻ العبد في النهاية، ويُذكِّره بها على الدوام، فلا ينساها نَفَساً ولا أقل.

---

٦ الزهد لابن حنبل وحلية الأولياء لأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ
٧ موطأ مالك ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

# ذكر القلب

أما ذكر القلب فلا يكون إلا بعد صفاء القلب من كل الشوائب الدنيوية، والعلائق الإنسانية، وإلا سيكون ذكر في الأمور التي ذكرناها، لأن ذكر القلب الحقيقي التفكر والتدبر: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ (٢٠٥الأعراف) كيف تذكره في نفسك؟ تتدبر في آيات الله ﷻ التي في نفسك، لأن الله ﷻ قال: ﴿ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ (٢٠٥الأعراف) إذاً: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (٢١الذاريات) وفي القراءة الأخرى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَهُ ﴾.

إذاً ذكر القلب الأصلي التفكر، ولكن التفكر بعد صفاء القلب، واستنارته بنور الله ﷻ.

إذا كان التفكر في وعد الله ﷻ ونعيمه، فهذا يؤدي إلى مقام الرجاء.

وإذا كان التفكر في وعيد الله ﷻ وعذابه فسيؤدي إلى مقام الخوف: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٤٦الرحمن).

وإذا كان التفكر في الأسماء الإلهية، والصفات الربانية التي تهيمن على الكون عاليه ودانيه؛ فإن الكون كله مسير بسر الأسماء والصفات، فهذا الذكر يهدي الإنسان إلى معرفة الأسماء والصفات، أو إلى المعرفة، وبدايتها معرفة أسماء الله وصفاته جل وعلا.

كلها أفكار دينية من القرآن الكريم، ومن سُنَّة النبي العظيم، وليس فيها أفكار دنيوية، لأن القلب طهر، ولا يفكر إلا في الجنة ودرجاتها، أو في الآخرة وأهوالها، أو في النار وعذابها، أو في صفات الله ﷻ، وإما أن يفكر في حضرة الذات والقرب منها، وكيف يحظى بالتجليات؟ وكيف يشهد المشاهد التي فيها مكاشفات ومعاينات؟ وكيف يحظى بالملاطفات والمؤانسات؟ فهذا هو الفكر الحقيقي الذي هو: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ (١٥٢البقرة).

وذكر الله ﷻ للعبد في هذا المقام؛ أن يحقق له المرام، يريد من الله كذا فيحقق الله له ما يريد، وهذا ذكر الله في هذا المقام.

﴿ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (١٥٢البقرة) الشكر لا يكون إلا بالجوارح التي خلقها الله في الإنسان: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (١٣سبأ) الشكر عمل.

وكى تكون الجوارح شاكرة لله لا بد أن يكون القلب حاضر مع الجوارح في العمل التي تعمله لله جل في علاه، لكن إذا عملت الجوارح بدون حضور القلب، فيكون الإنسان في غفلة عن القريب ﷻ.

## ذكر الجوارح (ذكر العين)

وذكر الجوارح يختلف باختلاف الأعضاء:

فذكر العين بأن ينظر بها إلى آيات الله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١٠١يونس) ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ (٦ق) فيكون ذكر العين النظر في آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية مع التدبر في معانيها العلية.

هذه آيات، وهذه آيات!!!

آيات تحتاج إلى تفكر، وآيات تحتاج إلى تدبر، فإذا قرأ القرآن يتدبر: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٢٤محمد) وإذا نظر في السماوات وفي الأرض وفيما حوله وفي نفسه تفكر؛ فكر بيقين: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١٩١آل عمران) الفكر هنا يحتوي على فكرة يعقبها نظرة يعقبها عبرة: ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (٢الحشر).

ولذلك عندما يتفكر في خلق السماوات والأرض يصل إلى: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١٩١آل عمران).

## ذكر الأذن

وذكر الأُذن في هذا الحال سماع تسبيح الكائنات:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء) فيكشف الله ﷻ القناع عن الأسماع، ويزيل منها الوقر: ﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ (٢٥الأنعام) فتنفتح آذان القلب فيسمع كل الكائنات مسبحة لله ﷻ، ليس بلسان الحال كما يقول بعض الصالحين، وإنما بلسان فصيح يسمعه كُمَّل العارفين.

يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ في كتابه (مصباح الأرواح ومفتاح الفلاح في الذكر وكيفية السلوك):

ثم وصلت إلى حال رأيت كل ما فيَّ يذكر الله ﷻ وأسمعه بصوت فصيح، فالشعر يذكر، والآذان تذكر، والعين تذكر، واليد تذكر، والأرجل تذكر، وكل أعضائي تذكر الله بذكر فصيح.

وحضرة النبي ﷺ ضرب مثلاً لذلك مع أصحابه الكرام واضحاً جلياً، يحكي ذلك سيدنا أبو ذر ﷺ فيقول:

**{ إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصَيَاتٌ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا }** [٩]

لكن مع هؤلاء الذين انفعلوا مع الله ﷻ سمعهم الكل، يقول في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

نغمات تسبيح الكيان مدامي يصغى لها قلبي يزيد هيامي
قلبي لدى التسبيح يصغى واجداً وَجْد المؤلِّه من فصيح كلامي

٩ دلائل النبوة لأبي نعيم ومعجم الطبراني

والكيان هو الجسم، وخمرته التي تسكره سماع تسبيح هذا الكيان، والتسبيح بلسان فصيح، وليس بلسان الحال لكن بلسان القال.

فيسمع كل ما حوله يُسبح الله، وكل ما فيه يُسبح الله، ويردد قول الله: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ (١٠سبأ) وأوّبي أي رددي معه، فسيدنا داوود كان ينشد مزاميره في مناجاة الله، وكانت تردد خلفه الجبال والطير والوحوش في مناجاته لربه جل وعلا: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء).

إذاً ذكر الأذن سماع تسبيح الكائنات، فالأذن إذا صفت، والأذن إذا طهرت، والأذن إذا صغت تسمع تسبيح الكائنات.

ما حالنا نحن؟ هناك آذان لاغية، وهناك آذان صاغية، وهناك آذان واعية، فالآذان اللاغية تسمع كلام الدنيا الفاني من أهل الدنيا الدنية، وتعيش في اللهو.

وأما الآذان الصاغية فهي التي تصغى إلى أصوات الكائنات وهي تسبح خالق الأرض والسماوات.

وأما الآذان الواعية فهي التي فنت عن الكل، وأصبحت تعي كلام من يقول للشيء كن فيكون: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣٧ق) في مقام المشاهدة والمعاينة.

الأذن اللاغية تجالس أهل اللغو وأهل الباطل، وهذه تحتاج إلى خطة تحذير، فمن أراد أن يُحَقَق له الشفاء، ويُشفى من كل داء، فليحذر من مجالسة أهل الدنيا وأهل الحظ والهوى، ولا يُجالس إلا الصالحين والصادقين: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام).

إذا حفظ نفسه من هذه المجالس وأصبح لا يجالس إلا الصالحين والصادقين وأهل الاستقامة وأهل الإخلاص، عَدَته أحوالهم؛ فأحوال الطريق يا أهل الطريق معظمها عدوى على التحقيق، منحة أو منة من رجل صالح أو رجل صِدّيق يعطيها لك عطية من الله ﷻ، وهي التي توصل إلى هذه الأحوال، لكن المهم أن تستقيم على المنهج القويم

الذي يصفه لك الحكيم.

لكن إذا مشيت على هواك، وتريد أن يتحقق لك مناك، فلا يكون، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه متكلماً بلسان الحضرة فيقول:

تريد أن ترى حسني وترقى بلا حرب شديد؛ لا يكون
فمن رام الوصال إلى جنابي أصفيه وفي هذا فتون
تمسك إن أردت القرب مني بسُنة أحمد فهو الأمين

الحرب مع النفس وليس مع الغير، ولذلك لا بد من مجاهدة نفسك، فآفة الأحباب أنه يريد أن يصل إلى ما يبتغيه وما يتمناه بدون جهاد!! هل هناك جيش سيحقق النصر بدون جهاد؟! لا، كذلك أنت فيك جيش، جيش الحق الذي فيك، وهو القلب، والفؤاد، والسر، والخفا، والأخفى، والروح، والعقل، وقوات الباطل التي فيك وهي النفس الأمارة، والنفس الإبليسية ، والنفس الحيوانية، والنفس الشهوانية، وأرض المعركة هي طور سيناء وهي القلب، فالكل يريد أن يسيطر على دائرة القلب.

فيَّ جيش للهدى، وفيَّ جيش للردى، فإذا انتصر الحق فيك على الباطل فكل يومك يوم بدر، وكل ليلك ليل قدر.

فلا بد من المعركة بداخلك، وجهاد النفس، فإذا جاهد الإنسان نفسه وجالس الصالحين يرزقه الله ﷻ الصفاء واليقين، فلن يسمع بأذنه الطينية، ولكن يسمع بأذنه القلبية، فتصبح أذن صاغية تصغى لأصوات الكائنات، وأصوات الأعضاء الموجودة فيه، والكل يسبح لحضرة باريء الأرض والسماوات ﷻ، وهذه من يسمعها فإنه يسمع موسيقى شجية ليس لها نظير ولا مثيل ولا شبيه في عالم الوجود.

فإذا فني عن ذلك ستظهر الأذن الواعية وهي أذن الروح، وقد أذن له الله ﷻ بالفتوح، فيسمع القرآن إما من الحبيب، وإما من المُتكلم به ﷻ: ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾ ألقى السمع لله، يسمعه من حضرته جل في علاه ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣٧ق) في مقام الشهادة، ولكل حقيقة أُذُن، فهناك أُذن القلب، وأُذن الروح، وأُذن السر .. وغيرهم من

الحقائق.

## ذكر اللسان

أما ذكر اللسان فهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة بالطريقة الصحيحة، وتخفيف الأعباء عن الأحبة، ومواساة المنكوبين، وإرشاد الضالين، وتلاوة القرآن، ودراسة العلم، وأن يكون رطباً بذكر الله تعالى .. وهذه بدايته.

فإذا حُلَّت عقدته تكلم مع الأحباء، فيتكلم مع الملائكة: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠فصلت).

فإذا طاب واستطاب تكلم مع الحق ﷻ إما مكافحة وهذا هو المقام الأعلى، وإما من وراء حجاب وهذا هو المقام الأدنى.

ومن وراء حجاب لها معنى عندنا: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ (٥١الشورى) فالبشرية هي الحجاب، فطالما أنك في البشرية وفي الحياة الإنسانية فلا تستطيع أعضاؤك سماع كلمات الحق ﷻ.

لا بد أن يُدك الجبل إذا تجلى ربه عليه: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ وموسى إشارة إلى القلب: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤٣الأعراف).

**{ لَمّا كَلّمَ اللّهُ مُوسٰى يَوْمَ الطُّورِ كَلّمَهُ بِغَيْرِ الْكَلاَمِ الّذي كَلّمَهُ بِهِ يَوْمَ نَادَاهُ، فَقَالَ مُوسى: يَا رَب هٰذَا كَلاَمُكَ الّذي كَلّمْتَني بِه ؟ قَالَ: يَا مُوسى إِنّمَا كَلّمْتُكَ بِقُوّةِ عَشْرَةِ آلاَفِ لِسَانٍ، وَلِي قُوّةُ الأَلْسُنِ كُلِهَا وَأَقْوٰى مِنْ ذٰلِكَ، فَلَمّا رَجَعَ مُوسٰى إِلٰى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا: يَا مُوسٰى صِفْ لَنَا كَلاَمَ الرَّحْمٰنِ، قَالَ: لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ، أَلَمْ تَرَوْا إِلٰى أَصْوَاتِ الصّوَاعِقِ الّتي تَصِلُ فِي أَجْلٰى حَلاَوَةٍ سَمِعْتُمُوهُ فَذٰلِكَ قَرِيبٌ مِنْهُ**

وَلَيْسَ بِهِ }[10]

صار كله سمعاً ...: { كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ }[11] كل الأعضاء تسمع إذا كان الكلام كلام الله ﷻ.

وهذا كلام أهل التحقيق لا يعرفه ولا يشعر به إلا غريق في بحار التحقيق، فإن ذقت ما ذاقوا عرفت ما عرفوا.

وهذا الذي به الإشارة إلى قول الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (٤١الأحزاب)، وكثيراً أي بالجوارح مع القلب، فالجوارح كلها تذكر الله مع القلب، اليد تذكر، والرجل تذكر، والأنف يذكر، والبطن تذكر، والفرج يذكر، والكل يذكر الله ﷻ بذكر صحيح متبعاً في ذلك النهج القويم الذي أتى به النبي الرءوف الرحيم سيدنا مُحَمَّد ﷺ.

وذكر الأنف ظهور الحي النافع في كل نَفَس ...

وذكر البطن أن تتغذى بقليل من الحلال الخالص .....

وذكر اليد دفع الأذى ونصرة المظلوم، والبسط بالعطية للفقراء، والجهاد في سبيل الله .....

وذكر القلب مداومة مراقبة الله تعالى، واستمرار رعاية أحكامه، واستحضار عظمته العالية، وعقده على كمال التوحيد والحب الخالص ....

وذكر الفرج التدبر فيما أودعه الله فيه من عمارة الكون، وحفظه من معصية الله تعالى، وذكر الرجلين الصبر على الشدائد في الجهاد، وسرعة إغاثة الملهوف.

## منزلة الذاكر لله

وهذا الأمر أشار إليه رسول الله ﷺ بحديث بسيط ، ونضعه في الروشتة، ويا ليتنا

---

١٠ بز، عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جامع المسانيد والمراسيل.

١١ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

نعيه، قال ﷺ:

**{ لا تُكْثِرُوا الْكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي }** [١٢]

أنت تريد أن تتكلم، فإذا كنت رجل عاقل ووجدت نفراً من العوام يتحدثون، ولفت نظرك مجيء رجل من الوجهاء، فمن تختار لتتكلم معه، العوام أم الرجل العظيم الوجيه؟ لا شك مع الرجل العظيم الوجيه، فما بالك إذا كان رب العزة يقول لك:

**{ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي }** [١٣]

هذا الحديث يجعل الصالحين والسالكين يفرون من الخلق، فأنا عندما كنت طالباً كنت أسافر، وكان يسافر معي كثير من أحبابي من بلدتي، وأثناء ذهابي لمحطة القطار كنت إذا رأيت نفراً منهم يسبقوني أتأخر، وإذا رأيت نفراً يتأخروني أسرع، لماذا؟ حتى لا أترك الكلام مع الله وأتكلم مع الناس!.

ويقول الله أيضاً:

**{ أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ }** [١٤]

معه بتأييده ولطفه ورحمته وعنايته واستجابته ونصرته .. معه بكل المعاني التي لا تخطر إلا على قلب إلى ربه داني، ومفارق بالكلية للفاني، فكيف لإنسان أن يتحدث مع خلق الله ويترك ذكر الله؟! ولذلك كانت هذه سيما الصالحين.

وحتى أتباع الطريق، كان الواحد منهم أثناء سيره لا يترك التسبيح، وإذا كلَّمه أحد يرد عليه بحساب، حتى لا يتعطل عن ورده، وكانوا يسمونه صاحب طريق، أو من أبناء الطريق، فكانت علامة ابن الطريق الذكر الدائم لله ﷻ.

## ضرورة الورد للمريد

١٢ جامع الترمذي والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
١٣ بحر الفوائد للكلاباذي، وأحاديث أبي الحسين الكلابي عن أبي مروان الأسلمي ﷺ
١٤ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

ولا بد أن يكون له ورد حتى يلتزم به، لأن النفس تحتاج إلى ذلك، لأنك لو تركتها على حريتها فإنها ستتحلل من كل شيء، لكن لا بد من إلزامها بورد، لذلك كان الصالحون يلزمون أنفسهم بأن يُصلي على النبي مثلاً كل يوم ألف مرة، ويستغفر خمسمائة مرة، ويسبح كذا مرة، ويختم القرآن كل عدة أيام مرة ... لماذا؟ لأن النفس تحتاج إلى الجهاد، فإذا تركتها لهواها فإنك ستقرأ في أول يوم جزء مثلاً، وفي اليوم الثاني ستقرأ سورة صغيرة، وبعد عدة أيام ستتوقف عن الورد.

لكن النفس تحتاج إلى الالتزام، مثل الطب، فهل هناك طبيب يكتب دواءاً لمريض ويتركه يأخذه حسب هواه؟! لا !!!

ولكن يعطيه جرعات بمواعيدها حتى يتم الشفاء.

إذاً الذكر المُوَصِّل وليس الذكر المُحَصِّل، فالذكر المحصل يُحصِّل حسنات، لكن الذكر الموصِّل لا بد أن آخذه من رجل واصل وألتزم به، وأُلزم نفسي به، ولا يحاسبني إلا أنا، فإذا احتجت لأحد يحاسبني فلا أصلح لطريق القوم:

**حاسب ضميرك والحظن أسراري واعكف على باب الصفا يا ساري**

إذا حاسبت نفسي فسأعكف على باب الصفا، وخلفه الحبيب المصطفى مباشرة، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه ذكر لنا عبارة غريبة فقال: ((**إن نفساً لا تُقَوَّم إلا بالشدة حيوانية، وإن نفساً لا تُقَوَّم إلا بالمداراة طفيلية**)) لكن أنت الذي تبدأ بنفسك، فالصالحون لا يريدون منك شيء إن كان دنيوي أو غيره، ولكن أنت الذي تحتاجهم، فيجب أن تبحث عن الطبيب وتلتزم حتى تُحقق المراد، وتفوز بالقرب والوداد، وتحظى بنظرات الرشاد من سيد العباد ﷺ.

فلا بد أن يكون للإنسان ذكر، وهذا الذكر يكون له ورد، يمشي عليه، بحيث أنه يشغل وقته كله مع مولاه، إلا الضرورات التي لا غِنى عنها، إن كان سعياً لمعاشه، أو قضاءاً لمصالح نفسه، أو قضاءاً لمصالح أهله، هذه الضرورة لا بد منها، ويحرص كما قال الإمام أبو العزائم:

**إلا الضـرورة فالإباحـة إن دعـت فيها الضرورة فاطلبنها من معين**

**يطلبها من الحلال الصافي حتى يظل منوراً بذكر الله ﷻ.**

## آداب ذكر الله للمنفرد

**إذا أخذ الورد وأراد أن يذكر الله، فلا بد له من آداب الصالحين، فلا بد أن يكون متوضئاً، ويجلس في مكان طاهر، ويكون وجهه للقبلة، ويتطيب، ويكون المكان بعيداً عن تشويش الخلائق، وبعيد عن سماع الأصوات كالتلفزيون وما شابهه، ويبدأ بما تيسر من القرآن ولو حتى الفاتحة، ويستحضر صورة شيخه في قلبه حتى يأتيه المدد من رسول الله مباشرة عن طريق شيخه، ويذكر الله ﷻ، فإذا انتهى من الذكر يختم بالفواتح لنفسه وللصالحين الذين يتبع منهجهم، ويُغمض عيونه لحظات حتى تَرِد عليه الواردات الإلهية.**

## آداب الذكر في جماعة

**لكن إذا كنا في جماعة:**

- **فنقرأ في البداية ما تيسر من القرآن.**
- **ثم الصلوات، أو نقرأ على الأقل الفاتحة والإخلاص ثلاث مرات والمعوذتين ...**
- **ثم نبدأ الذكر، والذكر يكون في مكان بعيد عن الغوغاء، فلا يصلح في الموالد، ونصطف حلقات لأن النبي ﷺ قال فيها:**

**{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ : حِلَقُ الذِّكْرِ }** [15]

- **ونضع أصابعنا في أصابع بعضنا حتى تسري الروح فينا كلنا، وننطق إسم الجلالة بعبارة فصيحة، لا فيها تحريف، ولا فيها التواء، وكذا لو نطقنا أي**

---

**١٥ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس ﷺ**

إسم من اسماء الله ننطقه بنطق فصيح صحيح، وإذا ذكرنا بإسم (الله) فاللسان يقول (الله) والقلب يردد معه صفة من صفات الله، فمثلاً اللسان يقول في الملأ (الله) والقلب يقول حى، أو اللسان يقول (الله) والقلب يقول قيوم، أو اللسان يقول (الله) والقلب يقول حفيظ أو وكيل أو شهيد أو أي إسم من أسماء الله ﷻ.

- إذا انتهى الذكر نختم بـ (لا إله إلا الله) ونجلس لنسمع ما تيسر من آيات كتاب الله، والذي يقرأ لا بد أن يكون حكيما، وكذلك المنشد، فإذا كنا في مكان عام فيأتي بالقصائد التي فيها كلام عام؛ عن الصلاة أو الجنة أو الذكر، حتى لا يُصعِّب على الآخرين، وكذلك القارئ يستحسن له أن يأتي بآيات البشريات، فليس من الحكمة أن يقرأ بعد الذكر بسورة القارعة، فنحن في روضة من رياض الجنة فيجب أن تبشرنا بالجنة، ويقرأ ما تيسر، فلا يطيل في القراءة.
- إذا كان هناك بعض الأحبة يريد أن يلقي مما أفاض عليه الله من العلم فلا مانع، على أن لا يترك الإخوان حتى يملوا لقوله ﷺ:

{ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا } [١٦]

وكان شيخنا الشيخ مُحَمَّد علي سلامة ﷺ يقول دائماً:

(لأن نتركهم راغبين خير من أن يتركونا زاهدين).

- وبعد ذلك إذا كان هناك بعض الأحبة ينشد ما تيسر حتى يُرَوِّح النفوس، ثم نختم بالفواتح وننصرف.

## الذكر والتصفية

ذكر الله هو الدواء الوحيد الذي ذكره الحبيب صلى الله عليه لطهرة القلوب

١٦ البخاري ومسلم عن عائشة ﷺ

وتصفيتها، قال ﷺ:

**{ القَلْبُ يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلاؤُه؟ قَالَ: تِلاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }** [١٧]

وفي رواية أخرى:

**{ إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدَأً كَصَدَأِ الْحَدِيدِ وَجَلاؤُهَا الاسْتِغْفَارُ }** [١٨]

وفي رواية أخرى:

**{ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ، كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا جِلاؤُهَا؟ قَالَ: كَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَتِلاوَةُ الْقُرْآنِ }** [١٩]

كم علاج؟

أربعة:

الذكر، والاستغفار، وتذكر الموت، وتلاوة القرآن، فكل حديث يُعطي معنى.

ما الذي يؤدي إلى صدأ القلب؟

الغفلة عن ذكر الله، أو الوقوع في الذنب، فإذا غفل عن ذكر الله يصدأ القلب، وإذا وقع في الذنب فكما قال ﷺ:

**{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِه، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ }** [٢٠]

- فعلاج الغفلة الذكر.

---

١٧ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٨ معجم الطبراني والبيهقي عن أنس ﷺ

١٩ شعب الإيمان للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

٢٠ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

- وعلاج الذنوب الاستغفار:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣الأنفال)

إذاً لا يوجد شيء يُصفي القلب ويُطهره لله ﷻ إلا ذكر الله ﷻ.

## من كنوز أحاديث الذكر

عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال:

{ إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ } [٢١]

عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَالضَّحَّاكِ، كلاهما من أهل الشام، قَالَ:

{ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْمَسْجِدِ خَيْرٌ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ، قَالَ: فَأَيُّ الْجَنَازَةِ خَيْرٌ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ، قَالَ: فَأَيُّ الْجِهَادِ خَيْرٌ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ، قَالَ: فَأَيُّ الْحُجَّاجِ خَيْرٌ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ، قِيلَ: فَأَيُّ الْمُجَاهِدِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ، قِيلَ: فَأَيُّ الْعُوَّادِ خَيْرٌ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ، قَالَ: أَبُو بَكْرٍ ﵁: ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ، قَالَ: وَمِنْهَا الذِّكْرُ بَعْدَ الْغَدَاةِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَالذِّكْرُ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ } [٢٢]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

{ مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ } [٢٣]

وعن معاذ بن جبل قال:

---

٢١ سنن أبي داود ومسند أحمد
٢٢ شعب الإيمان للبيهقي
٢٣ مسند البزار وابن حجر والطبراني

{ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّه؟ قَالَ: أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّه } [٢٤]

{ وعنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللَّه تَعَالَى }

{ قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّه مِنْ ذِكْرِ اللَّه } [٢٥]

{ وعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّه } [٢٦]

{ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ أَيُّ الْعِبَادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه، وَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّه؟ قَالَ: لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ، وَيَخْتَضِبَ دَمًا، لَكَانَ الذَّاكِرُ للَّه كَثِيرًا أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً } [٢٧]

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده الذاكرين الفاكرين الحاضرين، وأن ينظر إلينا ويجعلنا من الذين إذا ذكروه ذكرهم، وإذا استغفروه غفر لهم، وإذا شكروه زادهم

**وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**

---

٢٤ صحيح ابن حبان والطبراني
٢٥ جامع الترمذي وابن ماجة
٢٦ جامع الترمذي وابن ماجة
٢٧ جامع الترمذي ومسند أحمد

# الوصل الثامن

# آداب المؤمنين في سورة الحجرات

- التثبت عند سماع الأقاويل
- أثر النبوة
- الإيمان وزينته
- الصلح والإصلاح
- أُخُوة المؤمنين
- النهي عن السخرية
- اللمز والتنابز وعاقبتهما
- اجتناب الظن السيئ
- التجسس والتحسس
- تحريم الغيبة
- ميزان التكريم الإلهي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾(الحجرات)

# الوصل الثامن

# آداب المؤمنين في سورة الحجرات[1]

آيات سورة الحجرات .... هي الآيات التي لو تحققت في أي مجتمع من المجتمعات صلح جميع أهله، وأصلح الله ﷻ لهم جميع أعمالهم ...

آيات الحجرات آيات الآداب العالية، والأخلاق الراقية، والمعاملات السامية التي يرجو الله ﷻ أن يكون عليها عباده المؤمنين في كل وقت وحين، منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

هذه الآيات في غاية الأهمية لكل من أراد إصلاح أحواله الدنيوية، وأن يرتقي في المواطن العلية، وفي المنازل الجنانية، وفي الدرجات الوهبية عند الحضرة الإلهية، ولذلك يحرص الصالحون أجمعون على تطبيقها عملاً وحالاً وسلوكاً، لا قولاً فقط.

## التثبيت عند سماع الأقاويل

أول هذه الآيات هو خطاب للمؤمنين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (٦الحجرات)

الخطاب للمؤمنين، غير أن الله ﷻ حذَّر المؤمنين تحذيرٌ شديد، ووصف نفر منهم بوصف لا يتحمله بشر: ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ ﴾ والفسق يكون للكافرين والمشركين الخارجين عن طاعة رب العالمين ﷻ، تشنيعاً لهذا العمل، وحتى يعلم المؤمنون شدة وقعه عند الله فلا يقتربوا منه من بعيد أو من قريب لشناعته .... وشدة وقعه عند الله.

وسبب نزول هذه الآيات أن رجلاً من المسلمين كان أخو سيدنا عثمان بن عفان ﷺ من أمه، وكان يسمى الوليد بن عقبة، أسلم في عام الفتح، وبعد إسلامة هاجر إلى

---

١ المعادي ٢٦ من شعبان ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦/٦/٢م

المدينة، وجاء قوم من قبيلة خزاعة، وكانوا مسلمين بايعوا النبي ﷺ، واتفق زعيمهم على أن يجمع له الزكاة ممن عنده، على أن يبعث له النبي ﷺ عاملاً من عنده ليأخذ نصيب رسول الله ﷺ في هذه الزكاة، فأرسل إليهم ﷺ الوليد بن عقبة.

والوليد كان قد قتل منهم رجلاً في الجاهلية، فخشي منهم، وحدثته نفسه بهذا الإثم، لأنهم ربما يريدون أن يقتصوا لقتيلهم ويأخذوا بثأره، وهم عندما علموا بأن رسولَ رسولِ الله ﷺ قادماً عليهم خرجوا لاستقباله، فظن ووهمت له نفسه أنهم خرجوا للقبض عليه وقتله، فرجع، وذهب إلى رسول الله ﷺ وقال: إن القوم امتنعوا عن دفع الزكاة وهموا بقتلي.

وهناك روايات بعد ذلك فيما حدث بعد هذه الحادثة، منها أن القوم عندما رجع ظنوا أن رسول الله ﷺ غير راض عنهم فأرسل باستدعاءه، فخرجوا إلى المدينة لاسترضاء رسول الله ﷺ، وهذا من سلامة نيتهم، وذهبوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: أنت أرسلت تطلب عودة رسولك، فهل قصرنا في أمرنا؟ هل فعلنا شيئاً لا يرضيك؟ فقال ﷺ: أنتم الذين منعتم الزكاة، وهممتم بقتله، فأقسموا بالله أنهم ما نكثوا عهده، وأنهم جمعوا الزكاة، وأنهم خرجوا لاستقباله، وأنهم يحافظون على طاعة الله ﷻ، فنزلت هذه الآيات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ وفي قراءة أخرى "فتثبتوا " لا بد أن تتثبت من أي كلام يُقال لك.

فقد يُقال لك بحُسن نية، ولكن يصادف في قلبك هماً غير طيبة، فتتحول النية إلى نية سوء، وقد يكون الذي ينقل الكلام يفهمه فهماً خاصاً غير ما يقصده قائلوه، ولذا لا بد للإنسان أن يتروى، وأن يتثبت، وأن يتيقن، وأن يتأكد من أي كلام تسمعه أُذناه، أو يُلقى إليه في أي وقت أو أي حين.

وأظن أن من جملة الآفات في زمننا هذا؛ هذه الآفة الغريبة والعجيبة وهي نقل الكلام.

وهناك رواية أخرى: أنه عندما رجع الوليد جهز النبي ﷺ خالد بن الوليد ومعه رجال وأمره أن يذهب إليهم ويغزوهم لأنهم امتنعوا عن دفع الزكاة وهَمُّوا بقتل رسوله، لكن سيدنا رسول الله ﷺ كان حكيماً، فقال له: إذا ذهبت إليهم فاصبر حتى تراهم عند الصلاة، فإذا استمعت الأذان ووجدتهم يقيموا الصلاة فلا تهجم عليهم، واعلم أنهم مؤمنون، فذهب سيدنا خالد، فاستمع إلى الأذان، ودخل عليهم ووجدهم يؤدون الصلاة، ووجدهم قد جهزوا الزكاة ليعطوها له، لأنه عامل رسول الله ﷺ.

فحذر الله ﷻ من هذا الأمر، ومن هذه الفتنة، وبيَّن عاقبتها: ﴿ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾.

ثم بيَّن الله ﷻ لهم حقيقة مرة كيف غابت عنهم؟! ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ كيف يسمح إنسان لنفسه أن يكذب ويعلم أن بين ظهرانينا رسول الله، ورسول الله يأتيه الغيب من الله ﷻ في وقته وحينه؟! وهذا أمر غريب وعجيب.

ولذلك تذكر كتب التاريخ:

أن الوليد بن عقبة هذا ولاَّه عثمان بن عفان إمارة البصرة عندما كان أميراً للمؤمنين، فذهب ليصلي الصبح بأهل البصرة وكان شارباً للخمر، فصلى بهم الصبح أربعاً، وبعد أن سلم قال: إن شئتم أزيدكم، فشكوه إلى عثمان فعزله.

وكان ممن أصدر النبي أمراً لأصحابه بقتلهم في فتح مكة، لتطاوله على الحضرة المحمدية، إلا أن عثمان تدخل وحماه لصلة القرابة التي بينهما.

والأمر في القرآن لا يخص شخص !!

وإنما هذه الصفة تخص من يقوم بهذا العمل، لا نستطيع أن نقول الوليد لأنه صحابي وإن كان هو سبب نزول الآيات، لكن هذا الوصف الإلهي لمن تكون فيه هذه الصفة، ويقوم بهذا العمل في أي زمان أو مكان، مع عدم وقوعها في أصحاب النبي العدنان ﷺ.

# أثر النبوة

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ونحن جماعة المؤمنين وإن كنا بعد عصر النبوة إلا أن الله ﷻ أبقى فينا أثراً من نبوة حبيبه ومصطفاه ﷺ، فقد جعل في قلب المؤمن إذا اتقى الله، وارتقى بتقواه إلى درجات القرب من الله ملَكٌ يلهمه ويسدده: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف) قال ﷺ:

**{ ضرب اللّهُ مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جَنَبتي الصّراط سوران، فيهما أبوابٌ مفتّحة، وعلى الأبواب ستورٌ مُرخاةٌ، وعند رأس الصراط داعٍ يقول: استَقيموا على الصراطِ ولا تعوّجُوا، وفوق ذلك داعٍ يدعو، كلما همّ عبدٌ أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك ! لا تفتحْه، فإنك إنْ تفتحْهُ تلجْهُ». ثمّ فسّره فأخبر: «أنّ الصراط هو الإسلام، وأنّ الأبواب المفتّحةَ محارمُ اللهِ، وأنّ الستور المرخاة حدودِ اللهِ، وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن، وأن الداعي من فوقه واعظُ اللهِ في قلبِ كلّ مؤمن }** [٢]

فجعل لكل مؤمن واعظاً من الله فى قلبه ... أو ملكاً يُلهم الإنسان لفعل الخير، ويحضه على البر، ويحثه على العمل الصالح إن استمع إليه، فإن لم يُصغِ إليه بآذان قلبه، واستمع إلى وساوس الشيطان تحركت الجوارح نحو الجانب الآخر الذي فيه غضب حضرة الرحمن ﷻ.

لكن المؤمن إذا استقام على طاعة الله، ورزقه الله في قلبه خشيته، والخوف من حضرته وخالص تقواه، برز في داخله داعي الإلهام الذي يقول فيه الله: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ (٢٩الأنفال) هذا الفرقان يقول فيه ﷺ:

**{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }** [٣]

---

٢ الترغيب والترهيب عن ابن مسعود، ورواه أحمد والبزار مختصراً بغير هذا اللفظ بإسناد حسن.
٣ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وفي رواية أخرى:

{ احْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ } [٤]

فمَلَك الإلهام إذا أعطينا له مجال يكون بمثابة منبه ينبه الإنسان عند كل أمر من أموره، فيعرف طريق الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه، ويعرف الحسن فيمشي فيه، ويعرف السيء فيتركه، وهكذا: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام).

﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ لو ترك الإنسان مَلك الإلهام الذي يسدده، واستمع إلى ما في نفسه من وساوس، وما يصدر في صدره من الشيطان من هواجس، سيصيبه العنت، والعنت يعني المشقة البالغة، ومعظم مشاكل الناس في عصرنا سببها هذين الأمرين، الاستجابة إلى وساوس النفس، أو هواجس الشيطان.

وهواجس الشيطان ووساوس النفس تجول في صدر الإنسان، ولكنها – من فضل الله – لا تدخل في قلوب أهل الإيمان، لأن الله حفظ قلوبهم سر قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ (الناس) لكن لا يصل إلى القلوب.

## الإيمان وزينته

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ عرَّفنا الله ﷻ بتعريفه أن الإيمان فضل من الله ﷻ ومنَّة علينا جماعة المؤمنين، لا بمهارة منا، ولا بشيء قدمناه، ولا بعمل عملناه، وإنما هو محض فضل من حضرة الله، فأدخلنا الله بمنِّه في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (٢٢المجادلة).

﴿ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ زيَّن الإيمان في قلوبنا، وزينة الإيمان الخوف من الله، والخشوع بين يدي الله، وخشية الله في السر والعلانية، والحضور الدائم مع حضرة الله،

---

٤ جامع البيان للطبري عن ثوبان رضي الله عنه

والإخلاص في أي عمل يقدمه المرء لله جل في علاه ... كل هذه زينة يزين الله ﷻ بها القلوب.

ولا يكون العبد عبد محبوب إلا إذا زيَّنه الله ﷻ بهذه الزينة التي أشار إليها وقال فيها: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ (٣١الأعراف) فقه منها قوم (خذوا زينتكم) أي طهروا ثيابكم، وضعوا عطركم، وادخلوا بهذه الشاكلة على حضرة الله، لكن لو دخل الإنسان في الصلاة وطهر ثوبه وكواه، وملأ جسده بأفخر العطور المصنوعة في هذه الحياة، وقلبه مشغول بالكلية عن مولاه، هل يفوز في هذه الصلاة بالفلاح الذي قال فيه الله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون)؟!.

لكن الزينة التي نأخذها هي التي ينظر إليها الله، فالزينة التي ذكرناها للخلق، والزينة التي يحبها الله هي التي يقول فيها ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ } [٥]

وفهم الصالحون من قول الحبيب:

{ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى اللَّهِ الْبَيَاضُ } [٦]

أن الله يحب القلب الذي ليس فيه شائبة، وليس فيه غل، ولا حقد، ولا حرص، ولا كره، ولا شيء من ذلك، وإنما خالصاً مخلصاً لله ﷻ، نقي تقي، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ } [٧]

فالزينة التي نرتديها عندما نهم لملاقاة الله، أو مناجاة الله الصفاء والنقاء والخشوع والخشية والحضور والإقبال والإخبات والتمسكن والتذلل والافتقار إلى الله ﷻ ... تلكم هي بعض الزينات التي يلبسها الصالحون ليقابلوا الله ﷻ فيرضى عنهم الله ﷻ.

٥ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ
٦ مسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما
٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ حتى نعلم أنه كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ: ((لا قوه للعبد على طاعة الله إلا بتوفيقه ومعونته، ولا طاقة للعبد بالبعد عن معصية الله إلا بحفظه ﷻ وصيانته)).

هو الذي يتولانا بولايته ،ويرعانا برعايته، فيُكرِّه إلينا الأعمال التي تؤدي إلى الكفر، والأوصاف التي تؤدي إلى الفسوق، والأحوال التي تؤدي إلى العصيان، ليدخلنا ﷻ، ونطمع أن نكون من المخاطبين بقول الرحمن: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ الذين أرشدهم الرحمن بخير الأقوال، وأفضل الأعمال في حضرة ذي الجلال والإكرام ﷻ.

كل ذلك: ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ تفضل من حضرة الله، وامتنان من حضرة الله، وإنعام من حضرة الله على عباد الله الصالحين، لأن الله ﷻ أحبهم فقرَّبهم إلى حضرته، وجمَّلهم بجمال أهل محبته، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الله ﷻ عليم بخفايا الصدور، وعليم بغيب السرائر، حكيم في كل أحواله، وأفعاله، وأقداره، وتصرفاته، وعلينا جميعاً أن نُسلِّم له في قضاءه وقدره، وخيره وشره ﷻ.

## الصلح والإصلاح

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ وهناك قراءة أخرى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلَتا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ :

وأصل هذه الآية أن الرسول ﷺ كان لا يسكن عن الدعوة إلى الله طرفة عين ولا أقل، وكان لا ينتظر الناس حتى تذهب إليه في بيته أو في مسجده المبارك، بل يغشى الناس في أنديتهم ومنتدياتهم ومجالسهم، ويركب ما تيسر، ولا يشترط ركوبة معينة أو محددة، مزخرفة أو مزركشة أو ما شابه ذلك، وأحياناً كان يمشي على قدميه، المهم أن يقضي وقته كله في الدعوة إلى الله جل في علاه.

فركب سيدنا رسول الله ﷺ حماره، وذهب ليُبلِّغ دعوة الله ﷻ، وكان عندما يمشي في المدينة، وكلما وجد قوماً يجلسون في موضع عرَّج إليهم ووعظهم ودعاهم إلى الله ﷻ، وهذا حال رسول الله.

وينبغي أن يكون على ذلك حال الدعاة الصادقين أجمعين، لا ينتظر الناس تأتيه إلى المسجد، ولكن يغشى الناس في أماكن تجمعها، وخير دروس رمضان بعد صلاة العصر تكون في الأماكن التي يجتمع فيها الناس خارج بيوتهم ليتبادلون أطراف الحديث، فأجلس معهم وأمسك بدفة الحديث، وأجعل الحديث عن الصيام، أو عن القيام، أو عن تلاوة القرآن، أو عن ذكر الله، أو عن أي شيء نافع، ولا أُكثر عليهم، ثم أتركهم وأذهب إلى غيرهم.

ونحن نحتاج إلى مثل هؤلاء الرجال الذين يقومون بهذه المهمة، نحتاج إلى الداعي الذي يرجو من دعوته وجه مولاه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣فصلت).

فرأى النبي ﷺ عبد الله بن أُبي جالساً في نفر من الأنصار، وهم قديماً الأوس والخزرج، فكان نفر من هؤلاء، ونفر من هؤلاء جالسون يتحدثون، فعرَّج عليهم النبي ﷺ وحدَّثهم، لكن عبد الله بن أُبي كان في نفسه شيء من النبي والنبوة، ولذلك كان رجال الأنصار الأكابر يقولون للنبي: يا رسول الله اصبر عليه فأنت قد سلبت تاجه، فقد دخلت المدينة ونحن قد صنعنا له التاج لنجعله ملكاً على المدينة.

فقد كان بين الأوس والخزرج حروب كثيرة، وقبل الرسالة مباشرة اجتمعوا واتفقوا على أن يجمعوا أمرهم واختاروا عبد الله بن أُبي ليكون ملكاً عليهم، وصنعوا له التاج ....!!!!

ولكن جاء رسول الله، فظل هذا الرجل في صدره شيء من رسول الله، لأنه منع عنه الملك الدنيوي الذي كان حريصاً عليه ويتمناه.

وبعد أن انتهى رسول الله ﷺ من حديثه قال عبد الله بن أُبي: أيها الرجل إن ما تقول حق، ولكن ارجع إلى مكانك، ومن أراد أن يستمع إليك فليأتك، ومن لم يرد فلا، ومشى الحبيب ﷺ، فثار سيدنا عبد الله بن رواحة، وثار معه قومه، وقام الطائفتين على بعضهما بالجريد، وبسعف النخيل، وبالنعال، فرجع النبي ﷺ وأصلح بينهما، فنزل قول الله ﷻ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾.

وانظر إلى كلام رب العالمين، الطائفتين من المؤمنين، لذلك إياك أن تُكفر أحد، ولذلك عندما سُئل الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه عن الخوارج عندما قاتلوه: أكفار هم؟ قال: من الكفر فرُّوا، قالوا: أمشركون هم؟ قال: من الشرك نفروا، قالوا: بم تصفهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا.

فماذا علينا؟ ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ لا ننتظر أن نُنتدب للصلح، وهذا حال لو طُبق كما أراد الله ما بقيت مشكلة في مجتمعات المسلمين كلها، وهذا ما رأيناه ونحن صغار في قُرانا، كان إذا حدثت مشكلة بين عائلتين في شارع أو في البلدة لم ينم أهل الشارع أو أهل البلدة حتى يُصلحوهما، وللأسف لا يوجد الآن مثل ذلك، فالكل يقول لا شأن لي، وكأنهم غير مسلمين، وهذا أمر يتعارض مع صريح القرآن، وسُنَّة النبي العدنان ﷺ.

إذا حدث خلاف بين مسلمين، أو بين طائفتين، لا أنتظر حتى ينتدبوني لأصلح بينهما، لكن ينبغي أن أتحرك فوراً، وأستعين بمن شئت من المسلمين معي، لنقضي على هذه الفتنة في مهدها، لأن أمرها يكون سهلاً، ولو تركناها لاستفحل الأمر، وتعذر العلاج، هذه العبادة يقول فيها ﷺ:

**{ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ }**[٨]

٨جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه

ويقصد النبي النوافل من الصيام والصلاة والصدقة، فإذا أصرَّت طائفة على عدم الاستجابة، فهذه فئة باغية، كما قال الإمام علي: (إخواننا بغوا علينا) فالباغية التي بدأت بالعدوان، او أصرت على عدم الانصياع للصلح.

﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾ ما واجبنا؟ ﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ وهذه مشروعية الحرب التي نخوضها ضد هؤلاء الذي يُقتّلون المسلمين كداعش وغيرهم، لأنهم لم يستجيبوا للنصح ولا للصلح، وإنما تمادوا في غيّهم وضلالهم، وروعوا المسلمين، وقتّلوا المؤمنين، فتطبيقاً لأمر الله: ﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ حتى ترجع إلى شرع الله، وإلى كتاب الله، وإلى هدي رسول الله، ﴿ فَإِن فَآءَتۡ ﴾ أي رجعـــــت: ﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ والمقسطين هنا يعني العادلين، لأن كلمة مقسط في اللغة العربية تؤدي للمعنى وضده، فمقسط تعني عادل وظالم أيضاً، والذي يُفرق بين المعنيين سياق الكلام، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ } [٩]

يقصد العادلين في كل أحوالهم، وفي كل أفعالهم.

## أُخُوة المؤمنين

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ دعانا الله ﷻ إلى تحقيق الأُخوة بين جميع المسلمين، وأن نُصلح جميع المسلمين، ولا نخص طائفة منهم دون طائفة، لنُحقق كلام رب العالمين، والذي لا يستجيب يُحذره حضرة النبي ﷺ فيقول فيه:

{ مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلا، فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ، مُحِقًّا كَانَ أَوْ مُبْطِلا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ } [١٠]

٩ صحيح مسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١٠ الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه

ومتنصلاً أي معتذراً، فإذا جاءك أخوك واعتذر وتأسف ورغب في الصفح والعفو، لماذا لا تعفو عنه؟! ولماذا لا تصفح عنه؟! ولماذا تركب رأسك؟! وكان المؤمنون الأولون الذين لحقناهم داخلون في قول الحبيب:

{ **الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ** }[11]

لكن وجدنا المؤمنين في هذا الزمان وقد تمادوا في الغي، وتمادوا في العصيان، فإذا دعوته لينصلح مع فلان، يرفض، وقد يقول: إلى أن أموت لا أريد أن أعرفه، ولا يعرفني، ولو كان سبب دخولي الجنة فلا أريد هذه الجنة!! لماذا هذا الكلام؟! لكن المؤمن دائماً أهل عفو، وأهل صفح: ﴿ **وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ** ﴾ (٢٢النور).

وضرب الله لنا مثلاً بالصديق الأعظم رضي الله تبارك وتعالى عنه، ابن خالته مسطح، كان يطعمه ويكسوه ويُنفق عليه، ورغم ذلك هو الذي أشاع حادثة الإفك ونشرها في المدينة، فانظر إلى جزاء الإحسان، فقال أبو بكر: لا أُنفق عليه بعد ذلك، فأنزل الله ﷻ: ﴿ **وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ** ﴾ (٢٢النور) فقرأها عليه حضرة النبي فقال: بلى يا رب، ورد عليه نفقته وزادها، ورد عليه كسوته، ورد عليه كل ما كان يعطيه له طمعاً في مرضاة الله، رغم الأذى البالغ في زوجة النبي التقية الطاهرة النقية، واتهمها في أعز ما يتهم به إنسان امرأة صالحة، ومع ذلك عفا عنه.

هل هناك في المجتمع كله ما يضاهي هذه الفعلة؟ أبداً والله، والدنيا كلها لا تساوي نقيراً ولا قطميراً ولا قليلاً ولا كثيراً، قال ﷺ:

{ **إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْخَلائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ أَهْلُ الْفَضْلِ؟ فَيَقُومُ نَاسٌ وَهُمْ يَسِيرٌ، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ سِرَاعًا، فَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ، فَيَقُولُونَ: إِنَّا رَأَيْنَاكُمْ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَمَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ الْفَضْلِ، فَيَقُولُونَ: وَمَا فَضْلُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا إِذْ ظُلِمْنَا صَبَرْنَا، وَإِذَا أُسِيءَ إِلَيْنَا عَفَوْنَا، وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا** }

[11] مسند الشهاب والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

حَلُمْنَا، فَيُقَالُ لَهُمُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ }[١٢]

فأول طائفة ستدخل الجنة أهل العفو، وأهل الصفح، ولذلك يجب علينا أن نعفو عمن ظلمنا، وأن نصلح إخواننا، ونعاهد بعضنا أن نكون في أنقي قلوب، وفي أتقى صدور، وفي صفاء دائم مع حضرة الغفور ﷻ.

## النهي عن السخرية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٌ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ﴾ نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب لما رأوا من رثاثة حالهم وتقشفهم وهم أهل الصفة الذين قال الله فيهم ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (٢٧٣البقرة) ، و ﴿قَوۡمٍ﴾ أي رجال، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ﴾، أي لا يحتقر أحد أحداً فلعل من يُحتَقر يكون عند الله أعلى وأجل ممن احتقره، فينبغي للإنسان ألا يسخر بأخيه في الدين بل ولا أحد من خلق الله فلعله يكون أخلص ضميراً وأتقى قلباً ممن سخر به، ولقد بلغ بالسلف الصالح هذا الأمر حتى قال بعضهم : "لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل ما صنع" ، وقال عبدالله بن مسعود : {البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلباً}

﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ قال أنس: "نزلت في صفية بنت حي

{عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ ، قَالَتْ لَهَا : ابْنَةُ يَهُودِيٍّ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي ، فَقَالَ : ﷺ :"وَمَا يُبْكِيكِ؟ " ، قَالَتْ : قَالَتْ لِي حَفْصَةُ : إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ ، فَبِمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ ؟ " ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : " اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ }[١٣] .

وذكر النساء لمزيد الإيضاح والتبيين ولدفع توهم أن هذا النهي خاص بالرجال.

---

١٢ المطالب العالية لابن حجر والبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

١٣ رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني والنسائي

# اللمز والتنابز وعاقبتهما

﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ اللمز في الأصل الإشارة بالعين ونحوها، والمعنى (ولا تعيبوا فتعابوا) وذلك لأن الإنسان إذا عاب غيره عابه ذلك الغير، فيكون قد عاب الشخص نفسه، وهناك معنى آخر أن المؤمنين كشخص واحد فمن عاب غيره كأنه عاب نفسه ومن هذا المعنى قول الإمام الشافعي ﷺ:

إذا شئت أن تحيا سعيدا من الردى وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايبا فدعها وقل يا عين للناس أعين
فعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾ أي لا يدعوا بعضكم بعضا بلقب يكرهه مثل يا فاسق أو يا كافر ، وسبب نزول هذه الآية كما قال جبيرة بن الضحاك الأنصاري:

{ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي بَنِي سَلَمَةَ ﴿ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ ﴾ سورة الحجرات آية ١١، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ، وَلَيْسَ مِنَّا رَجُلٌ إِلا وَلَهُ اسْمَانِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ يَدْعُو الرَّجُلَ بِالاسْمِ ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَهْ ، فَإِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا الاسْمِ فَنَزَلَتْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ } [١٤]

ومن ذلك أيضاً الشتم :

كقول الإنسان لأخيه يا كلب أو يا حمار ونحو ذلك، فالمراد إذاً بالألقاب كل ما يكرهه المخاطب، وأما الألقاب التى صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها إذا لم يكرهها المدعو بها ، وأما الألقاب التى تشعر بالمدح فلا تكره كما قيل لأبي بكر : "عتيق" ولعمر : "الفاروق" ولعثمان : "ذوالنورين" ولعلي: "أبوتراب" ولخالد: "سيف الله" ونحو ذلك.

١٤ رواه أحمد والبخارى في الأدب المفرد وأبوداود والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني

﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ أي الإثم المذكور للسخرية واللمز والتنابز، فهو وإن كان صغيرة إلا أنه لخروجه عن الطاعة يصير كبيرة يفسق بها: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي الضارون لأنفسهم بمعاصيهم ومخالفتهم.

## اجتناب الظن السيئ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ نهى الله تعالى المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شراً كأن يسمع من أخيه المسلم كلاماً لا يريد به سوءاً أو يدخل مدخلاً لا يريد به سوءاً ، فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءاً لأن بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحاً وفي نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهياً ويكون الرائي مخطئاً، فأما أهل السوء والفسق المتجاهرين بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم.

وقيل أن هذه الآية نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين ليخدمهما ويتقدمهما إلى المنزل، ويهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب:

**{ فضم سلمان إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عينه فنام، ولم يهيء لهما شيئاً فلما قدما قالا له : " ما صنعت شيئا؟ قال : لا غلبتني عيناي ، قالا له : انطلق إلى رسول الله فاطلب لنا منه طعاماً ، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ فسأله طعاماً فقال رسول الله : "انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له : إن كان عنده فضل طعام وإدام فليعطك، وكان أسامة خازن طعام رسول الله ﷺ وعلى رحله فأتاه فقال : "ما عندي شيء" فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا : كان عند أسامة ولكن بخل، فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً فلما رجع قالوا : لو بعثناك إلى بئر سمحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله فلما جاءا إلى رسول الله قال لهما : " ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟" قالا : والله يا رسول الله ما تناولنا**

**يومنا هذا لحماً، قال: "ظلمتما بأكل لحم سلمان وأسامة" فنزلت الآية{ ١٥.**

وجملة ﴿ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ في الآية تشير إلى أنه ينبغي الإحتياط والتأمل في كل ظن خوف أن يقع في منهي عنه ، قال سفيان الثوري: " الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولا يتكلم به".

## التجسس والتحسس

﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ وقرئ شذوذا بالحاء "ولا تحسسوا" ، التجسس يكون في الشر ويكون بالبحث عما يكتم عنك، والتحسس يكون في الخير أو في طلب الأخبار والبحث عنها، والآية تنهى عن تتبع عورات المسلمين لأن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته.

## تحريم الغيبة

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ أي لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه، والغيبة في كتاب الله على ثلاثة أوجه: "الغيبة والإفك والبهتان"

فأما الغيبة: فهي ان تقول في أخيك ما هو فيه.

وأما الإفك: فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه.

وأما البهتان: فهو أن تقول فيه ما ليس فيه.

وهذه الأمور كبائر تحتاج لتوبة فينبغي على المغتاب أن يستحل من اغتابه إن استطاع وإلا فليستغفر له فقد ورد عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال:

**{ إِنَّ كَفَّارَةَ الْغِيبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنِ اغْتَبْتَهُ ، تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ }** [١٦]

١٥ ذكره البغوي في تفسيره والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن

١٦ رواه البيهقي في الدعوات الكبير والخرائطي في مساوئ الأخلاق عن أنس بن مالك.

وعليه أيضاً أن يبادر بالتوبة بينه وبين الله ﷻ، ويستثنى من الغيبة المحرمة سبعة أمور نظمها بعضهم بقوله:

**تظلم واستغث واستفتي حذر وعرف بدعة فسق المجاهر**

أي يجوز للإنسان في حالة تقدمه بمظلمة لولي الأمر أو الاستغاثة من ظلم يقع عليه أو الاستفتاء من العلماء في مسألة أو تحذير لأخيه المؤمن من الوقوع في أمر مكروه أن يذكر أحداً بما فيه .....

وذلك ليس لمن اشتهر بالبدعة وجاهر بالفسق غيبة ، قال ﷺ:

{ **لَيْسَ لِفَاسِقٍ غِيبَةٌ** }[١٧].

وتقبيحاً لهذا العمل الذي لا يليق بمسلم نحو أخيه المسلم مثَّلَ الله المغتاب لأخيه بمن يأكل لحم الميت !!!!

ومعلوم أن لحم الميت حرام في الدين وقبيح في النفوس!!

وهذا في قوله سبحانه:

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ ، وفي هذا إشارة إلى أن عرض الإنسان المسلم كلحمه ودمه. فإن الإنسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الإنسان فكذلك لا يحسن منه قرض عرض أخيه الإنسان.

وذكر الله المؤمنين بعقابه في الإغتياب بتخويفهم منه بقوله"

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ولفرط رحمته ﷻ فتح لهم مع ذلك باب التوبة واسعاً لمن يندم على ما فعل ويرجع إليه ....

فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي يقبل التوبة للتائبين ويرحم النادمين.

---

١٧ رواه الطبراني في الكبير ومسند الشهاب عن معاوية بن حيدة.

# ميزان التكريم الإلهي

﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ وهما آدم وحواء، قال ﷺ: { **كُلُّكُمْ لآدَمَ وَحَوَّاءَ كَطَفِّ الصَّاعِ بِالصَّاعِ** }[١٨]، وقال أيضاً: { **النَّاسُ وَلَدُ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ** }[١٩]

وكذا إتمام الخلق إلى يوم القيامة لا بد أن يكون من رجل وامرأة ، واختلف في سبب نزول هذه الآية وقال ابن عباس:

**{لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالا حتى علا ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد : الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام : ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو : وإن يرد الله شيئاً يغيره، وقال أبوسفيان : أنا لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره رب السماوات، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية زجراً لهم عن التفاخر في الأنساب والتكاثر بالأموال والإزدراء بالفقراء، وأن المدار على التقوى لأن الجميع من آدم وحواء وإنما الفضل بالتقوى}**[٢٠].

وقيل: نزلت في أبي هند:

**{ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي بَيَاضَةَ أَنْ يُزَوِّجُوا أَبَا هِنْدٍ امْرَأَةً مِنْهُمْ " ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نُزَوِّجُ بَنَاتِنَا مَوَالِينَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ }**[٢١]

وقيل نزلت في قيس بن ثابت حين قال له رجل:

**{ افسح لي ، فقال : إن ابن فلانة يقول : افسح لي، كناية عن استخفافه به ، فقال رسول الله ﷺ : "من الذاكر فلانة؟" قال ثابت : أنا يا رسول الله، فقال**

---

١٨ رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي أمامة ﷺ.
١٩ رواه الترمذي وأبي داود والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة ﷺ.
٢٠ ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن والواحدي في أسباب النزول والبغوي في تفسيره
٢١ رواه أبوداود والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن

**رسول الله ﷺ : "انظر في وجوه القوم " فنظر فقال له النبي ﷺ : " ما رأيت؟" قال ثابت : رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال : "إنك لا تفضلهم إلا بالتقوى"}** [٢٢] .

**ونزل أيضا فيه قوله تعالى:**

**﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾** (١١المجادلة).

**﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا ﴾ جمع شعب وهو أعلى طبقات النسب، فالشعوب رؤوس القبائل وسمي شعباً لتشعب القبائل منه.**

**و﴿ قَبَآئِلَ ﴾ وهي دون الشعوب ويليها فصائل أخرى آخرها العشائر.**

**﴿ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ أي ليعرف بعضكم بعضاً فتصلوا أرحامكم وتنتسبوا لآبائكم لا لتفاخروا بعلو النسب وإنما الفخر بينكم بالتقوى.**

**﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ ، فالإفتخار المحمود إنما يكون على أهل الكفر بترك الشرك والتمسك بالإسلام وشعائره، وأعزكم عند الله أكثركم تقوى فهي سبب رفعة القدر في الدنيا والآخرة ولم يكن أكثركم مالاً ولا جاهاً ولا أحسنكم صورة ولا غير ذلك من الأمور التى تفنى.**

**وأكد ذلك عزشأنه في قوله سبحانه ... ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ :**

**أي يعلم ظواهركم ﴿ خَبِيرٞ ﴾ أي يعلم بواطنكم فلا يخفى عليه شيء لا في الصدور ولا في القلوب ولا في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.**

**وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**

٢٢ ذكره الواحدى في أسباب النزول والبغوى في تفسيره والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن

# وصل الختام

# نصائـــــح

# لحفظ روابط الأُخُوة الإيمانية

- الشورى في الإسلام
- منهج الحبيب
- اجتناب سوء الظن

# وصل الختام

# نصائح لحفظ روابط الأُخُوة الإيمانية[1]

# الشورى في الإسلام

الذي نحن متفقون عليه هو كتاب الله، والذي يقول فيه الله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣٨الشورى) فمعنى الشورى هي الإجماع الذي يجتمع عليه أكبر عدد من الجماعة، وهو الذي نسير عليه، حتى ولو كنتُ أنا القائد.

سيدنا رسول الله في غزوة أُحد كان له رأي، وأصحابه كان لهم رأي، والقرآن نزل على رأي أصحابه؛ ليعلِّمنا.، فأملي الوحيد الذي أريد أن يسير عليه الأحباب هو الشورى، فكثير من الأحباب يسير على الدكتاتورية، وكل شخص يريد أن يكون دكتاتورًا إن كان في منزله أو مع إخوانه، يريد أن تكون كلمته (سمعنا وأطعنا) فقط ولو كانت خطأ، ولو اعترض أحد تكون مشكلة المشاكل ويعلن عليه الحرب.

لِمَ كل هذا؟! أهكذا كان الإسلام؟! الإسلام ليس كذلك، لكن الإسلام ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (٢٨٥البقرة) سمعنا وأطعنا لله ورسوله، لكن نحن مع بعضنا البعض يكون: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣٨الشورى).

ما معني الشورى؟ هو أن تعرض الرأي على الجماعة بشفافية، وكل شخص نعطي له فرصة؛ لكي يعبر عن وجهة نظره، والذي يتفق عليه أكبر عدد من الحاضرين؛ نسير عليه؛ لأن يد الله مع الجماعة ... هذا هو المفروض أن أكون عليه، سواء في منزلي أو في عملي أو بين الأحباب، لكن كل شخص يسير على رأيه، ولا يستمع لي أو لغيري، يسمع كلام الأميرة التي بداخله؛ نفسه، هؤلاء قد يقول أحدهم لك سمعنا، وبعد ذلك يشاور نفسه وتقول له: لا، بل كذا، فيسير على رأيه على الفور، ولا يرجع لك مرة أخرى، ولذلك مصيبة السالكين وغيرهم، الهوى، والهوى من النفس، لكن الإنسان لو طبق مبدأ الشورى؛ يرتاح.

---

١ المنيا – مغاغة – ١من محرم ١٤٣٧هـ ١٤/١٠/٢٠١٥م

فانظر إلي الرجل الصالح الذي يقول: ((لو استشار آدم الملائكة ما خرج من الجنة)) لماذا خرج من الجنة؟ لأنه لم يشاور الملائكة، لكنه لو استشار الملائكة لدلته على الصواب، وما كان خرج من الجنة، ولا اقترب من الشجرة، لكنه سمع نصيحة أحد اعتقد أنه من الملائكة، وهو إبليس.

فالذي يوفقه الله يأخذ بمبدأ الشورى، وفي منازلنا نعلّم أولادنا، ما رأيك يا بني، أو يا بنيتي؟ ولا استهزئ به، لكي يخرجوا مكَّونين على الشورى الإسلامية.

الرجل يريد أن يكون في المنزل لا أحد له رأي معه، لا زوجة ولا أولاد ولا أي شخص، يقول كذا وهي النهائية وبذلك يصنع مشاكل ليس لها حد، يظن أن ذلك هو الرجولة، يفرض كلامه عليهم وتكون مثل حد السيف، وهذا كان في الزمن الماضي فهل ذلك يجوز في هذا الزمان؟! لا يجوز في هذا الزمان.

فكان في الماضي مثل العبيد، لكن نحن الآن أحرار، لا تستطيع أن ترغم أحدًا، فكان الرجل يقول لابنته ستتزوجين فلانًا ولم تره ولم تعرفه ولا تراه إلا يوم زفافها، وهل هذا يصلح الآن؟! فما الأصح؟ الذي كان أم الموجود الآن؟ الآن طبعًا، فقد ذهب شاب إلي النبي ﷺ وقال له إني خطبت فلانة، فقال له النبي: { **هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا "؟ قَالَ: لا. قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا** }[٢]

وفي رواية أخرى: { **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: " هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ فَإِنَّ فِي عُيُونِ الأَنْصَارِ شَيْئًا، قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا "**}[٣]، فقد كانت تحدث مشاكل بسبب هذا الامر، يعقد قرانه على واحدة، ويأتون له بواحدة أخرى عند زفافه، كأختها أو غيرها، لكن ما يحدث في هذه الآونة التي نحن فيها هو الأصح في ظل زيادة العلم والثقافة، وهذا هو رأي الإسلام! لابد أن يكون عنده وعندها رضا: ﴿ **لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ** ﴾ **(٢٥٦البقرة)** فالزواج من الدين، ولا يجوز فيه الإكراه، فكانت الناس تحطم شخصية

٢ سنن الدار قطني عن المغيرة بن شعبة ومختصر الأحكام على جامع الترمذي

٣ صحيح مسلم والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ

الناس، فلا يوجد لهم أي كلمة، وقد يرون الخطأ ولا يستطيعون التحدث، وهذا ليس من الإسلام، فقد ذهبت فتاة لرسول الله فقالت:{ أَبِي زَوَّجَنِي رَجُلاً، وَأَنَا كَارِهَةٌ، وَقَدْ خَطَبَنِي ابْنُ عَمِّ لِي، فَقَالَ: لا نِكَاحَ لَهُ، انْكِحِي مَنْ شِئْتِ }[٤]، لنرى كيف جرَّأ رسول الله ﷺ النساء، وقد سألت امرأة رسول الله ﷺ عن غسل المحيض، فأجابها النبي ﷺ، فقالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ نِعْمَ النِّسَاءُ، نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ }[٥]

الدين الحرية، فلا يجوز أن يكون فلان هو لفلانة، فمن الذي قال هذا؟! أين الدين في ذلك؟! هذه عبودية نعوذ بالله ﷻ منها، وقد رأيت بنفسي، قال رجل لابنه: ستتزوج فلانة، فقال الابن لأبيه: ليس لي رغبة فيها، والإبن مثقف وهي أمية، فقال له: إنْ لم تتزوجها أنت سأتزوجها أنا على أمك، فماذا يفعل الإبن؟! تزوجها بغير رضا نفس، هل هذا يجوز في هذا العصر؟!لا.

نحن الآن فهمنا الدين الفهم الصحيح، وهؤلاء لم يفهموا الدين الفهم الصحيح، فهم يسيرون على قوانين الحَجْر الجاهلية، ولذلك يوجد أحباب لنا كثير ومثقفون ولديهم وظائف محترمة، لكن تعامله مع أهل بيته دون المستوى، فيقول: أنا رأيت أبي وأمي هكذا!! ما شأنك بهذا؟! هؤلاء في زمن، وأنت في زمن آخر، وقال سيدنا علي رضي الله عنه: ((لا تَحْملوا أولادكم على أخلاقكم فإن لهم زمان غير زمانكم)).

فعلى سبيل المثال أمك كانت على الدوام في المنزل، ولا يوجد لها أي مصلحة إلا المنزل، لكن زوجتك قد تكون موظفة، وأنت تريدها أن تعمل في المنزل كما كانت أمك تفعل تماماً، ولا تريد أن تساعدها، بل تقول: الرجل عندنا لا يفعل هذا، فماذا تصنع هي؟!. ... كانت أمك ليس لها شأن بدراسة الأولاد، أما الزوجة تريد أن تنتهي من المنزل، وتدرس لأولادها وإلا فلن يتعلموا، والرجل ليس له شأن بهذا أيضًا، فهل ذلك يجوز؟! فيجب على الإنسان أن يراعي كل هذه الظروف والاختلافات.

---

٤ سنن النسائي ومسند أحمد

٥ الصحيحين البخاري ومسلم

## منهج الحبيب

فما المنهج الذي نسير عليه؟ نسير كما كان النبي ﷺ وصحبه الكرام، وكان هذا رجلًا عصريًا تجد له في كل عصر ثوبًا يلبسه، فلابد أن يسير على هذه الأمور.

ابني قبل البلوغ يجب أن أصاحبه، فهل تجوز الأوامر والنواهي في هذا الزمان؟ لا، فالأولاد يريدون الحب فيحبونك، صاحبْه وتعامل معه كأنه رجل، في كل موضوع أجمعهم وأقول لهم: ما رأيكم في هذا الأمر؟ مع أني أعلم أن الرأي الصواب كذا، لكني لا بد أن أمرّنهم، وهذا تدريب عملي، ولذلك نجد أن الإبن كَبِرَ وتزوج ولا يوجد عنده أي خبرة في الحياة، فمن أين يأخذ الخبرة؟ ليست في المدرسة، لكن يأخذها من أبيه ومن أمه ومن الذين حوله.

لكن إذا تكلم الإبن ينهره الأب، ويقول كيف تتكلم وأنا موجود؟ وأنت ليس لك كلمة، فهذا مثل نظام الجاهلية الأولي، فيسكت، وهذا يحطم شخصيته مع زملائه في التعامل في كل مكان، لكن يجب أن تربي شخصيته، فما أساسها؟ أساسها: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ ﴾ (٣٨الشورى).

إبنك أخذ الإعدادية، فأقول له ما رغبتك؟ أتريد أن تدخل ثانوي عام أم مدرسة صناعة أم مدرسة زراعة أم مدرسة تدريب مهني؟ فقل لي الذي تريده وأنا سأنفذه، فهذه حياتك ولك الحرية، فيقول: فما رأيك يا أبت؟ فهو مهذب، فيقول الأب: أنا رأيي كذا، لكن الذي تقول عليه سأنفذه لك.

بعد ذلك الزواج، إن كان للولد أو للبنت، أيوجد أحد يأكل شيئًا لا يريده؟! لا، فلماذا تؤكلها طوال عمرها رجلًا لا تريده؟ هل ذلك يجوز؟! فبذلك ربما – والعياذ بالله – تذهب إلي طريقٍ آخر، ومن السبب؟ أنت.

فلو كان هناك مبدأ شورى من البداية؛ سيأتي ليستشيرني، لكني عندما أغلق الطريق فلن يستشيرني، بل يذهب إلي أصحابه يستشيرهم، ويأتي الأحباب ويقولون: ابني يفعل كذا وكذا وعندما أريد شيئًا منه أذهب إلي أصحابه لكي أقنعه أو أبلغه ما أريد، فما الذي يجعلني أدخل من هذا الطريق البعيد! وأحكي لكم قصة حدثت.

ذهب شاب يريد خطبة فتاة، فأرسلت له رسالة وقالت: أنا درست في كذا وتوظفت، وكلما يأتي شخص لخطبتي أبي يرفض لراتبه، إلي أن وصل سني إلي تسع وعشرين سنة، وهو يصر على رأيه فماذا أفعل؟ هربت، وعندما هربت، لم أجد أمامي غير طريق المعصية، وهربت إلي دولة أخرى وظللت أمارس الخطيئة، ورجعت ودخلت إلي بلدي سرًا واستأجرت شقة وأحضرت بفتيات يعملن معي في ذلك، فمن السبب في هذا؟ أبوها، فمن أجل المال يبيع كل شيء، فلو أردنا أن نسير على المنهج الإسلامي، فهذا هو الطريق الصحيح الذي نتكلم فيه: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (١٥٩آل عمران) .... التربية أولًا على الحرية، يقول رأيه وأنا أصححه له وأسمع منه، فإذا قال رأيه خطأ فلا أتزمت، وهذا الذي أريده، فأنا أريد أن يُخرج الذي بداخله لي أنا، بدلًا من أن يخرجه للآخرين، ويدلونه على الخطأ، لكن أنا لن أدله إلا على الصحيح.

فالأمور كلها لا بد فيها من الشورى ونحرص على عدم الفرقة، لا تفترقوا أو تحترقوا، فالفرقة يأتي بعدها احتراق، وأي شخص يسعى في الفُرقة بين الأحبة فهو شيطان، أيوجد أحد صالح يسعى للفُرقة بين الأحبة، فلو رأينا أحدًا يفعل ذلك؛ نتركه ولا نلتفت له؛ لأننا لا نريد أن نزيد الفتن، فنحن جميعًا ننصح بعضنا البعض، نحاول أولًا أن ننصحه باللطف وباللين ولا نستجيب له؛ لأنه لو استجاب واحد له فيكون بذلك صنع جبهة، وتكون فرقتين، وهذه هي المشكلة ويبدأ القيل والقال.

## اجتناب سوء الظن

فأهم شيء في جلسات الأحباب، لحظة الصفاء والجماعة وعدم الفرقة، وآفة الآفات التي تسير بين الأحبة سوء الظن، وغير مسموح بسوء الظن في أخ أبدًا مهما كان، قال ﷺ:

**{ إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ }** [٦]

وقال ﷺ في الحديث الآخر:

---

٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

## { إِذَا ظَنَنْتَ فَلا تُحَقِّقْ } [٧]

أرأيت بعينك؟ أيوجد دليل مادي ملموس؟ فإن وجد، أترك الظن على الفور، لأن شياطين الإنس والجن إذا جدوا رجلًا موفقًا في طريق الله؛ فيدخلون مع الأحبة عن طريق سوء الظن.

فمثلًا، ماذا يعمل هذا؟ لا بد أن يكون له مكتب! لابد أن يكون له منافع، وهذا الكلام لا يسلم منه أحد، فهذه سنة الله في الأرض، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وأنا شخصياً لم أسلم من هذا الأمر فقد قيل: لماذا يذهب إلي بلاد الصعيد، وغيرها؟ فهو يأتي من هناك بحقائب مملوءة بالمال، وأنا لم أر هذه الحقائب.

فهذا نظام الناس، والمصيبة العظمى هي عندما يستجيب له الذين معك أو بعضهم، فالشياطين يقولون ما يريدون، وأنا علي أن أزن هذا الكلام، فسوء الظن هو سبب المشاكل كلها التي تكون بين الأحبة.

والله ﷻ قال في القرآن: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣١الفرقان) فالمجرمون موجودون في كل مكان، والله ﷻ أسماهم المجرمين، فمرة قالوا عن النبي أنه ساحر، ومرة قالوا عنه مجنون، وهذا إرث إلي يوم الدين، فهم يقولون ما يريدون، لكن المصيبة أن بعضنا يمشي على ما يقولون.

فلابد أن يكون عندنا حسن ظن في بعضنا البعض، فعلى سبيل المثال كل بلد يوجد بها جمعية، وأقمنا بها مشروعًا، وجاء أحدنا وتبرع لوجه الله، فلو دخل سوء الظن بيننا فسيقال: أنه يفعل هذا لكي ينتفع من وراء المشروع؛ فتفشل جميع المشاريع، أتجد أحدًا يقيم مشاريع بعد ذلك؟ لا، بل يقول: أنا أذهب معهم وبعد ذلك يتهمونني؟!! فلن أذهب.

فعليّ أن أحسن الظن بالله رسوله، وبكل إخواني المؤمنين، فإذا وجدت شيئًا واضحًا وضوح الشمس ووجد دليل؛ فعليّ أن أعالجه بالسبيل النبيل الذي ذكره الله في

---

٧ معجم الطبراني عن حارثة بن النعمان ﷺ

القرآن، وذكره سيدنا رسول الله ﷺ، وأقول له يا فلان أنا أرى كذا فهل هذا صحيح أم لا؟ فلا أُشهّر به، فربما أقول في نفسي أنني إذا فعلت ذلك فهو لن يقبل مني بعد ذلك، بل أتذكر قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (١٩النور) وليس في الدنيا فقط بل وفي الآخرة، فلا بد أن يكون المؤمن على هذه الشاكلة.

وأضرب لكم مثلًا: كان هناك رجل من الصالحين، وكان من أهل الجذب، وبعد ذلك أقامه الله، وكان لا يسعى، فكان من المتوكلين على الله، ولم يُر معه مال ولا شيء، ولا يأخذ شيئًا من أحد، فكان الناس يأتون له بأكل وشرب، وكان هناك شخص وكيلًا عنه، هو الذي يأخذ هذه الأشياء ويتولى رعايته، فيأتي البعض ويتهم وكيله، فرد الرجل الصالح قائلًا: هل أنا سأحاسب عنه، فمعاملته بينه وبين الله، فإذا فعل صالحًا فلنفسه، وإذا فعل سيئة سيحاسبه الله حسابًا شديدًا، فبذلك يقطع الشك باليقين.

وقد رأينا الذي كان ينحرف؛ ينجرف ويبتعد عن طريق الله ورسوله بالكلية، أيوجد أحد يحاسِب مثل الحسيب ﷻ؟! لا، فإذا كان يعتقد أنه يخدع الناس فلا يستطيع أن يخدع الله: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٩البقرة)

الشاهد هنا أنه لا بد أن يكون بيننا حسن ظن بالله في كل شأن، مثلًا كلفنا فلانًا ليشتري لنا كذا، فلا يجوز أن أتجسس من بعده وأقول للبائع: بكم أخذ فلان منك هذه الأشياء؟ فمن الممكن أن يذهب البائع إليه ويُحْدِثُ فتنة بينكم، وليس لها علاج، فإذا شك مرة واحدة فلن يثق فيّ مرة أخرى.

لكن نحن إخوة في الله، الذي يفعل شيئًا يفعله لله، والذي يحاسب الكل ويثيب الكل ويرفع الكل هو الله ﷻ، فنحن ليس عندنا قسم حسابات ولا قانون عقاب ولا لائحة جزاءات، ولا شيء من هذا القبيل، فهذه معاملة ملك الملوك ﷻ، فلماذا نُفْقِدُ الأخوة روحَها، والتي من صفاتها المحبة والمودة والإخلاص والثقة فهذا الشيء لا بد أن نحرص عليه،: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (١٠٣آل عمران) ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(١٠٥آل عمران)

فلا نكون كبلد من البلاد، اختلفوا مع بعضهم في وقت، وهذا مصرّ على رأيه وهذا مصرّ على رأيه؛ فتفرقوا إلي حزبين، لماذا؟!! النهج المحمدي ليس كذلك، فيجب أن أعرض الأمرين، وأنا وأنت ليس لنا شأن، فالله أهم شيء، نجعل هدفنا الأول هو الله، فهذا الأمر أفعله لله، وليس لإرضاء فلان، هذا هو الأساس، إذا فعلناه لإرضاء فلان؛ فنكون بذلك قد انحرفنا، لكن لو جعلنا الغاية كلها إرضاء الله، ولمصلحة الدعوة، لن يحدث خلاف.

اجتمعنا وهذا له رأي وهذا له رأي، نجلس مع بعضنا البعض على حسب عددنا، فرأي الأغلبية هو الذي يسير على الجميع، ولا نصنع حزبية لكي لا ندخل في الدائرة المكروهة، فلا يجوز ذلك، لكن لا بد أن نترك هذه الأشياء وتكون عفوية، نجلس مع بعضنا البعض، وكل شخص يقول رأيه، وإذا لم نصل إلي حل؛ فعلينا أن نرده لجهة أخرى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (٨٣النساء) وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، وتكون الصدور منشرحة، والقلوب سليمة، ولا يوجد مشاكل بين الأحبة وأحْرص ما نحرص عليه هو جسد الأحبة، قال ﷺ:

## { إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا } [٨]

بارك الله فيكم وعليكم، وهذه وصيتي لكم أجمعين، وكلام الآخرين كما قلت، ليس لنا شأن به، فكل ما يشاع في إخوانك أو في أحبابك من الآخرين أو غيره كحقد أو حسد؛ فلن يكون ذرة من الذي أشيع عني، ولا يزال يوميًا تأتي لي أناس وتقول كذا وكذا، وأقول لهم ليس لي شأن بذلك، أنا رجل عالم، أقول قال الله وقال الرسول، فيقولون: أنت لا تريد أن تخدمنا، ويقولون لماذا يزور البلاد إن لم يكن له يد في ذلك؟!. ... يوميًا أناس يريدون عشرة آلاف، أو خمسة آلاف، وأناس آخرون يريدون مصالح، منهم الذي يريد أن يدخل كلية الشرطة، أو الذي يريد أن يكون محافظًا، أو الذي يريد

٨ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ﷺ

أن يكون وزيرًا، فهم يعتقدون أنني أنا على صلة بكل المسئولين، وأقول لهم: أنا رجل عالم فقط؛ ولا يصدقون ذلك ولا فائدة معهم، ويقولون: هو لا يريد أن يخدمنا، لكن هذه هي سنة الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ (١١٢الأنعام) لا بد أن يوجد أعداء، فمن الذي ليس له أعداء؟ لا يوجد إلا المجانين، هل يوجد عالم ليس له عدو؟ أيوجد أحد ليس له حاسد؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ }[٩]

ماذا يريد الحاسد؟ يريد زوال النعمة ولا يرتاح إلى أن تزول، يقال أن الحاسد لا يكون بين المؤمنين، نقول: إخوة يوسف كانوا مؤمنين، حسدوه وكانوا يريدون أن يقتلوه، وألقوه في البئر، فما الإساءة التي قدمها لهم؟ لا شيء، وكان يعلم بذلك.

فعلينا جميعًا أن لا نصغي لها ولا نسمع لها؛ لكي نحافظ على الصفاء والنقاء؛ لكي يتنزل علينا دومًا النور والجمال والبهاء والضياء، هذا هو العهد الذي تعاهدنا عليه ونسير عليه، ولا أحد يسيطر عليه ويسمع كلمة ذم أبدًا في إخوانه أيًا كان، لكن أسمع مدحًا فهذا جائز لأني لو سمعت وسكتّ؛ فالذي قال لك يذهب إليه ويقول فلان يتكلم على فلان كذا، وتكون على لسانك أنت، والمجتمع موبوء يا أحباب وهو أكثر من الأمراض الظاهرة، وأنتم ترون هذا في كل وقت وحين، فلا بد أن نحافظ على صحتنا الروحانية وعلى أخوتنا الإيمانية، ويكون بيننا كما قال ﷺ:

{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }[١٠]

وقد رأينا الأحباب كانوا يشعر بعضهم ببعض، يشعر أن فلانًا هذا مريض؛ فيتصل به يجده مريضًا، أو فلان هذا عنده مشكلة، فالقلوب مترابطة فيذهب إليه ويجد عنده مشكلة، فقد كانوا يشعرون ببعضهم، وعندما يري شخص أخاه؛ يشعر أنه لم يأكل، يقول له: إنك لم تأكل اليوم، ينظر بنور الله، لأنه يشعر أنه ليس بنفسه بل

٩ الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ
١٠ البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ﷺ

بإخوانه، فالعيب الذي حدث الآن، أن كل فرد يريد أن يعيش بنفسه، أو أن ينتفع بإخوانه، إن كان معهم مصلحة، فالأُخُوة ليست كذلك، فالمؤمن بإخوانه:

**المـــرء بـــالإخوان لا بجـــدوده كثيـر نعـم والـذل فـي النقصـان**

وآخر كلام لنا في هذا المجال كلمة رجلٌ من الصالحين، فيا ليت جميع الإخوان يسيرون عليها، التي يقول فيها: ((اجعل مَنْ يراك يدعوا لمن ربَّاك)) فعندما يرى الناس شخصًا مهذبًا ومؤدبًا؛ يقال له: ونعم التربية، ويحسن له، فعلا أن فلان ربَّى، وهذه أكثر في التربية الروحية ... فلان هذا ابن من؟ ابن أبو العزائم، فلا بد أن يلمس فيه الشمائل المحمدية والقيم القرآنية والمواصفات التي كانت عليها الحضرة المحمدية، فعندما يراه ويرى تصرفاته فيقال: ونعم التربية.

الإمام الجنيد ﷺ، مع علو مقامه رأي أحد الصالحين مع أبنائه، وكان قد رباهم تربية تامة، فعندما رآهم الجنيد؛ قال له: ((لقد ربيتهم تربية الملوك)) أدب، ولا ينطق إلا بحساب، لا يتحرك إلا بنية صحيحة لرب البرية، فقال للجنيد: لولا الأدب ما وصل أي امرئ إلي عليِّ الرتب .... فكيف يكون الوصل إلي الرتب الإلهية؟ بالأدب، ليس بالآداب الظاهرية، بل بالآداب القلبية، وأول الآداب التي توصل إلي الله، الخشية والخشوع والحضور والإخلاص ... آداب قلبية، وهي التي يحرص عليها المُرَبّون؛ لكي يرتفع المريدون للدرجات العالية في معية سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فهذه الآداب عندما يضعها الإنسان في صدره، فيأخذ في باله على أن الذي ينظر إليه ينظر باعتبار أنني ابن فلان، فيجب أن أكون على قدر هذه الغاية العلية، أنا كلي صفات سيئة سريع الغضب وكذا، لكن لو رأوني سينسبون هذا لأبي، فلا يجوز أن أفعل ذلك، فلا بد أن أغيّر كل هذه الأوصاف ليفرحوا بي عندما يروني ويدعون لأبي وأول من يراني زوجتي وأولادي ... فأول المعترضين على كثير من السالكين الزوجة والأولاد، فيقال إياكم أن تتزوجوا من هؤلاء الجماعة يكفينا الذي رأيناه، يكون في الخارج ملكًا من الملائكة، فعندما يدخل إلي المنزل يكون وحشًا كاسرًا، فهي لم تر إلا هذه الصورة، أرأت الصورة التي في الخارج؟ لم ترها، فهي تري هذه الصورة فقط، أتزوج ابنتها لوحش من هذه الوحوش؟ لا، لماذا؟

لأنها تظن أن الكل على هذه الشاكلة فيسيء للمجموعة كلها.

تخيل دائمًا أنك صورة للمجموعة التي تنتمي إليها، الذي يراك يري فيهم البضاعة، فهؤلاء معهم بضاعة حضرة النبي أم بضاعة الشيطان؟ بضاعة النبي، نريد أن نراها، ليس في المسجد بل في التعاملات وفي الأخلاق، في الصدق في الأمانة في المروءة في المعاملات الطيبة؛ لذلك أنا أعجب عندما أرى شخصًا من أحبابنا يكذب، فأنا أتعامل مع الأحباب على أنهم أناس صادقين، فيقول لي كلمة أصدّقه على الفور، وأفاجأ بعد ذلك أن الكلمة كذب، فأين الصدق؟ لماذا تكذب عليّ؟ وقد قيل: ((إذا كان الكذب ينجي فالصدق أنجى))، فإذا أردت أن تصل إلي مقام الصديقين، فسر على الصدق؛ فتكون مع الصادقين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) شرط فيهم أن يكون من الصادقين، فهل يجوز أن يكون فيهم واحد كاذب؟ لا، حتى في اللغو وفي اللعب، قال ﷺ:

{ إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا } [١١]

فلا يكون صادقًا مع الناس ويكذب على زوجته وأولاده؛ فهو نفس الشيء، فالمزرعة المكلف بها تخرج كلها خائبة، تخرج كلها تربية شيطانية، فنحن محتاجون أن نضع بين أعيننا: ((اجعل مَنْ يراك يدعوا لمن رباك)) فكن صورة للتربية.

إذا رأيت هذا الرجل، كأنك رأيت الرجل الكبير الفلاني، وعندما تتكلم معه وتقول له افعل كذا، يقول لك: لا، لأن تقاليد العائلة تأبى ذلك، فما بالكم بالعائلة المحمدية، تأبى الكذب، وتأبى الخداع، وتأبى الغش، هذه هي تقاليد العائلة المحمدية، وأنت من أهل العائلة المحمدية فتمثلها، وهذا هو المنهاج الأكمل من هدي الحبيب ﷺ

**وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صحبه وسلم**

**تمّ بحمد الله وتوفيقه**

---

١١ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

## المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

۞دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

## ۞ قائمة المؤلفات :٩٨ كتابا فى أربع عشرة سلسلة

### أولاً : فى تفسير القرآن الكريم (٥)

(٤) نفحات من نور القرآن (ج١)، (١٧) نفحات من نور القرآن (ج٢)، (٤٨) أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام (٢ط)، (٩١) الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ، (٩٣) أسرار خلة إبراهيم عليه السلام، (٩٦) تفسير آيات المقربين (جزء أ١).

### ثانياً: الفقه (٧)

(٢) زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، ،(٥) مائدة المسلم بين الدين و العلم (٢ط) (ترجم إنجليزى وإندونيسى*) (٥٢) كيف تكون داعياً على بصيرة (٥٤) مختصر زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، (٧١) الصيام شريعة وحقيقة (٧٢) إكرام الله للأموات (٩٥) صيام الأتقياء.

### ثالثا : الحقيقة المحمدية: (١١)

(٧) حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط)، (١٣) إشراقات الإسراء ج١(٢ط)، (٢٢) الكمالات المحمدية (٢ط)، (٢٣) الرحمة المهداة، (٣٣) واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ (٢ط) (ترجم للإنجليزية)، (٣٥) إشراقات الإسراء ج٢، (٦١) السراج المنير، (٧٠) ثانى اثنين، (٨٥) الجمال المحمدى ظاهره وباطنه، (٨٧) تجليات المعراج، (٩٠) شرف شهر شعبان.

### رابعاً: من أعلام الصوفية: (٦)

(١) الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط)، (٣) الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة، (٤١) المربى الربانى السيد أحمد البدوى، (٤٥) شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى (٢ط)، (٥٩) الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى.(٩٧) الإمام أبو العزائم سيرة حياة.

### خامساً: الدين والحياة: (٧)

(٢٦) إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام (٢ط) (٣٤) كيف يحبُّك الله (٣ط) (مترجم إنجليزى)،(٣٩) كونوا قرآنا يمشى بين الناس (٢ط)(مترجم إنجليزى)، (٥٠) قضايا الشباب المعاصر، (٦٧) بنو إسرائيل ووعد الآخرة، (٧٥) أمراض الأمة وبصيرة النبوة (تم تنزيل أكثر من ٢٥٠٠٠ نسخة إليكترونية من هذا الكتاب من الموقع)، (٩٢) فقه الجواب (إجابة أسئلة الموقع).

### سادساً: الخطب الإلهامية للمناسبات: (٧)

(١٦) المولد النبوى، (١٧) شهر رجب والإسراء والمعراج،(١٨) شهر شعبان و ليلة الغفران، (١٩) شهر رمضان و عيد الفطر،(٢٠) الحج و عيد الأضحى، (٢١) الهجرة ويوم عاشوراء، (٥٥) الخطب الإلهامية مجلد: المناسبات الدينية (٣ط).

### سابعاً: الخطب الإلهامية العصرية : (١)

(٧٨) الأشفية النبوية للعصر.

### ثامناً: المرأة المسلمة (٤)

(٩) تربية القرآن لجيل الإيمان (٢ط) (ترجم إنجليزى)، (٤٣) المؤمنات القانتات (ترجم إنجليزى)، (٤٤) فتاوى جامعة للنساء(٢ط)، (٧٤) الحب والجنس فى الإسلام،

## ثامناً: الطريق إلى الله: (١٢)

(٦) طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (٢ط)( ترجم للأندونسية)، (٢٥) طريق المحبوبين وأذواقهم، (٢٨) المجاهدة للصفاء و المشاهدة (٢ط)،(٣٠) علامات التوفيق لأهل التحقيق، (٣١) رسالة الصالحين، (٣٢) مراقي الصالحين، (٥٧) تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للقاوقجى (تحقيق)، (٦٠) نوافل المقربين،(٦٤) أحسن القول، (٧٩) دعوة الشباب العصرية للإسلام.(٨٨) مجالس تزكية النفوس ج١، (٨٩) مجالس تزكية النفوس ج٢.

## تاسعاً: الأذكار والأوراد (٧)

(٨) مفاتح الفرج (١٢ط) (ترجم إنجليزى وأندونيسى)، (١٥) أذكار الأبرار، (٣٧) مختصر مفاتح الفرج (٥ط) (٣٨) أذكار الأبرار (صغير)(٣ط)، (٤٠) أوراد الأخيار (تخريج وشرح)(٢ط)، (٥٦) نيل التهانى بالورد القرآنى، (٧٣) جامع الأذكار والأوراد.

## عاشراً: دراسات صوفية معاصرة: (١٦)

(١٠) الصوفية و الحياة المعاصرة، (١١) الصفاء والأصفياء،(١٢) أبواب القرب ومنازل التقريب، (٢٩) الصوفية فى القرآن والسنة (٣ط) (ترجم للإنجليزية) ،(٣٦) المنهج الصوفى والحياة العصرية،(٤٢) الولاية والأولياء،(٤٩) موازين الصادقين، (٥١) الفتح العرفانى، (٥٣) النفس وصفها وتزكيتها، (٥٨) سياحة العارفين، (٦٣) منهاج الواصلين، (٦٥) نسمات القرب، (٦٨) العطايا الصمدانية للأصفياء،(٧٧) شراب أهل الوصل، (٨٣) مقامات المقربين، (٩٨) آداب المحبين لله.

## حادى عشر: الفتاوى (٥)

(٢٤) فتاوى جامعة للشباب،(٧٦) فتاوى فورية ج١،(٨٠) فتاوى فورية ج٢، (٨٤) فتاوى فورية ج٣، (٨٦) فتاوى فورية ج٤

## ثانى عشر: أسئلة صوفية (٢)

(٢٧) نور الجواب على أسئلة الشباب (ترجم أيضاً للغة الإنجليزية)، (٦٩) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية،

## ثالث عشر: حوارات مع الآخر (٣)

(٨١) سؤالات غير المسلمين، (٨٢) حوارات الإنسان المعاصر، (٩٤) أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين.

## رابع عشر: شفاء الصدور: (٤)

(٤٦) علاج الرزاق لعلل الأرزاق. (٢ط)، (٤٧) بشائر المؤمن عند الموت (٣ط)، (٦٣) بشريات المؤمن في الآخرة.(٦٦) بشائر الفضل الإلهي،

## أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

| إسم المكتبة | رقم الهاتف | القاهـرة |
|---|---|---|
| مكتبة المجلد العربي | ٢٥٩١٢٥٢٤ | ١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر |
| مكتبة الجندي | ٢٥٩٠١٥١٨ | سوق أم الغلام ميدان الحسين |
| دار المقطم | ٢٧٩٥٨٢١٥ | ٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين |
| مكتبة جوامع الكلم | ٢٥٨٩٨٠٢٩ | ١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة |
| مكتبة التوفيقية | ٢٥٩٠٤١٧٥ | ١ عمارة الأوقاف بالحسين |
| بازار أنوار الحسين | ٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١ | ٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين |
| مكتبة العزيزية | ٢٥٩١٥٢٢٤ | ١١ ميدان حسن العدوى بالحسين |
| الفنون الجميلة | ٢٥٩٠٠٧٨٦ | ١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة |
| مكتبة الحسينية | ٢٥٩٠٢٥٤١ | ٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين |
| مكتبة القلعة | ٢٥١٠٨١٠٩ | ١ شارع مُحَمَّد عبه خلف الأزهر |
| مكتبة نفيسة العلم | ٢٥١٠٤٤٤١ | ٩ ميدان السيدة نفيسة . |
| المكتب المصري الحديث | ٢٣٩٣٤١٢٧ | عمارة اللواء ٢ شارع شريف |
| الأديب كامل كيلانى | ٢٣٩٦١٤٥٩ | ٢٨ شارع البستان بباب اللوق |
| مكتبة دار الإنسان | ٣٣٣٥٠٠٣٣ | ١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي |
| مكتبة مدبولى | ٢٥٧٥٦٤٢١ | ٦ ميدان طلعت حرب |
| مدبولى مدينة نصر | ٢٤٠١٥٦٠٢ | طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر |
| النهضة المصرية | ٢٣٩١٠٩٩٤ | ٩ شارع عدلى جوار السنترال |
| هلا للنشر والتوزيع | ٣٣٤٤٩١٣٩ | ٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة |
| المكتبة الأزهرية للتراث | ٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧ | درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر |
| مكتبة أم القرى | ٢٥٨٩٨٢٥٣ | ١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر |
| المكتبة الأدبية الحديثة | ٢٥٩٣٤٨٨٢ | ٩ شارع الصنادقية بالأزهر |
| مكتبة الروضة الشريفة | ٢٦٤٤٤٦٩٩ | ٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة |
| | | الإسـكندرية |
| كشك سونا | ٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢ | محطة الرمل، أمام مطعم جاد |
| الكتاب الإسلامي الثقافى | ٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨ | محطة الرمل، صفية زغلول |
| كشك مُحَمَّد سعيد موسي | ٠١١١٤١١٤٣٠٠ | ٦٦ شارع النبي دانيال، محطة مصر |
| مكتبة الصياد | ٠٣-٣٩٢٨٥٤٩ | ٤ ش النبي دانيال، محطة مصر |
| مكتبة سيبويه | ٠٣-٥٤٦٢٥٣٩ | ٢٣ المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر |

| | | |
|---|---|---|
| الكشك الأبيض | ٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥ | محطة الرمل– أ/ أحمد الأبيض |
| | | الأقـاليم |
| كشك عبد الحافظ | مُحَمَّد ------- | الزقازيق– بجوار مدرسة عبد العزيز على |
| مكتبة عبادة | ٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠ | الزقازيق – شارع نور الدين |
| مكتبة تاج | ٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١ | طنطا– أمام مسجد السيد البدوى |
| مكتبة قربة | ٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥ | طنطا– ٩ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة |
| كشك التحرير | ٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢ | كفر الشيخ – شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام |
| مكتبة صحافة الجامعة | ٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣ | المنصورة – شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان |
| مكتبة الرحمة المهداة | ٠١٠٠١٤٢١٤٦٩ | المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى |
| مكتبة صحافة الثانوية | ٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠ | المنصورة– ش الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، ح كمال الدين أحمد |
| صحافة أخبار اليوم ح مُحَمَّد الأتربى | ٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤ | طلخا – المنصورة– بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا |
| مكتبة الإيمان | ٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠ | فايد– أ حماده غزالى بربرى |
| كشك الصحافة | ٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩ | السويس،ش الشهداء، ح حسن مُحَمَّد خيرى |
| أولاد عبدالفتاح السمان | ٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩ | سوهاج– شارع احمد عرابي أمام التكوين المهنى |
| كشك أبو الحسن | ٠١٠٦٩٥١٨٦١٦ | قنا– أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى |
| كشك القرايا– إسنا | ٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤ | القرايا– إسنا – ش السيدة زينب– الحاج مُحَمَّد الريس والأستاذ مُحَمَّد رمضان مُحَمَّد النوبى |
| كشك حسنى بإسنا | ٠١١١١٤٩١٨٢٣ | كشك حسنى مُحَمَّد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا – الأقصر |

**أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بأنحاء الجمهورية. ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل نسخة الطباعة مجانا من موقع الشيخ** www.fawzyabuzeid.com **وعلى موقع** www.askzad.com
**موقع الكتاب العربى ، أوطلبها من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة، ت: ٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠ ، ف: ٠٢-٢٥٢٦١٦١٨**

# الفهرست


| الموضـــوع | صفحة |
|---|---|
| مقدمة | ٣ |
| الوصل التمهيدي | ٥ |
| تجديد أحوال أهل المدينة المنورة | ٦ |
| نجوم الاقتداء والاهتداء | ٧ |
| شروط الوصول لمقامات الصالحين | ٧ |
| طهارة القلوب | ٩ |
| تأسيس مجتمع المدينة المنورة | ١٠ |
| الإخلاص | ١٠ |
| مراعاة الأحكام الشرعية | ١٢ |
| المودة والمحبة | ١٧ |
| دواء المحبوبين | ١٨ |
| السالك المعيب | ٢١ |
| الوصل الأول: طريق الصالحين | ٢٨ |
| تنبيه النفوس من غفوتها | ٣٠ |
| أهل الاصطفاء | ٣١ |
| سر العناية | ٣٢ |
| علامات الأهلية لمقامات القرب | ٣٣ |
| اتهام العبد لنفسه | ٣٣ |
| عدم رؤية عيوب الغير | ٣٤ |
| محاسبة النفس | ٣٥ |
| مجالسة الصالحين | ٣٥ |
| القابل النورانى والفيض الربانى | ٣٧ |
| مراحل الطريق | ٣٨ |
| صفات نهى عنها الله ﷻ | ٣٩ |
| الصفات الحميدة | ٤١ |
| جهاد النفس وآثار تركه | ٤١ |
| نتائج جهاد النفس | ٤٢ |

| الموضـــوع | صفحة |
|---|---|
| إزالة الحجب | ٤٥ |
| أعداء الإنسان وجهادهم | ٤٦ |
| بين منهم ومعهم | ٥٢ |
| الأوراد | ٥٤ |
| الوصل الثاني : أصول البدايات | ٥٦ |
| العتيقة | ٥٧ |
| تحذير السالكين من النت | ٦٠ |
| الأوراد | ٦٠ |
| الإذن للورد والرابطة الروحانية | ٦١ |
| الشوق | ٦٣ |
| رفع السماوات بغير عمد | ٦٦ |
| أهل السر | ٦٧ |
| درجات الفتح النورانى | ٦٩ |
| حظ المريدين من مقام شيخهم | ٧١ |
| الوصل الثالث: القرب والصفاء | ٧٦ |
| ١. مجالس الصفاء | ٧٨ |
| رمز آدم | ٧٨ |
| الأخوة الإيمانية والصفاء | ٧٩ |
| المجالس النورانية | ٨٢ |
| أدب المجالس | ٨٣ |
| وظيفة مجالس الأحباب | ٨٥ |
| ٢– محبة الله للعبد | ٨٦ |
| التقرب إليه بالنوافل بعد المحافظة على الفرائض | ٨٦ |
| الحب في الله | ٨٨ |
| ٣– درجات المقربين في الآخرة | ٩٣ |
| طريق محبة الله | ٩٤ |
| العمل لمحبة الله | ٩٥ |
| وجوب المحبة الإلهية | ٩٨ |
| الوصل الرابع : الجهاد المُوصِّل | ١٠٢ |

| الموضـــوع | صفحة |
|---|---|
| وجاهدوا في الله حق جهاده | ١٠٣ |
| داعي العناية | ١٠٤ |
| اصطفاء الله لعباده | ١٠٦ |
| أنواع الجهاد | ١٠٧ |
| جهاد العدو الخارجي | ١٠٧ |
| العدو الداخلي | ١٠٧ |
| جهاد النفس | ١٠٨ |
| الاستجابة لله ولرسوله | ١١٠ |
| دسائس النفس الخفية | ١١٣ |
| الوصل الخامس : الصمت | ١١٦ |
| الصمت عنوان السالكين | ١١٧ |
| حفظ اللسان لعباد الرحمن | ١٢٢ |
| الوصل السادس : آفات اللسان | ١٢٤ |
| خطورة اللسان | ١٢٦ |
| آفات اللسان | ١٢٧ |
| الأولى: الكلام فيما لا يعني | ١٢٨ |
| الثانية: فضول الكلام | ١٣٢ |
| الثالثة: الجدال والمراء | ١٣٤ |
| الرابعة: سؤال المرء عما لا يعنيه | ١٣٦ |
| الخامسة: الخصومة | ١٣٨ |
| السادسة: الكلام الفاحش والسب واللعن | ١٤٠ |
| السابعة: ذو الوجهين | ١٤٣ |
| الثامنة: إفشاء السر | ١٤٤ |
| التاسعة: عدم الوفاء بالعهد | ١٤٥ |
| آفات اللسان المحرمة | ١٤٦ |
| الكلمة الطيبة | ١٤٧ |
| أولاً: الغِيبَة | ١٤٩ |
| ثانياً: اللمز | ١٥٠ |
| مواهب ذوي الاحتياجات الخاصة | ١٥١ |

| الموضـــوع | صفحة |
|---|---|
| مواضع يباح فيها الغيبة | ١٥٢ |
| كفارة الغيبة | ١٥٣ |
| ثالثاً: النميمة | ١٥٥ |
| آفة نقل الكلام | ١٥٦ |
| فضيلة كتمان الأسرار | ١٥٦ |
| رابعاً: الكذب | ١٥٧ |
| الكذب المباح | ١٥٨ |
| المعاريض | ١٦٠ |
| خامسا: اليمين الكاذبة | ١٦١ |
| الوصل السابع : مفاتيح كنوز فضل الله | ١٦٢ |
| مفاتيح كنوز فضل الله | ١٦٤ |
| المفتاح الأول: تركه ما لا يعنيه | ١٦٥ |
| المفتاح الثاني: تطهير القلب | ١٦٥ |
| المفتاح الثالث: الصمت | ١٦٦ |
| المفتاح الرابع: الإكثار من ذكر الله ﷻ | ١٦٧ |
| ذكر اللسان | ١٦٨ |
| ذكر القلب | ١٦٩ |
| ذكر الجوارح (ذكر العين) | ١٧٠ |
| ذكر الأذن | ١٧١ |
| ذكر اللسان | ١٧٤ |
| منزلة الذاكر لله | ١٧٦ |
| ضرورة الورد للمريد | ١٧٧ |
| آداب ذكر الله للمنفرد | ١٧٨ |
| آداب الذكر في جماعة | ١٧٨ |
| الذكر والتصفية | ١٨٠ |
| من كنوز أحاديث الذكر | ١٨١ |
| الوصل الثامن : آداب المؤمنين في سورة الحجرات | ١٨٣ |
| التثبت عند سماع الأقاويل | ١٨٥ |
| أثر النبوة | ١٨٨ |

| الموضـــوع | صفحة |
|---|---|
| الإيمان وزينته | ١٨٩ |
| الصلح والإصلاح | ١٩١ |
| أُخُوة المؤمنين | ١٩٤ |
| النهى عن السخرية | ١٩٦ |
| اللمز والتنابز وعاقبتهما | ١٩٧ |
| اجتناب الظن السيئ | ١٩٨ |
| التجسس والتحسس | ١٩٩ |
| تحريم الغيبة | ١٩٩ |
| ميزان التكريم الإلهى | ٢٠١ |
| وصل الختام : نصائح لحفظ روابط الأُخُوة الإيمانية | ٢٠٣ |
| الشورى في الإسلام | ٢٠٤ |
| منهج الحبيب | ٢٠٧ |
| اجتناب سوء الظن | ٢٠٨ |
| نبذة عن المؤلف الشيخ فوزى مُحَمَّد أبوزيد | ٢١٥ |
| قائمة مؤلفات الشيخ | ٢١٦ |
| قائمة المكتبات ودور النشر | ٢١٨ |
| الفهرست | ٢٢٠ |


تحت الطبع إن شاء الله

المؤمنات القانتات (طبعة ثانية)

أوراد الأخيار (طبعة ثانية)

# من مكتبة الدراسات الصوفية المعاصرة
## للشيخ فوزى محمد أبوزيد

زوروا موقع الشيخ WWW.Fawzyabuzeid.com

تطلب من دار الإيمان والحياة ١١٤ ش ١٠٥ الحادى - ت : ٠٢٧٥٧٥٧١٨٠ القاهرة

القائمة الكاملة بمؤلفات فوزى محمد أبوزيد بداخل الكتاب

مع قائمة بالمكتبات ودور النشر